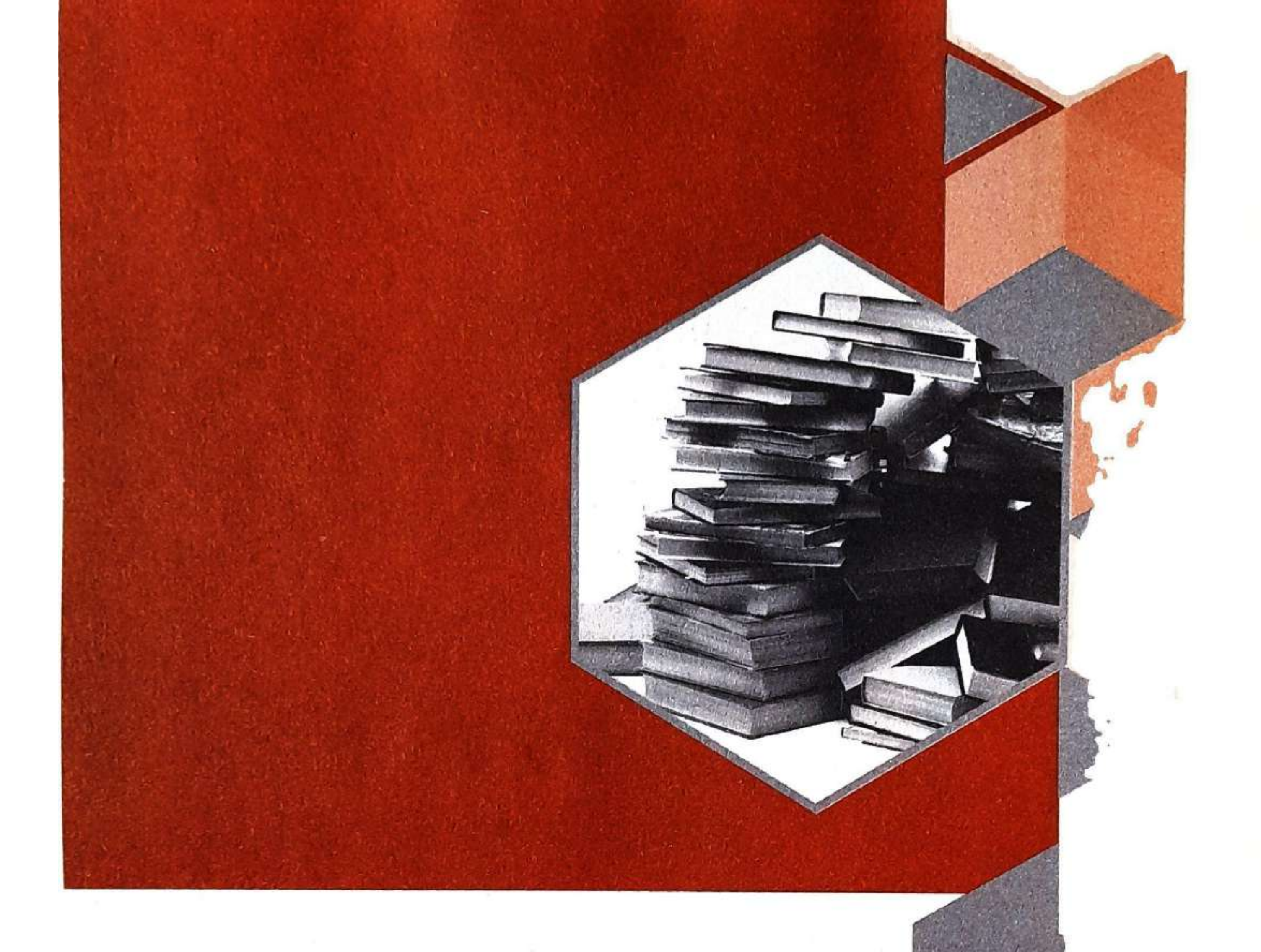
علاء نعمان

الذكاء في العبادة

الطبعة الأولى
دار الحضارة للنشر والتوزيع



الذكاء في العبادة

علاء نعمان


بسم الله الرحمن الرحيم



هذا الكتاب

هذا الكتاب ليس كتاباً في فضائل الأعمال يذكر لك العملَ وأجرَه كما هو الدارج في كتب السنة وفضائل الأعمال.. إنما هو كتاب يعينك على الاختيار الأمثل من قائمة طويلة من الأعمال الوارد في تلك الكتب..

هو كتاب يرشدك كيف ولماذا تختار تلك العبادة وتؤجل أو تترك أخرى؟

ما المعايير في اختيارك الأمثل والذكي؟ وأيها أولى وأكثر أجراً وأحب إلى الله في حالتك؟ ولماذا؟

هو كتاب يخبرك كيف تكون ذكياً في عبادتك لتُحصِّل أكثر الأجور المتاحة في حياتك في زحمة انشغالاتك اليومية وتغير اهتمامات الناس ومشاغلهم..

هذا الكتاب مزيج من الأولويات في علم الإدارة الحديث وعلم الشريعة وأصول الفقه، فهو يمزج بين أدوات الاختيار الأمثل في علم الإدارة بناء على عوامل عدة يتم فيها تحديد أفضل الاختيارات بطرق ذكية مدروسة، مستفيداً بذلك من خبرتي العملية في الإدارة ودراستي النظرية لها في واحدة من أفضل الجامعات البريطانية بالإضافة للعديد من الدورات الإدارية التي حضرتها وقدمتها على مر السنوات، وبين ما تناقله علماء الشريعة على مر العصور من فقه الأولويات والموازنات والمفاضلة بين العبادات ولكن بأسلوب سهل عصري مبسط يفهمه القارئ البسيط، إذ إنني معتقد أن ثمة فجوة بين علم الإدارة وتطبيقاتها في علم الشريعة، وأنهما لا يتناقضان البتة بل هناك جسور تواصل كبير بينهما لمن أدرك وعرف الاثنين، وأنه يمكن توظيف علم الإدارة

الحديث في كثير من الموضوعات والأبحاث الشرعية الأصيلة التي تتحدث في أكثر الأوقات بلغة متقدمة لا يكاد يفهمها حتى بعض طلاب العلم فضلاً عن عوام الناس والقارئ البسيط..

يمكننا بل يجب الاستفادة من أدوات علم الإدارة الحديثة كعلم التخطيط والتخطيط الاستراتيجي وإدارة الوقت وإدارة الفريق وإدارة الاجتماعات وإدارة الموارد وجمع التبرعات وإدارتها ...الخ في تحسين عباداتنا وعلاقاتنا مع الله - من غير ابتداع - وفي نهضة أمتنا وتحسين أوضاعنا.. وهذا الكتاب خطوة في الطريق.

وقد قسَّمتُ الكتاب إلى خمسة أبواب..

فتحدثتُ في **الباب الأول** عن مقدمات لا بد منها للدخول في مبدأ ومصطلح الذكاء في العبادة وفهم معناه وحيثياته، كمعنى العبادة ومعنى الذكاء، ثم المعنى المركب المختار للذكاء في العبادة، ودلالة هذا المصطلح الجديد، والحاجة إليه في زماننا في ظل التغيرات الثقافية والسياسية والاقتصادية والتكنولوجية وتوجه الشباب، وذكرتُ بعضاً من أمثلة الذكاءات المتعددة عند الصحابة، وبينتُ مجالات الذكاء في العبادات، وأن العبادات كما أنها توقيفية، فهي كذلك موقفية تعتمد على الموقف الذي يتشكل من ثلاثية الذكاء في اختيار العبادات لا سيما النوافل منها، وهذه الثلاثية هي العبادة نفسها وحال العابد والظروف المحيطة به وفصلتُ لكل واحدة منها باباً كاملاً، وبينتُ أن هناك منظومة للأجر في ديننا وأشرت إلى النصوص الدالة عليها، ثم عرضتُ مصفوفة الأثر والمجهود وتطبيقاتها بأمثلة واقعية لتسليط الضوء على أكثر الأعمال أجراً بأقل مجهود، مؤكداً على نسبية الأعمال واختلافها من شخص لآخر.

وفصَّلتُ في الباب الثاني حالات الذكاء في العبادة بتسليط الضوء على تقسيمات العبادات من وجوه عدة، ثم مناقشة كل تقسيم كالذكاء في الفرض والنافلة، والذكاء في العبادات القلبية بنوعيها المرتبطة بغيرها من العبادات والمطلقة، والعبادات اللسانية، والجسدية، والمالية، والذكاء في العبادات الأطول أثراً وسمَّيتها العبادات الاستراتيجية، والذكاء في العبادات المطلقة والمقيدة، والذكاء في الجودة والكم، والذكاء في العبادات اللازمة النفع والمتعدية النفع، وعلاقة المشقة بالذكاء في العبادة وهل دائماً الأكثر مشقة أكثر أجراً، والذكاء في العبادات الفردية والجماعية بأنواعها، والذكاء في الدعوة إلى الله، والذكاء في تغيير السلوك والقناعات لتحصيل أفضل النتائج في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ظل عدم كفاءته المؤداة في زماننا، وأنه بالإمكان أفضل بكثير مما كان..

وقد جعلت مقدمة كل فصل (اختبر ذكاءك) بوضع ثلاث أسئلة تحفيزية تتحدى عقل القارئ ومعلوماته السابقة، ثم شرح وتمهيد للفصل وموضوعه، ثم قواعد الذكاء التي ارتأيتها في كل فصل، ثم كمٌّ من الأمثلة والتطبيقات العملية والمقارنات المفيدة لبيان الذكاء في ذاك التقسيم مما يغفل عنه كثير من الناس ويفعلون خلاف الأَولى فيه، مبتعداً عن التعقيد وقاصداً التبسيط وعصرية الطرح.

وسلطتُ الضوء في الباب الثالث على حال العابد وكيف يمكن أن تؤثر عوامل عدة في اختياراته للوصول للذكاء في العبادة، من تلك العوامل: فئته العمرية، شغفه واهتماماته، قدراته وإمكاناته، انشغالاته ومسؤولياته، ساعته الإيمانية، وكل ذلك مع التأكيد على أهمية تحقيق التوازن.

وكان الباب الرابع محور الحديث عن العامل الرئيسي الثالث في الذكاء في

العبادة وهو الظروف المحيطة بالعابد، وهي تلك التي لا تنفك عنه كالمحيط القريب متمثلاً بأهله وأقاربه، ثم المحيط الأبعد كالمجتمع وثقافته وتوجه أفراده، ثم الزمان والمكان الذي يعيش فيه، وبينتُ بالأمثلة كيف يمكن أن يؤثر هذا العامل على اختيارات الذكاء في العبادة.

وكان الباب الخامس بمثابة عملية المراقبة والمتابعة للعبادات للوصول للحالة الأمثل في الاختيار الذكي، مستفيداً ومُسقطاً لمبادئ إدارية حديثة، فتحدثتُ عن قياس مؤشرات قبول العبادات (KPIs)، وقياسها بالمقارنة بالأفضل (القدوات) (**Dashboard**)، وأهمية إدارة الوقت لتنظيم العبادات، ثم خاتمة وموجز القول في رسالة الكتاب.

إننا سنعيش مرة واحدة في هذه الحياة، ومن مبدأ «هل كان بالإمكان أفضل مما كان؟»، فلا بد أن نعيش هذه الحياة بذكاء لننعم في أفضل حال يوم القيامة، والذكي الموفق هو من استثمر حياته الدنيا أفضل استثمار بتوازن ذكي جداً وأحسن الزرع ليجد الحصاد الوفير والاستقبال الحسن يوم القيامة.

وبيد أني أعلم أن مصطلح **(الذكاء في العبادة)** لم يُسبق إليه **-وليس هذا همّي ومطمحي-** فإني أرجو أن يكون إضافة قيمة للمكتبة وللقارئ، وإني أرجع عن أي خطأ تبين لي فيه مستقبلاً بالحجة والبرهان إذ الحق أحق أن يُتبع.. وأرجو الله ربي أن يتقبل مني هذا العمل على تواضعه، وأن يكتب له الأجر والقبول، وأن ينفع به عباده، وأن يرفع به درجتي عنده، إنه وليُّ نعمتي وملاذي يوم ألقاه، وهو أعلم بنيتي وطويتي..



الباب الأول

مقدمــــات

- مفهوم الذكاء.
- ذكاءات الصحابة المتعــددة.
- بين الذكاء والفطنة.
- مفهــوم العبــادة.
- مفهــوم الذكــاء في العبــادة.
- الحاجة لهذا المصطلح في زماننا.
- هل لمصطلح (الذكاء في العبادة). ذكــر في القــرآن؟.
- مجــالات الذكــاء في العبــادة.
- العبادات توقيفية.
- والعبادات موقفيّة.
- منظومــة الأجــر.
- مصفوفة الجهد والأثر (للنوافل).

مفهوم الذكاء

من المتفق عليه أن تعريف الذكاء مختلف فيه، فقد تعددت تعريفات الذكاء حتى فاقت ٢٥٠ تعريفاً تتقارب وتتباعد في فهم الذكاء ومضمونه وما يرمز إليه وما يدخل فيه وما لا يدخل فيه، فعلى مر العصور ناقش الباحثون مفهوم الذكاء وربطوه بالمنطق والفهم والتفكير والتخطيط والإبداع وحل المشكلات والوعي الذاتي والقدرة على التعلم والمعرفة العاطفية والتأقلم مع المتغيرات [(١)]، وتعددت النظريات المفسرة للذكاء وكيفية قياسه وهل هو وراثي أم لا.

من تعريفات الذكاء الجيدة تعريف ستودراد: **هو القدرة على ممارسة النشاطات والأعمال التي من صفاتها التعقيد والصعوبة والتجريد والسرعة والابتكار** [الطويل ١٩٨٥].

ولقرون مضت، كان الاعتقاد السائد أن الذكاء مرتبط فقط بالتفكير المنطقي واللغوي، فيُطلق على الطالب وصف الذكي إذا كان لديه سرعة في حل المسائل الرياضية أو حل الألغاز أو تركيب جمل لغوية مميزة، حتى جاء هوارد جاردنر البروفيسور في جامعة هارفارد الأمريكية الشهيرة عام ١٩٨٣ فأبدع نظرية جديدة هزت الأوساط العلمية آنذاك هي نظرية الذكاءات المتعددة (**Multiple Intelligence**)، وبين فيها جاردنر أن الذكاء ليس ذكاءً واحداً هو ذاك الذي ساد لقرون مضت، بل هناك سبعة أنواع من الذكاء لا تقتصر على الذكاء المنطقي

(١) S. Legg; M. Hutter (2007). A Collection of Definitions of Intelligence. 157. pp. 17-24.

واللغوي فقط[1]، من هذه الذكاءات المتعددة:

١- **الذكاء المنطقي الرياضي**: وتتجلى فيه القدرة على حل المشكلات وتحليلها، وحل المسائل الرياضية والفيزيائية والهندسية، وتتطلب ذكاءً ومهارات عقلية عالية.

٢- **الذكاء اللغوي**: وتتمثل في مهارات الشعر والأدب وربط الكلمات وصياغتها بطريقة فنية والتأثير بها.

٣- **الذكاء الموسيقي (الإيقاعي)**: وهي القدرة على تمييز وإبداع الألحان والأصوات والأداء الموسيقي وربطها بالمشاعر.

٤- **الذكاء البصري الفراغي**: وهي المقدرة على التخيل وتقدير المسافات والأحجام ومعرفة الاتجاهات.

٥- **الذكاء الجسدي الحركي**: هي القدرة على التحكم بالجسد وعضلاته ومهارات الحركة والخفة وبناء الجسد، كمتسابقي السباحة، والركض، والألعاب الأولمبية، والرياضات الجسدية المختلفة.

٦- **ذكاء العلاقات الشخصية**: وهي الفراسة وقوة ملاحظة شخصيات الناس وطبائعهم وأمزجتهم ونواياهم ورغباتهم وإقامة العلاقات معهم.

٧- **ذكاء فهم الذات**: المقدرة على فهم الذات ومعرفة ما يحفزها وما يثبطها، وما يسبب لها المتعة والألم، والاستغلال الأنسب لمهارات النفس، والقدرة على التأقلم والتغيير والتعامل مع التغيير.

---

(١) غاردنر(٢٠٠٤). اطر العقل: نظريات الذكاءات المتعددة.

وبعد ذلك أضاف جاردنر أنواعاً أخرى من الذكاء كذكاء التعليم وذكاء التفكير بالوجود.

من هنا، نجد أن جاردنر قد فتح الباب لمجالات أخرى من الذكاء مُغيِّراً الاعتقاد السائد لمفهوم الذكاء، وقد لقيت نظريته ترحيباً لدى الأوساط العلمية، وفي الوقت نفسه لقيت نقداً لبعض جوانبها كعدم وجود أدلة تجريبية تدعم النظرية وكتطبيق جاردنر للذكاء على مفهوم القدرات والكفاءات، ... وغير ذلك.





ذكاءات الصحابة المتعددة

بذات المنطق، فقد كان للصحابة ذكاءات متعددة، تميز كل منهم في مجال وظَّفه النبي ﷺ في خدمة الإسلام والمسلمين، فبعضهم كان ذكياً ذكاءً حركياً في القتال والحروب كخالد والقعقاع والبراء، وبعضهم كان لديه ذكاء لغوي كحسان وابن رواحة وكعب بن مالك، وبعضهم كان لديه ذكاء تجاري كعثمان وابن عوف، وبعضهم ذكاء إداري في اتخاذ القرارات وسياسة الناس كعمر، وبعضهم ذكاء رياضي منطقي كعلي، وبعضهم ذكاء اجتماعي ...وهكذا.

وقد زهرت السيرة ببعض مواقف الصحابة التي تعكس ذكاءً عالياً نطوف في بعضها على عجل:

لقد كان ذكاءً من ربيعة بن كعب لما سأله النبي ﷺ: سلني حاجتك، فقال له ربيعة: «**أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟ فقال: هُوَ ذَاكَ، قَالَ: فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ**» [مسلم ٤٨٩]، إن طلب ربيعة يعكس ذكاءً، فهو يعني ضمناً: الموت على التوحيد + ضمان دخول الجنة + مرافقة النبي ﷺ في الجنة.. كل واحدة منها أمنيّة وحدها لأي مسلم.. ولو سأله الموت شهيداً أو حسن الخاتمة وحدها لما ضمن كل ذلك.

لقد كان ذكاءً من عكاشة بن محصن يوم أخبر النبي ﷺ عن سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فتنبه وقال على الفور: «**يا رسول الله، ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. قَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ آخَرُ قَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ**» [البخاري ٦٠٥٩]، لقد ضمن عكاشة بهذا مقعداً في الجنة بغير حساب ولا عذاب قبل أن يسد النبي ﷺ الباب

لمن يسأله ذلك فلا يكون أهلاً لأن يكون منهم ربما.. أي ذكاء هذا!

لقد كان ذكاءً من عمر يوم دعا فقال: «اللهم ارزقني شهادة في سبيلك وموتاً في بلد رسولك» ليضمن الشهادة وفضلها وأجرها وفوق ذلك شفاعة النبي ﷺ لمن مات في مدينة رسول الله كما صحَّ ذلك عنه ﷺ، وكيف لا يكون عمر ذكياً وقد وصف النبي ﷺ شدة ذكائه فقال: **«لَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا في الناسِ يَفْرِي فَرْيَه»** [البخاري ٧٠١٩].

إن ذكاء خالد العسكري وتكتيكاته الحربية وقت جاهليته وفي إسلامه مثال يُتعجب منه، كيف رزقه الله ذاك الذكاء العسكري في الحرب.. وقصصه في ذلك أكثر من أن تُروى.

وإذا تحدثنا عن عمرو بن العاص، فلا تسأل عن ذكائه ودهائه وفطنته فهي مواقف أغرب من الخيال جعلت عمر يقول إذا تعجب من بلادة أحدهم: **«سبحان الذي خلقك، وخلق عمرو بن العاص»** [أسد الغابة ٤ / ٢٤٤].. في حصاره لحصن بابليون، دخل عمرو بنفسه لملاقاة قائد الحصن منتحلاً منصب قائد من قادات عمرو بن العاص وعاين بنفسه على الحصن ومداخله ونقاط ضعفه، ثم أثناء عودته لاحظ تدبيرهم لقتله بإلقاء صخرة من فوق الحصن، فعاد داخلاً مرة أخرى وأوهم قائدهم أن لديه عشرة من قادات المسلمين لا يقطع أمير المؤمنين أمراً دون مشورتهم، وأن لديه رغبة بإحضارهم ليشهدوا اتفاقه مع قائد الحصن، فوافق قائدهم وأوهم بحركة لجنوده بعدم قتله، فخرج سالماً، فقال الأرطبون: خدعني الرجل، هذا والله أدهى العرب.. ثم رجع عمرو بجنوده وفتح الحصن [البداية والنهاية ٩/ ٦٤٥].

ومن ذكاء حذيفة بن اليمان يوم أرسله النبي ﷺ الى معسكر قريش في غزوة الأحزاب لينظر ماذا يفعلون، وكانت الريح شديدة والظلام دامساً، فدخل

بينهم، ثم سمع أبا سفيان يقول: يا معشر قريش لينظر كل امرئ من يجالس (خوفا من الدخلاء)، فبادر حذيفة فأخذ بيد الرجل الذي بجانبه وسأله: من أنت يا رجل؟ فأجابه مرتبكاً: أنا فلان بن فلان. فبادره قبل أن يسأله.

من ذكاءات أبي بكر تعريضه يوم الهجرة وقد أوقفت قريش جائزة لمن يأتي بالنبي ﷺ، وكان أبو بكر رجلاً معروفاً بين العرب، فرآه أحدهم في طريق الهجرة فسأله: يا أبا بكر، مَن هذا الرجل الذين بين يديك؟ فقال: يهديني السبيل. فحسب أنه إنما يعني الطريق، وإنما يعني سبيل الخير. [البخاري ٣٩١١].

من ذكاء علي بن أبي طالب الرياضي المنطقي ذكاؤه في القضاء لما جاءته امرأة تشكو إليه قضاء شريح لها في ميراثها، فوجدته راكباً فأمسكت بركابه وقالت: مات أخي وترك ستمائة دينار، فلم أُعطَ منها إلا ديناراً واحداً. فقال لها علي:

لعل أخاك ترك زوجة وبنتين وأماً واثني عشر أخا وأنت؟ تعجبت المرأة فقالت: نعم. فقال: ذلك حقك، ولم يظلمك شريح شيئاً. وهذا من ذكاء عليٍّ فقد حسب ميراثها بسرعة فائقة وقدَّر الاحتمالات التي جعلتهم يعطوها ديناراً واحداً فقط، وهي مسألة معروفة في فقه المواريث بالدينارية الكبرى.. وبيان ذلك أن للزوجة الثُّمُن (٧٥) لوجود الفرع الوارث (البنتان). ولكل واحدة من البنتين الثلث (٢٠٠) فالمجموع ٤٠٠. وللأم السدس (١٠٠). والباقي (٢٥) توزع على اثني عشر أخا ذكراً وأخت واحدة، وللذكر مثل حظ الأنثيين فيأخذ الإخوة ٢٤ لكل واحد منهم ديناران وللأخت دينار واحد. [شرح الفصول المهمة في مواريث الأمة].



بين الذكاء والفطنة

قد يُشكل لفظ الفطنة والدهاء في فهم الذكاء، فهما يتقاربان في المعنى وبينهما عموم وخصوص.

- **عرف الراغب الفطنة بأنها:** سرعة إدراك ما يُقْصد إشكاله[1].
- **وعرفها الكفوي بأنها:** التَّنَبُّه للشَّيء الذي يُقْصد معرفته[2].
- **وقال العسكري:** هي التَّنبُّه على المعنى، وضدُّها الغفلة[3].
- **بينما عرف المناوي الذكاء بأنه:** سرعة الإدراك وحِدَّة الفهم[4].
- **وفي لسان العرب:** هو سُرْعة الفِطْنَة، مِنْ قولك: قلب ذَكِي وصَبِي ذكِي، إذا كان سريعَ الفِطْنَة[5].
- **وقال العسكري:** الذَّكاء تمام الفِطْنَة، من قولك: ذَكَت النَّار إذا تمَّ اشتعالها، وسُمِّيت الشَّمس ذكاءً؛ لتمام نورها. والتَّذكية: «تمام الذَّبح، ففي الذَّكاء معنى زائدٌ على الفِطْنَة»[6].

إذن فيظهر أن الذكاء أعم وأوسع في الدلالة من الفطنة التي هي التنبه

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة (ص ١٤٣).
(٢) الكليات: (١/ ٤٥٦)، والتعريفات للجرجاني (ص ١٤٣).
(٣) الفروق اللغوية (١/ ٨٥).
(٤) التوقيف على مهمات التعريف (ص ١٧١).
(٥) لسان العرب (١٤/ ٢٨٧).
(٦) الفروق اللغوية (١/ ٨٥).

على المعنى وسرعة البديهة، ويأتيان أحياناً مترادفين متلازمين بحسب الموقف والحالة فتُطلق الفطنة عند العرب ويراد بها الذكاء.

ومن أمثلة الفطنة فطنة أبي بكر ﵁ لما خطب رسول الله ﷺ النَّاس وقال: «**إنَّ الله خيَّر عبدًا بين الدُّنْيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله**»، فبكى أبو بكر، فعجب أصحابه لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خُيِّر، فكان رسول الله ﷺ هو المخيَّر، وكان أبو بكر أعلمهم بمراد النبي ﷺ.. قال ابن الجوزي: هذا الحديث قد دلَّ على فِطْنَة أبي بكر، إذْ عَلِم أنَّ المخَيَّر هو رسول الله ﷺ.





مفهوم العبادة

تأتي العبادة في اللّغة على معانٍ عدة، منها: الخضوع والتّذلّل، ومنها: الطاعة والاستسلام، ومنها: المملوكية، ومنها تنسُّك الإنسان لمعبوده.

وتأتي العبادة في الشرع (الاصطلاح) على معانٍ:

- **المعاني اللغوية السابقة** إذا صُرفت لله تعالى، إذ بعضها قد يُصرف للشيطان أو للأصنام أو للطاغوت.
- **وعرفها الكفوي في كتابه (الكليات):** هي فعل ما يرضي الرب.
- ومن أجمل التعريفات الجامعة المانعة للعبادة ما ذكره ابن تيمية في كتابه العبودية: **هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة.**

ومن تعريف ابن تيمية يتبين أن العبادة ليست فقط ما استقر في أذهان كثير من الناس من كونها طقوس جسدية فقط كصلاة وصيام وحج، بل هي تشمل كل عمل باطن أو ظاهر مما يحبه الله.

وأسهب ابن تيمية في توضيح ذلك بذكر أمثلة على الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة فقال: «فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث والأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل

والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة، وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضى بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف من عذابه وأمثال ذلك هي من العبادة لله» [العبودية ٣٨].





مفهوم الذكاء في العبادة

من تعريف الذكاء والعبادة والإشارة إلى ما يخدم موضوعنا، نستطيع الخلوص إلى تعريف مفهوم الذكاء في العبادة الذي أطلقناه تعريفاً جامعاً مانعًا[1] بصيغ عدة تحتمل التبسيط والتفصيل، فأقول وبالله التوفيق.

- **يمكن تعريفها بشكل مختصر بأنها**: فعل خير الخَيرَيْن.
- **تعريف آخر**: إدراك وفعل الأَولى مما يُكسب المرء أجراً أكثر بمجهود ووقت أقل.
- **تعريف ثالث مفصَّل**: هو إدراك وفعل الأَولى فعله من الطاعات المتنوعة التي تُكسب المرء أجراً وأثراً أكبر بأقل وقت ومجهود ممكن بما لا يُخل بهيئتها أو أركانها أو شروطها وبما لا يُعارض غيرها الأَولى.

مناقشة التعريف الأخير:

- **إدراك وفعل**: فالإدراك يكون بالمعرفة والاستنتاج، ويلزم بعد ذلك الفعل لأن العمل من أركان الإيمان بالإضافة للقول، ولأن مجرد الإدراك وحده لا يكفي إذا لم يُلحق بعمل، فما فائدة أن تعلم العبادة ثم لا تأتيها! إن إدراك العبادات يحتاج إلى شيء من الفقه والاطلاع على تلك القائمة الطويلة من العبادات التي شرعها الله لنا، ويأتي هذا الاطلاع بوسائل عدة من وسائل

(١) جامعاً شاملًا لكل أفراد ومضمونات المعرَّف، ومانعاً من غيره فيه.

طلب العلم أو الثقافة الدينية كالإعلام أو خطبة الجمعة أو قراءة كتب الأحاديث والعلم أو ملازمة حلقات العلم وأهله. والفعل يحتاج إلى إرادة وعزيمة وهمة، ثم إلى إخلاص لله ومتابعة لطريقة نبيه ﷺ ليتقبله الله قبولاً حسناً.

- **الأَولى فعله من الطاعات**: يتطلب الأمر علماً واطلاعاً للحكم على أولوية عبادة من غيرها، وهو فرع من فقه الأولويات والموازنات والمفاضلة بين العبادات التي سنحاول تبسيطها في هذا الكتاب، وسيكون الأَولى هو الأحب إلى الله والأكثر أجراً لأفضليته.

- **الطاعات**: هي ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، وهو المعنى الشامل للعبادة الذي أورده ابن تيمية كما أسلفنا، وهو تعريف شامل جامع لكل ألوان العبادات القولية والعملية الظاهرة والباطنة.

- **أجراً وأثراً أكبر بأقل وقت ومجهود ممكن**: وهما من أهم عوامل الذكاء في العبادة وأركانه، فأية عبادة سيُقاس الأجر والأثر المترتب عليها والمجهود المرتبط بعملها بحسب العبادة نفسها وحال العابد والعوامل المحيطة به، وهو ما سنفصل فيه في هذا الكتاب.

- **بما لا يُخل بهيئتها أو أركانها أو شروطها**: حتى لا يُفهم أن من الذكاء الإخلال في أركان العبادة أو شروطها أو فرائضها أو هيئاتها لاختصار الوقت أو المجهود فهذا من الغباء لأن أجر العبادة سينقص وقد يؤول إلى الصفر لعدم اكتمال شروط العبادة أو أركانها، كمن يُصلي بغير وضوء متعمداً فلا صلاة له، ولا يُتخيل أن يتهاون عابد بالخشوع في صلاته حتى

يُنهيَها بوقت أسرع معتقداً أن هذا من الذكاء! ولا تقبل العبادة أصلاً إذا لم يأت المرء بأركانها ويحقق شروطها وهيئاتها.

- **وبما لا يُعارض غيرها الأَولى**: فليس من الذكاء أن يُصلي المرء ركعتي السنة في المسجد والإمام والمصلون يُصلون الفرض! وليس من الذكاء -كما سنرى تفصيل ذلك- أن يستغفر المرء وقت الأذان تاركاً الترديد خلف المؤذن. لا بد من معرفة الأولويات في الفرائض والسنن والراجح والمرجوح والفاضل والمفضول وإدراك ذلك وإتيانه ليتماشى مع مبدأ الذكاء في العبادة، وهو ما فصلنا فيه في الأبواب الثلاثة القادمة.

استنتاجات:

- **سيكون من الذكاء في العبادة معرفة الأولويات في العبادات** وأيها يُقدم على الآخر وفقاً لعوامل عدة يدخل فيها طبيعة العبادة نفسها وحال العابد نفسه والظروف المحيطة به، فالأخذ بكل هذه العوامل سيحدد أي العبادات والأعمال أذكى لعابد من عابد آخر.

- **سيكون من الذكاء الإتيان بأقل الأعمال جهداً** وفي الوقت نفسه أكثرها وأعظمها أجراً وأثراً عند الله وفقاً لمصفوفة الأثر والمجهود وعوامل أخرى عديدة سنناقشها بالتفصيل.

- سيدخل في الذكاء في العبادة المفاضلة بين العبادات لتحديد أيها يأتي وأيها يترك أو يؤجل، ولماذا.



الحاجة لهذا المصطلح في زماننا

في وقتنا هذا، حدثت تغييرات كثيرة كانت أسباباً جذرية في تغيير كثير من مفاهيم الناس وقيمهم وانشغالاتهم وأوقاتهم وأسلوب حياتهم وتدينهم وفهمهم وارتباطهم بالدين، من هذه الأسباب:

- فرضت شبكات التواصل الاجتماعي والحياة الافتراضية نفسها على الناس -**خاصة جيل الشباب**- حتى أضحت جزءاً لا يتجزأ من حياتهم اليومية، يمكثون الساعات الطوال يومياً يستقون منها الفكر والأفكار والمعلومات والأخبار، وتتشكل بها قناعاتهم.
- انشغال الناس بأعمالهم اليومية واستخدام وسائل المواصلات أو القيادة في الزحام اليومي الذي يستهلك ربما ساعات من أوقاتهم اليومية ذهاباً وإياباً، ثم انشغال الفئة العاملة المتزوجة من الذكور والإناث بمتطلبات البيت والأبناء ودراستهم، ولجأ البعض إلى عمل ثانٍ لتحصيل رزق إضافي لعائلته.
- انشغال الفئة الشبابية من العاملين (**الموظفين**) بالمباحات عموماً بعد عودتهم من العمل كالذهاب للنادي الرياضي (**الجيم**) والاجتماع مع الأصحاب في المقاهي، وكذلك الأمر لفئة طلاب الجامعات.
- الانشغالات السابقة بشبكات التواصل وأسلوب الحياة الجديد أخذ من وقت التدين السابق عند آبائنا وأجدادنا، فهجر كثير من الخيِّرين والملتزمين القرآن تلاوة وتدبراً وسماعاً، وابتعدوا عن طلب العلم والقراءة والكتب

إلا الإلزامية منها (**الجامعية والدراسية**)، وابتعدوا عن المساجد وصلاة الجماعة لحساب مباحات وأحياناً مكروهات ومحرمات، حتى طال التقصير الفرائض أحياناً.

- هجرة بعض الشباب إلى بلاد غير المسلمين لأسباب متعددة، والعيش في بيئة غير إسلامية تختلف أولوياتها وثقافة أهلها وعاداتهم وتقاليدهم واهتماماتهم عن المسلمين في بلادنا.
- مع تقدم التقنيات قلت البركة في الوقت، ومع تشتت الأولويات وغياب المربي وضعف الإقبال على العلم الشرعي تشتت الناس في فهم أولويات الله في دينه ودنيا الناس.

لكل ما تقدم ضاق وقت الناس واهتمامهم عن الدين والعبادات، أرى أن ظهور مثل هذا المفهوم والمصطلح (**الذكاء في العبادة**) أصبح مطلباً أساسياً لا يمكن **الاستغناء عنه في حياة الناس** عوامّهم وطلبة العلم والدعاة منهم لتحديد البوصلة في العبادات، إذ سيصبح الأمر صعباً على من لم يُؤت علماً وبصيرة أن يقرر أيها أفضل فعل كذا أم فعل كذا ليبقى على اتصال مع الأجر والأثر الإيجابي مما ينفع به نفسه والعباد.



هل لمصطلح (الذكاء في العبادة) ذكر في القرآن؟

لم يرد هذا المصطلح في القرآن أو السنة أو حتى أقوال العلماء قديماً وحديثاً، وليس عدم ذكره ببدعة من القول، إذ قد ذكر العلماء قديماً وحديثاً مصطلحات أخرى تشاركه في بعض الجزئيات كـ (**فقه الموازنات**) و (**فقه الأولويات**) و(**المفاضلة بين العبادات**) مما لم تُذكر صراحة في القرآن أو السنة غير أن لها أصلاً أشارت إليها نصوص الوحيَيْن.

فمن النصوص التي أشارت لمصطلحنا (**الذكاء في العبادة**) بمعناه الذي يتضمن فعل خير الخيرين والأولى من العبادات وأحب الأعمال إلى الله لكسب أكثر الحسنات بأقل مجهود:

- قول الله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزمر ٥٥].
- قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ﴾ [الزمر ١٨].
- قول الله تعالى: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف ١٤٥].
- قول الله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [النساء ٩٥].
- قال الله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا

ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة ٢٧١].

قال الله تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة ٢٣٧].

فهذه الآيات وغيرها من الآيات والأحاديث التي سنعرض لبعضها في ثنايا الكتاب تدل على المفاضلة بين العبادات وأنها لا تستوي، **فهناك حسن وهناك أحسن**، وإن كان كل ما جاء من الله حسن، **وهناك خير الخيرين، وهناك فاضل ومفضول، وراجح ومرجوح**، وكل ذلك من التفضيل بين الطاعات بحسب العوامل التي سنعرض لها.

وقد تكلم علماؤنا الأفذاذ في هذا سابقاً وألَّفوا فيه كتباً نفيسة دقيقة رائعة كابن تيمية والعز بن عبد السلام والقرافي وابن القيم والشاطبي وغيرهم.

فقد تكلم ابن تيمية عن خير الخيرين فقال: «**ليس من العقل أن يعلم الخير من الشر فقط، بل يجب أن يعلم خير الخيرين وشرَّ الشرَّين، ويعلم أن الشريعة مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وإلا فمن لم يوازن ما في الفعل والترك من المصلحة الشرعية والمفسدة الشرعية فقد يدع واجبات ويفعل محرمات**» [مجموع الفتاوى ١٠/ ٥١٢].



مجالات الذكاء في العبادة

كوننا نتحدث عن الذكاء في العبادة، فكل ما يمكن أن يندرج تحت مسمى العبادة ينطبق الكلام عليه، ومن المفيد أن نلخص أن كل ما في الإسلام يندرج تحت واحدة من أصناف ثلاثة يقوم عليها الإسلام:

١- **العقيدة**: وهي تشكل الجانب النظري من الإسلام، ويمكن اختصارها بأركان الإيمان كالعقيدة بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر، وبالتأمل والتفكر والتدبر بنعم الله وخلقه، والعيش بأسماء الله الحسنى. ومحل هذا الجانب هو العقل الذي عبر عنه القرآن أحياناً بالقلب ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ ﴾ [الحج ٤٦].

٢- **الشريعة**: وهي تشكل الجانب العملي من الإسلام، متمثلاً بكل العبادات الجسدية والمالية واللسانية من صلاة وصيام وقرآن وحج وجهاد وصدقة وزواج وخطبة جمعة و...و....الخ.

٣- **الأخلاق**: وهي تشكل جانب المعاملات بين الناس بعضهم البعض، كبر الوالدين والإحسان إلى الجار وإكرام الضيف ولين الجانب والصدق في الكلام والشجاعة والكرم والمروءة والبشاشة وغيرها.

وفي حديثنا عن العبادات والذكاء فيها، فإننا نتحدث عن كل ما سبق، إذ كله يقع تحت تعريف العبادة مما يحبه الله من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة،

وهي أظهر ما تكون في الصنفين الثاني والثالث (**الشريعة والأخلاق**) إذ هو الذي يظهر من الأعمال، وهو ما سيندرج تحته قائمة تطول من الفرائض والنوافل التي علينا الاختيار منها بذكاء مع ضيق أوقاتنا وحياتنا.





العبادات توقيفية



جاء على لسان كثير من فقهائنا أن الأصل في العبادة التوقُّف، أي لا يجوز أن يُعبد الله بغير ما شرع، بعكس العادات فإن الأصل بها الإباحة ما لم تخالف نصاً شرعياً.. إذن فلا يجوز أن يُؤتى بعبادة جديدة لم يأذن بها الله أو بجنسها، ومدار كل هذا مبني على الرجوع للنصوص من قرآن وسنة صحيحة.

من المهم أن نذكر هذا هنا حتى لا يتبادر لذهن أحد أن من الذكاء في العبادة أن تزيد في الفرض بما لم يأذن به الله، أو تأتي ببدعة من عبادات لا يرضاها رسول الله ﷺ، بل هو معارض تماماً لمبدأ الذكاء في العبادة لقول النبي ﷺ: «من أحدث في ديننا هذا ما ليس منه فهو رد»[1] أي مردود على صاحبه، فأجر صاحبه صفر وهذا من الغباء عموماً وليس من الذكاء، ففيما شرع الله لنا من أنواع العبادات الشتى ما يكفي وزيادة، والذكي هو من أحسن الاختيار والأداء.



---

(١) صحيح: البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) عن عائشة.

والعبادات موقفيَّة

إذا كانت العبادات توقيفية، فهي كذلك موقفية، فما معنى موقفية؟

تستخدم كلمة موقفية في علم الإدارة والقيادة في واحدة من أروع وأكثر نظريات القيادة الحديثة فعالية تُعرف بالقيادة الموقفية (**SituationalLeadership**)، وفيها يعتمد التصرف القيادي الصحيح على ثلاثة عوامل: شخصية القائد، وشخصية التابع، والموقف نفسه وما يحيط به من عوامل ومتغيرات.. إذن فهو لا يعتمد فقط على شخصية ونمط القائد كما كان سائداً في نظريات الإدارة من قبل.

وبالمثل هنا.. فإن الذكاء في العبادة لا يعتمد فقط على العبادة وما ورد فيها من أجر وفضل، بل نناقش فيها كذلك عاملين اثنين إضافيين لهما دور كبير في الذكاء في اختيار العبادة الأَولى والأكثر أجراً والأحب إلى الله هما: **حال العابد، والموقف المحيط به**، وهما ما فصلنا لهما بابين منفصلين في الكتاب.. فمسلم الشرق الأوسط وأولوياته تختلف عن مسلم أوروبا وأمريكيا، والشاب في كليهما تختلف خياراته عن كبير السن، والذكر يختلف أحياناً عن الأنثى، والذي له سنوات في الالتزام والتدين يختلف عن الملتزم حديثاً، وساكن مصر يختلف عن ساكن الخليج، وتختلف خيارات العبادات في أوقات الرخاء عن أوقات الشدة أو الحروب أو المجاعات ... وهكذا. ولذا تجد أن الفتوى أحياناً تتغير باختلاف الزمان والمكان وحال السائل، وهذا كان واضحاً في سنة النبي ﷺ

وسيرته وفتاوى علمائنا بعده.. إذن فنحن نتحدث عن نسبية العبادات.

ومن هنا.. فالعوامل المحددة لاختيار المسلم للعبادات الذكية تقع تحت عوامل رئيسة ثلاثة، أفردنا لكل واحدة منها باباً كاملاً نناقشه بالتفصيل في هذا الكتاب:

١- **طبيعة العبادة ونوعها:** فرض أم نافلة، نفعها لازم أم متعدٍّ، يجوز الإنابة فيها أم لا، أثرها طويل أم قصير، فردية أم جماعية، ...الخ.

٢- **حال العابد:** طاقاته، مواهبه، رغباته، شغفه، تخصصه، طبيعة عمله، وقته وجدوله اليومي، فئته العمرية، صحته من سقمه، شخصيته...الخ.

٣- **الظروف المحيطة: وتشمل:**

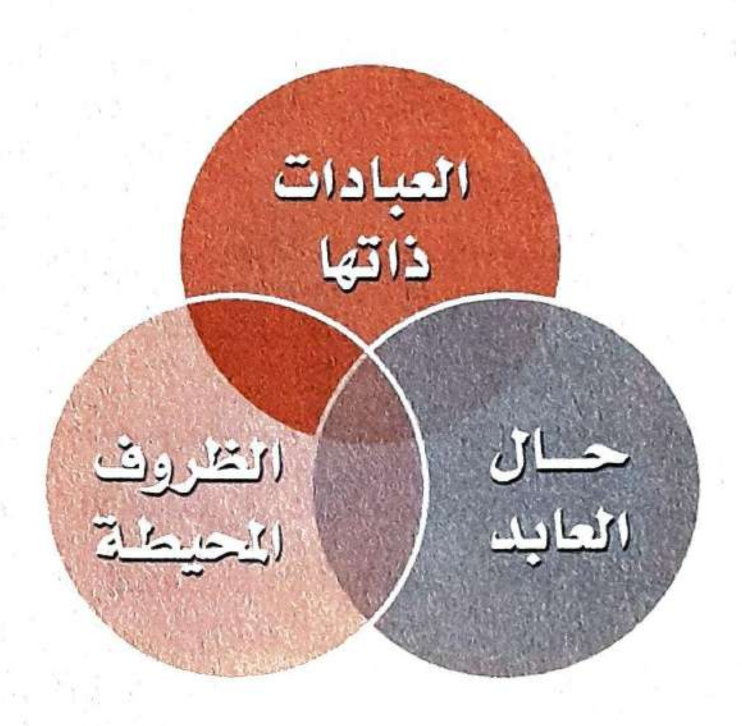
- **المحيط القريب (الوالدان والزوجة والأولاد والأخوات والأهل عموماً):** حالهم، طبائعهم، مرضى أم أصحاء، فقيرون أم أغنياء، مغتربون أم مقيمون معه أو حوله... الخ.

- **المحيط الأبعد (المجتمع الذي يعيش فيه):** بلد إسلامي أم أجنبي؟ منفتح أم محافظ؟ المسلمون فيه قلة وشعائر الإسلام ليست منتشرة أم لا؟ الثقافة السائدة؟

- **حال الزمان والمكان:** الفتن في زمانه أو مكانه؟ مجاعة؟ حروب؟ إلحاد؟ تسلط فرقة ضالة؟ انتشار الفقر؟

يوضح الشكل التالي العوامل الثلاثة للاختيار الذكي للعبادات، ففي نقطة

التقاء العوامل الثلاثة مساحة أضيق هي منطقة الذكاء في العبادة ضمن مئات الخيارات المتاحة من العبادات لا سيما النوافل.





منظومة الأجر



ناقشني صديق لي من قبل عندما عرضتُ فكرة (الذكاء في العبادة) فقال: إننا لا نعبد الله بمقاييس الكم ولا نعد الحسنات عداً في عباداتنا لله، فلا نصلي أو نصوم ونعد كم الحسنات التي كتبها الله لنا، بل نعبد الله خشية له ورجاء وطمعاً في جنته ورضوانه، وهو سبحانه يكتب لنا ما شاء من الأجر.

إن هذا الطرح صحيحٌ نوعاً ما، لكننا لا نستطيع إغفال حقيقة أن القرآن جاء بالوعد والترغيب بالأجر حتى لو كان العابد يعبد الله حباً وخشية، فالأجر وسيلة تحفيز جاء في القرآن والسنة بنوعيه: الأجر المعنوي، والأجر الكميّ **(الرقمي)**.

لقد وردت كلمة الأجر بمشتقاتها في القرآن في ١٠٨ موضعاً، لو استثنينا المواضع التي تتحدث عن الأجر الدنيوي كأجر المرضع والمهر للنساء وأجر موسى لقاء قيامه بالسقيا، فيكون عدد آيات الأجر المترتب على العبادات بأنواعها ٩٥ موضعاً، كقول الله تعالى:

- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴾ [فصلت: ٨].
- ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ [الحديد: ٧].
- ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ [الأحزاب: ٣٥].
- حتى لغة الأنبياء مع أقوامهم كانت بذكر الأجر ﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ

﴿أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٩]، وقد تكرر هذا على لسان غير نبي من الأنبياء عليهم السلام.

وجاءت كثير من النصوص تبين أن العبادات تتفاوت في أجورها بحسب العبادة وما يحيط بها وبالعابد من أحوال ومكان وزمان، وبحسب أولويتها عند الله والمصلحة المترتبة عليها.

ومن قواعد الحسنات والسيئات (**الأجور**) التي تُثبت أن الخطاب الديني قائم على التحفيز والترغيب بالأجور بنوعها الكمي ما يلي:

أولاً: قانون الحسنات والسيئات

لقد بين النبي ﷺ قانون الحسنات والسيئات الذي أمر الله به ملائكته الكرام الكتبة والذي يحاسب عليه، فحدثنا بلغة الأرقام في حساب الأجر.

قال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ؛ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ. وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً**»[1].

ثانياً: قرض الله الحسن:

ورد لفظ القرض الحسن في القرآن ست مرات، منها قوله تعالى:

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة ٢٤٥].

(١) صحيح: البخاري (٦٤٩١)، مسلم (١٣١) عن ابن عباس.

﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١٨].

﴿إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧].

وجاء كذلك في سورة المائدة: (١٢)، والحديد (١١)، والمزمل (٢٠).

وبيد أن المال مال الله، غير أن الآيات تحث على الصدقة والإنفاق في سبيل الله، فكأن المسلم بإنفاقه في سبيل الله يُقرض الله -وهو الغني- ليرده الله إليه مضاعفاً في الدنيا والآخرة، وفي هذا يقول النبي ﷺ: «ثلاث أقسم عليهن: ما نقص مال من صدقة، ...»[1]

وقد ضرب الله لذلك مثل السنبلة التي تُنبت أضعافاً من حبة واحدة، فكذلك المنفق يضاعف الله له الأجر إلى سبعمائة ضعف.. قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة ٢٦١]، إذن فالقرض الحسن من الله يأتي بأجور مضاعفة.

ثالثاً: الذين يُؤتَون أجرهم مرتين

جاءت العديد من النصوص تذكر الذين يؤتون أجرهم مرتين، منها:

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ

(١) صحيح: صحيح الترمذي (٢٣٢٥)، مسند أحمد (١٨٠٦٠) عن أبي كبشة الأنماري.

بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [القصص ٥٢-٥٤].

- قال النبي ﷺ: «**ثلاثةٌ يُؤْتَون أجرهم مرتينِ: الرجلُ تكونُ له الأَمَةُ فيعلِّمُها فيحسنُ تعليمَها ويؤدِّبُها فيحسنُ أدبَها ثم يعتقُها فيتزوجُها فله أجرانِ، ومؤمنُ أهلِ الكتابِ الذي كان مؤمنًا ثم آمن بالنبي ﷺ فله أجرانِ، والعبدُ الذي يؤدِّي حقَّ اللهِ وينصحُ لسيدِه**»[1].

- وقال الله تعالى في أزواج النبي ﷺ: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ [الأحزاب ٣١].

- قوله ﷺ: «**والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو شاقّ عليه فله أجران**»[2].

- قوله ﷺ في التي تتصدّق على قريبٍ لها: «**لها أجران، أجر الصدقة وأجر الصلة**»[3].

- قوله ﷺ في الحاكم إذا أصاب: «**له أجران**»[4].

- قوله ﷺ: «**من سنّ سنّة حسنةً..**» وقوله: «**من دعا إلى هدى ..**».. **وقوله: «من دلّ على خير»**.

- قوله ﷺ في الذي تيمّم ثم وجد الماء فأعاد الصلاة: «**لك الأجر مرّتين**»[5].

ومعنى يُؤتون أجرهم مرتين أي يضاعف لهم الأجر، فربما كتب الله ألف حسنة على فعل ما، فيُعطى صاحبه ألفي حسنة، وهكذا.

---

(١) صحيح: البخاري (٣٠١١) واللفظ له، ومسلم (١٥٤) عن أبي موسى الأشعري.
(٢) صحيح: صحيح البخاري (٤٩٣٧)، صحيح مسلم (٧٩٨) عن عائشة.
(٣) صحيح: صحيح البخاري (١٤٦٦) عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود.
(٤) صحيح: صحيح البخاري (٧٣٥٢)، صحيح مسلم (١٧١٦)، عن عمرو بن العاص.
(٥) صحيح: صحيح أبي داود (٣٣٨) عن أبي سعيد الخدري.

رابعاً: مضاعفة الأجور على عبادات بعينه:

وقد جاءت عشرات النصوص بهذا، تشير إلى زيادة الأجر ومضاعفته على أعمال بعينها، منها على سبيل المثال لا الحصر:

- **الصبر**: قال الله فيه: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، قال الأوزاعي: ليس يوزن لهم، ولا يكال لهم، إنما يغرف لهم غرفاً [تفسير ابن كثير].
- **قراءة القرآن**: على الحرف عشر حسنات، قال النبي ﷺ: «من قرأ حرفًا من كتابِ الله فله به حسنةٌ والحسنةُ بعشرِ أمثالِها لا أقولُ: ﴿الٓمٓ﴾ حرفٌ، ولكن ألفٌ حرفٌ ولامٌ حرفٌ وميمٌ حرفٌ»[١].
- قراءة سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن بالأجر وليس بالفضل.
- السلام ١٠ حسنات، ورد السلام ٣٠ حسنة.
- قول الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن ٤٦].

موجز القول:

أن من خطاب الله لنا ما كان بذكر الأجر العددي (**الرقمي**) من باب التحفيز، فحوى القرآن والسنة منظومة أجر يختلف باختلاف العبادة نفسها وحال فاعلها والزمان والمكان والمشقة والمصلحة والأثر.. ويصبح الذكاء في العبادة هنا في اختيار أيها أكثر أجراً وأولى وأبقى وأحب إلى الله.. وهو ما سنفصل فيه.

---

(١) صحيح: صحيح الترمذي (٢٩١٠) عن ابن مسعود.

مصفوفة الجهد والأثر (للنوافل)

تستخدم كثيراً هذه المصفوفة في علم الإدارة في دراسة الأولويات عند اتخاذ قرار ما، وهي مصفوفة رائعة مفيدة في إعطاء أفق أوسع في تقسيم الأعمال والخيارات المتاحة بناء على عاملين هما الجهد المبذول والأثر المترتب، وهنا نستخدم هذه المصفوفة في الخيارات العديدة المتاحة في باب النوافل لا سيما إذا ضاق الوقت أو الموارد عن أدائها كلها أو أدائها في الوقت نفسه.. وإذا كانت إدارة شؤوننا الدنيوية تتطلب مهارات تفكيرية وإدارية، فمن الذكاء استخدامها في إدارة أمور ديننا وصحائف أعمالنا ومستقبلنا الأخروي.

ونعني بالجهد هنا = المجهود البدني أو المالي أو النفسي أو الوقتي، وهو أمر نسبي يختلف بحال الشخص وزمانه ومكانه وإمكاناته وتوفر أدوات تساعده.

ونعني بالأثر هنا = الأجر المترتب والنتيجة من العمل، وتأثُّر صاحبه أو غيره وانتفاعهم به.

في المصفوفة التالية نعرض لبعض الأمثلة من النوافل وتقسيمها، والهدف منها هو لفت الانتباه وتطوير طريقة التفكير في الخيارات المتاحة للعبد إذا أراد الأجر الأكبر أو كان للعمل أولوية أكثر، لا سيما عندما يضيق الوقت ويصبح المجهود الأقل مطلباً كما في زماننا.. هل لديك أمثلة أخرى؟

	أثر منخفض	أثر عالٍ
مجهود منخفض	- الصلاة في البيت منفرداً. - كلمة في مسجد ناءٍ وحضور قليل. - حضور درس أو برنامج تلفزيوني.	- الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة. - الصلاة جماعة (٢٧ ضعفاً). - قراءة سورة الإخلاص (٣) مرات (أجر قراءة القرآن). - التبكير إلى صلاة الجمعة بعد الاغتسال والمشي للمسجد.v - ذكر أجره عتق رقبة. - الشفاعة الحسنة. - الصدقة الجارية. - الأذكار عموماً ومنها صيغ خاصة لها أجور خاصة. - الجهاد بالمال للغني الميسور.
مجهود عالٍ	- تأليف كتاب اختلطت نية صاحبه ولم يُكتب له الانتشار. - تتبع مخطوطات قديمة غير مهمة. - تأليف كتاب للعوام لا يناسب مستوى لغتهم واهتماماتهم. - سلسلة مواعظ في مسجد لا تُسجل بالمقارنة بالانتشار الإعلامي حالياً.	- الصلاة في الحرم المكي لغير المقيم في مكة - الصوم في الصيف (نهار أطول، درجات حرارة أعلى) - برنامج تلفزيوني أو يوتيوبي ٣٠ يحصد مشاهدات - بناء مسجد. - دعوة غير المسلمين في أفريقيا. - إنشاء وإدارة دار أيتام أو دار تحفيظ قرآن - تربية ابن صالح ليدعو له - حفظ سور القرآن - الجهاد بالنفس (الذي يقرره العلماء الربانيون وأولوا الأمر)

ملحوظات على المصفوفة:

- **نسبية الأعمال**: فكل ما ذكرناه أمر نسبي يختلف باختلاف الأشخاص وطبائعهم وطاقاتهم، ويختلف باختلاف الزمان والمكان والظروف المحيطة، فقد يكون الصوم لأحد في الصيف في بلد يمتاز بقصر النهار واعتدال الطقس مريحاً، بينما شاقاً على غيره في بلد آخر.. وبناء مسجد لغني ميسور جهده قليل بالمقارنة بمتوسط الدخل.. وتأليف كتاب قبل عشرين سنة أصعب بكثير من زماننا الآن ... وهكذا.

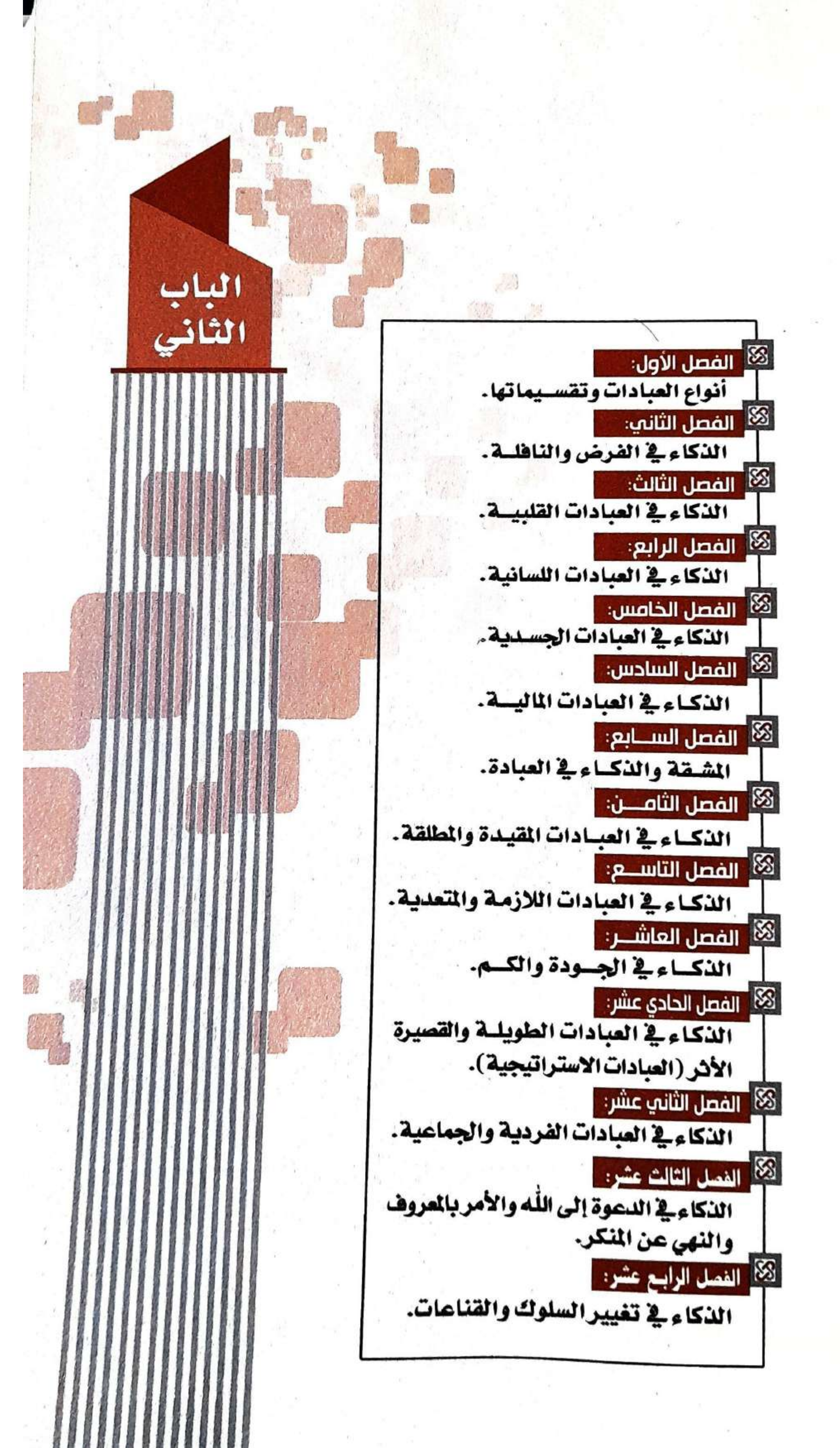
- **أفضل خيار مطلوب منطقياً** هو مربع (المجهود المنخفض - والأثر العالي) وهو ما يخدم مبدأ الذكاء في العبادة غالباً، وأقل خيار مرغوب هو مربع (المجهود العالي - والأثر المنخفض) لأنه جهد كبير مهدر والنتيجة ليست بتلك المرجوة إلا أن يبارك الله في العمل ويكتب له القبول عنده والأجر العظيم لصاحبه، ثم يختلف الخياران الآخران بحسب المجهود والموارد والأدوات المتاحة، فربما كان لا بد من المجهود العالي لتحصيل الأثر العالي، لذا يحتسب المرء الأجر ويمضي، وربما لم يكن له حيلة إلا ذاك المجهود القليل ولو أتى بالأثر القليل.. والله يجازي بالنية ما لا يجازي بالعمل أحياناً إذ نية المرء أبلغ من عمله.

- **كل الأعمال مطلوبة** باختلاف أنواعها وأثرها والجهد المبذول فيها، ويجب سد كل الفراغات والحاجات الدينية، فلو ركز الناس على مربع واحد لأثمت الأمة.

- **تقييم الأثر** يكون باستقلاليته أحياناً، وبمقارنته بغيره من الأعمال أحياناً أخرى كمقارنة الصلاة جماعة مع الصلاة منفرداً. ويؤثر في تقييم الأثر عوامل أخرى باطنة مخفية كالإخلاص وتوفيق الله، فرب كلمة في مسجد ناءٍ حضرها خمسة تركت أثراً فيهم أكثر من كلمة في مسجد سوق يرتاده ألف مصلٍّ، ورب درهم سبق ألف درهم، ... الخ. غير أننا ندرس الظاهر هنا ونحكم عليه، والله أعلم بالسرائر وهو يجازي عليها.

- **بعض الأثر** يصعب تقييمه وحصره، فقد يبارك الله في عمل ما ويجعل فيه الأثر العظيم لصدق نية صاحبه. فمثل هذا لا يمكن حصره وليس هو بالطبع موضوع بحثنا.





الباب الثاني

الفصل الأول:
أنواع العبادات وتقسيماتها.

الفصل الثاني:
الذكاء في الفرض والنافلة.

الفصل الثالث:
الذكاء في العبادات القلبية.

الفصل الرابع:
الذكاء في العبادات اللسانية.

الفصل الخامس:
الذكاء في العبادات الجسدية.

الفصل السادس:
الذكاء في العبادات المالية.

الفصل السابع:
المشقة والذكاء في العبادة.

الفصل الثامن:
الذكاء في العبادات المقيدة والمطلقة.

الفصل التاسع:
الذكاء في العبادات اللازمة والمتعدية.

الفصل العاشر:
الذكاء في الجودة والكم.

الفصل الحادي عشر:
الذكاء في العبادات الطويلة والقصيرة الأثر (العبادات الاستراتيجية).

الفصل الثاني عشر:
الذكاء في العبادات الفردية والجماعية.

الفصل الثالث عشر:
الذكاء في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الفصل الرابع عشر:
الذكاء في تغيير السلوك والقناعات.

الفصل الأول

أنواع العبادات وتقسيماتها

في هذا المبحث تفصيل لبعض أنواع العبادات باختلاف تقسيماتها، وهي ضرورية لتأصيل ما سيأتي لاحقاً من فصول هذا الباب لربط الذكاء باختيار العبادات بناء على تقسيماتها وميزاتها.

أنواع العبادات بحسب مصدر أدائها:

١- **قلبية**: كالخوف والرجاء والإخبات والإخلاص وكتعظيم الله والتوكل عليه والتوبة والندم والخشوع والحب في الله والبراء من أعداء الله والتفكر في آلاء الله.

٢- **لسانية**: كالاستغفار والصلاة على النبي ﷺ وذكر الله وقراءة القرآن والدعوة إلى الله والخطابة وتعليم الناس، وسُمِّيت باللسانية باعتبار اللسان هو العامل الرئيس فيها حتى لو كان للعين دور فيها كقراءة القرآن.

٣- **بدنية (جسدية)**: كالصلاة والصيام وإرشاد أعمى وخدمة المرضى والضعفاء والجهاد بالنفس.

٤- **مالية**: كالزكاة والصدقات والإنفاق في سبيل الله عموماً كحفر الآبار وبناء المساجد وسداد دين فقير وإعانة محتاج.

وقد تجمع العبادة الواحدة غير واحدة من أنواع العبادات كالحج الذي فيه عبادات جسدية ومالية ولسانية وقلبية، وكالدعاء الذي يجمع بين اللسانية

والقلبية إذ لا بد من حضور القلب وجمعيَّته أثناء الدعاء فالله لا يستجيب من قلب ساهٍ لاهٍ.. وهكذا.

أنواع العبادات بحسب نفعها

١- **عبادات نفعها لازم (قاصر)**: أي ينتفع بها صاحبها فقط أجراً وأثراً، كالصلاة والصيام وقراءة القرآن والأذكار والعمرة والحج.

٢- **عبادات نفعها متعدٍّ**: أي يتعدى نفعُها صاحبها لتنفع غيره، كالزكاة والشفاعة وتنفيس الكرب والدعوة إلى الله وتعليم القرآن.

أنواع العبادات بحسب أزمنة تكرارها

١- **عبادات لحظية**: كعقيدة المؤمن وإيمانه بالله فهي تلازمه في كل لحظة وآن **(قلبية)**، وهي ما عناه الله تعالى في قوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢].

٢- **عبادات يومية**: كالصلوات الخمس والنوافل كالوتر والضحى **(بدنية)**، وكأذكار الصباح والمساء **(لسانية)**.

٣- **عبادات أسبوعية**: كصلاة الجمعة **(بدنية)**، وقراءة سورة الكهف يوم الجمعة **(لسانية)**، وصيام الاثنين والخميس **(بدنية)**.

٤- **عبادات شهرية**: كصيام ثلاثة أيام من كل شهر (بدنية)، وكالإنفاق على عائلة فقيرة **(مالية)**.

٥- **عبادات سنوية**: كالزكاة **(مالية)**، وكصيام رمضان **(بدنية)**، وصلاة العيدين **(بدنية)**، والأضحية **(مالية)**.

٦- **عبادات عمرية**: أي مرة واحدة في العمر، كالحج والجهاد الحق لمن استطاع ذلك (بدنية).

أنواع العبادات بحسب ارتباطها

١- **عبادات مُقيَّدة**: وهي عبادات مرتبطة بواحدة مما يلي:

- **بالزمان والمكان معاً**: كالحج لا يكون إلا في ذي الحجة وفي مكة.
- **بالمكان دون الزمان**: كالعمرة وكالطواف لا يكونان إلا في مكة، وكدعاء دخول البيت متعلق بالبيت، وتحية المسجد لا تكون إلا في المسجد.
- **بالزمان دون المكان**: كالصيام الفريضة الذي لا يصح إلا في رمضان، وكالصلوات عموماً، ومنها بعض النوافل كالضحى والوتر والسنن الرواتب القبلية والبعدية، كلها مرتبطة بأزمان.
- **بسبب**: كالاستخارة، وركعتي الوضوء، وركعتي تحية المسجد، وصلاة الكسوف.
- **بحال**: كالقصر والجمع في السفر وعند المطر، دعاء المسافر.

٢- **عبادات مُطلقة**: وهي عبادات غير مقيدة بزمان أو مكان أو هيئة أو سبب أو حال سواء كانت فرضاً كالزكاة والكفارات، أو نافلة كالأذكار المطلقة والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ وتلاوة القرآن ونحو ذلك.

وقد يكون وقت أداء العبادات المقيدة موسّعاً يتسع لأداء عبادة أخرى من جنسه معه كوقت العشاء فإنك تؤدي فيه صلاة الفريضة ثم السنة البعدية

والوتر، وقد يكون ضيّقاً لا يتسع لأداء عبادة أخرى من جنسه معه كصوم رمضان فإن وقته لا يتسع لصيام نافلة معه.

أنواع العبادات بحسب الحكم التكليفي:

١- **فرض:** يُؤجر فاعله ويُؤثم تاركه، كأركان الإسلام الخمس وبر الوالدين

٢- **مندوب:** يُؤجر فاعله ولا يُؤثم تاركه، كالسنن الرواتب والصدقات والدعاء والنوافل عموماً.

٣- **مباح:** لا يُؤجر ولا يُؤثم بفعله أو تركه.

٤- **مكروه:** **يُؤجر** تاركه ولا يُؤثم فاعله، كإضاعة المال والقيل والقال وكثرة السؤال.

٥- **حرام:** ويُؤجر تاركه ويُؤثم فاعله، كشهادة الزور والزنا والربا.

ويمكن أن تدور الأحكام الخمسة على العبادة الواحدة بحسب الحال أو الزمان، مثال ذلك الصيام، يكون فرضاً في رمضان وعند النذر، ويكون مندوباً أحياناً كصيام ثلاثة أيام من كل شهر أو صيام الاثنين والخميس، ويأتي مكروهاً كصيام يوم الشك **(الثلاثين من شعبان)**، ويأتي محرماً كصيام يوم العيد، ويأتي مباحاً إذا كان صياماً غذائياً صحياً. وما ينطبق على الصيام ينطبق على بعض العبادات الأخرى.

ومن المهم معرفة أن الواجبات فيما بينها لا تستوي بالأجر وكذلك السنن، والحرام لا يستوي كله في الإثم فهناك الكبائر وهناك الصغائر. غير أننا في بحثنا هذا نسلط الضوء على ما يقع تحت بند الفرائض والسنن **(النوافل)** فقط من العبادات لحصول الأجر من ذلك.

أنواع العبادات بحسب الإنابة في أدائها:

١- **عبادات لا تجوز فيها الإنابة**: كالعبادات اللسانية والقلبية والجسدية للقادر عليها كالصلاة والصيام، واختلفوا في أصحاب الأعذار والموتى ممن عليهم صوم أو صلاة.

٢- **عبادات تجوز فيها الإنابة**: كالعبادات المالية كالزكاة والصدقات والكفارات المالية لأن المهم فيها إخراج المال، وكالنذور، وكالحج أو بعض شعائره لغير القادر من المرضى أو أصحاب الأعذار.

أنواع العبادات بحسب أدائها منفرداً أم في جماعة:

١- **عبادات فردية**: وهي التي يُؤديها منفرداً وحده كصلاة الضحى والأذكار والسنن الرواتب.

٢- **عبادات جماعية**: وهي التي يؤديها في جماعة كصلاة الجماعة والحج وصلاة العيدين.

أنواع العبادات بحسب أثرها

١- **عبادات طويلة الأثر والمدى**: وهي التي يستمر أثرها لزمن طويل كتأليف كتاب والصدقة الجارية والولد الصالح.

٢- **عبادات قصيرة الأثر والمدى**: كإطعام الطعام، وإفشاء السلام، وإرشاد أعمى، وسداد دين.

وهناك تقسيمات أخرى يطول الكلام والتفصيل فيها، كالعبادات الليلية والنهارية، السرية والجهرية، والظاهرة والباطنة... وغير ذلك.

مما سبق يمكن تلخيص أنواع العبادات في الجدول التالي:

الحكم التكليفي	وقت أدائها	ارتباطها	عدد مؤديها	أثـرها	النفع	مصدر أدائها	زمن تكرارها
فرض عين	مقيدة	بالزمان والمكان معاً	فردية	طويلة المدى	لازم	قلبية	يومية
فرض كفاية	مطلقة	بالزمان فقط	جماعية	قصيرة المدى	متعدي	لسانية	أسبوعية
نافلة		بالمكان فقط				بدنية	شهرية
		بسبب				مالية	سنوية
		بحال					عمرية

- فمن أمثلة عبادات الفرض المقيدة بالزمان والمكان معاً ونفعها لازم وهي عبادة بدنية ومالية عمرية: **الحج**.
- ومن الأمثلة على عبادة نافلة مقيدة بالزمان، نفعها لازم، وهي عبادة لسانية يومية: الترديد خلف الأذان، **وأذكار الصباح والمساء، وأذكار ما بعد الصلوات.**
- ومن أمثلة العبادات الفرض المطلقة المتعدي نفعها والتي تُؤدى باللسان والبدن كل يوم: بر الوالدين.
- ومن أمثلة العبادات النافلة المطلقة المتعدي نفعها، وهي عبادة مالية شهرية: **كفالة يتيم، ومثلها عمرية أو سنوية بناء مسجد أو بناء وقف إسلامي.**
- ومن الأمثلة على عبادات نافلة مقيدة لازمة نفعها قلبية يومية: **الخشوع** في الصلاة. ومثلها فرض مطلق قلبي لازم يومي بل لحظي: **الإخلاص.**



الذكاء في الفرض والنافلة

اختبر ذكاءك:

- أيهما أذكى (أكثر أجراً): صلاة ٨ ركعات من قيام الليل أم صلاة ركعتي الفجر الفريضة؟
- أيهما أذكى (أكثر أجراً): بر الوالدين أم السفر في الدعوة إلى الله في إفريقيا؟
- إذا كان أمامك خياران عليك اختيار أحدهما فأيهما تختار: أن تحج حجاً نافلة ليغفر لك ما تقدم من ذنبك أم تقدم العون والصدقات لمسلمين تضرروا من الحروب أو الزلازل أو المجاعات؟

تمهيد وشرح:

تنقسم العبادات من حيث حكمها الفقهي إلى أربعة أقسام تتفاوت في الأجر والأولوية وحب الله لها[1] (انظر الجدول في الصفحة التالية).

إذن فتتفاوت الفرائض (**الواجبات**) وكذلك النوافل (**السنن**) في الأجر والدرجة وحب الله لها، فالفروض أكثر أجراً وأحب إلى الله من النوافل مهما كثرت النافلة، وإنما جاءت النوافل لتسد النقص الذي في الفرائض.

(١) مع الأخذ بعين الاعتبار اختلاف بعض المذاهب الفقهية في الحكم الشرعي لبعض العبادات.

حكم العبادة	معناهـــا	الأولوية	أمثـــلة
فرض عين	واجب على كل فرد ولا يسقط إلا بفعل كل واحد له	١	الصلاة والزكاة وصوم رمضان وبر الوالدين والنفقة على الأهل وتربية الأولاد
فرض كفاية	إن قام به البعض سقط عن الكل	٢	الدعوة إلى الله وجهاد الطلب وتعليم الناس الخير ورد السلام وصلاة الجنازة
سنة مؤكدة	واظب عليها النبي ﷺ في حله وسفره	٣	صلاة العيدين، والكسوفين، والاستسقاء، والوتر، وصلاة الليل، وركعتي الفجر، والسنن الرواتب، وصلاة الضحى، وصلاة التراويح في رمضان، والسواك، والأضحية.
سنة غير مؤكدة	كان يتركها أحياناً	٤	ركعتين قبل العشاء، وأربع قبل العصر، والاستخارة

وقد جاءت نصوص عديدة تُثبت هذا المبدأ، منها:

- قول الله تعالى في الحديث القدسي: «**وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ**»[1]، فالفرض أحب إلى الله ثم تأتي النافلة.

- قول النبي ﷺ: «**دِينارٌ أنْفَقْتَهُ في سَبيلِ الله، ودِينارٌ أنْفَقْتَهُ في رَقَبَةٍ، ودِينارٌ تَصَدَّقْتَ به علَى مِسْكِينٍ، ودِينارٌ أنْفَقْتَهُ علَى أهْلِكَ، أعْظَمُها أجْرًا الذي**

---

(١) صحيح: صحيح البخاري (٦٥٠٢) عن أبي هريرة.

أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ»[1]، لأن النفقة على الأهل واجبة وما سواها في الحديث نافلة، والأقربون أولى بالمعروف دائماً.

ولقد نقلنا من قبل تعريف العبادة بأنها: كل ما يحبه الله من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، فإذا كان الله يحب الفرض أكثر فالذكاء في العبادة يتضمن حتماً ومنطقاً أن يأتي المرء الأحب إلى الله والأكثر أجراً وهي الفريضة ثم النافلة، فإذا ضاق الوقت أو الموارد عن فعل كليهما ولم تَجُزْ الإنابة عن فعل عبادة ما، فإن من الذكاء العناية بالفرض منها حتماً وتقديمه على النافلة حتى إن فوَّت النافلة مهما كثر عددها، سواء كان الفرض والنافلة من جنس العبادة نفسها (**صلاة فرض مقابل صلاة نافلة**)، أو من جنس آخر (**بر الوالدين مقابل العمل الخيري**).

قواعد الذكاء..

(١) ليس الذكاء بالقلة أو الكثرة إذا اختلف الحكم الشرعي للعبادة بل بوزنها وحكمها، فإذا ضاق الوقت عن فعل عبادتين فيُقدم الحكم الشرعي على الكثرة: ففرض العين أولى من فرض الكفاية، وفرض الكفاية أولى من السنن المؤكدة، والسنن المؤكدة أولى من السنن غير المؤكدة.

(٢) إذا اتسع الوقت: فالذكاء أن تأتي الفرض وتُكثر من النافلة شرط ألا تضيِّع واجباً آخر على حساب النافلة.

(٣) إذا تساوت عبادتان في الحكم (فرض مع فرض، أو نافلة مع نافلة): ننظر إلى المعايير والمصالح الأخرى (متعدية النفع أم قاصرة؟ عدد المستفيدين منها؟ طويلة أو قصيرة الأثر؟)[2]

---

(١) صحيح: صحيح مسلم (٩٩٥) عن أبي هريرة.

(٢) يتم مناقشة هذه المعايير في الفصول القادمة بالتفصيل.

تطبيقات وأمثلة عملية..

- صلاة ثمان ركعات قيام الليل أكثر من ركعتي الفجر الفريضة في العدد، غير أن صلاة ركعتي الفجر الفريضة في وقتها أذكى وأحب إلى الله من عشرين ركعة نافلة لأن الفجر فريضة.

- الزكاة بمائة دينار أحب إلى الله من الصدقة بألف، وصيام رمضان أو قضاء أيام منه أحب إلى الله من صيام النافلة (**يُستثنى من ذلك ما ضاق وقته كصيام ست من شوال لمن عليه قضاء**).

- بر الوالدين فرض عين، وجهاد الطلب فرض كفاية، فيُقدَّم بر الوالدين على جهاد الطلب، ولذا لما جاء رجل إلى النبي ﷺ يستأذنه للجهاد، قال له النبي ﷺ: **«أحيٌّ والداك؟ قال: نعم، قال: ففيهما جاهد»**[1].

- كذلك الحج فهو لمن استطاع إليه سبيلاً، فيُستأذن الدائن فإن قبل حج المرء وإلا فسداد الدين أولى. وسداد الدين كذلك أولى من الصدقات والإنفاق على الفقراء لأنها نافلة أما سداد الدين فرض.

- لما جاء رجل للنبي يسأله: **«أيُّ الأعمالِ أَحَبُّ إلى الله؟ قال: الإيمانُ بالله قال: ثم مَهْ؟ قال: ثم صِلَةُ الرَّحِمِ قال: ثم مَهْ؟ قال: ثم الأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكرِ»**[2]، لأن الإيمان بالله فرض عين وهو أقوى الفروض وأولاها على الإطلاق، ثم صلة الرحم فرض عين أقل وجوباً من الإيمان بالله، ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عموماً فرض كفاية، وفرض العين أقوى وأولى من فرض الكفاية.

---

(١) صحيح: البخاري (٣٠٠٤)، مسلم (٢٥٤٩) عن عبد الله بن عمرو.
(٢) صحيح: صحيح الترغيب (٢٥٢٢) عن رجل من خثعم.

- لما سأل ابن مسعود رسول الله ﷺ: «أيُّ الأعْمالِ أحَبُّ إلى الله؟ قالَ: الصَّلاةُ علَى وقْتِها قُلتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قالَ: ثُمَّ برُّ الوالِدَيْنِ قُلتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قالَ: ثُمَّ الجِهادُ في سَبيلِ اللَّهِ»[1] لماذا في رأيك؟ (الإجابة في النقطة أعلاه).

- لما اكتتب رجل في غزوة وخرجت امرأته حاجة، أمره النبي ﷺ أن يلحق بامرأته فيحج معها، لأن جهاد الطلب فرض كفاية أما سفر المحرم مع أهله في ذاك الزمان وضمن تلك الظروف ففرض عين.

- بعض الدعاة يسافرون للدعوة إلى الله ويتركون بيوتهم وأهليهم لأسابيع، يتكرر هذا كثيراً، وكنت أرى أبناءهم في حالة تربوية وأخلاقية لا تسر... ليس هذا من الذكاء ولا الأولوية، فالعناية بالأولاد فرض عين على آبائهم، أما الدعوة ففرض كفاية أو سنة.

- بعض الموظفين يسهر الليل في خير ما كتعلُّم العلم أو في الدعوة أو غيرها، ويؤثر ذلك عن نشاطه وإنتاجيته حال عمله نهار اليوم التالي، وإذا كان تعلُّم العلم نافلة فإن أداء العمل (الوظيفة) على أتم وجه واجب تجاه صاحب العمل لا يجوز التقصير فيه، فإن استطاع التوازن وأن يجمع بينهما فبخٍ وإلا ترك السهر.

- البعض يصوم كل اثنين وخميس صيام تطوع (نافلة)، غير أن طبيعة جسده يُرهقها الصيام -لا سيما في الصيف- فلا يستطيع إنجاز عمله أثناء الدوام (واجب)، الإفطار أذكى وأولى لإنجاز حقوق العباد وعدم تأخيرهم، ويمكنه الصيام وقت عطلته.

---

(١) صحيح: صحيح مسلم (٨٥) عن عبد الله بن مسعود.

- صيام المرأة التطوع يجب أن يكون بإذن زوجها لأن حقه عليها واجب، أما صيامها التطوع فنافلة.

- طبيب يعمل في مستشفى في قسم الطوارئ، وحضر مريض ينزف جراء حادث ويحتاج إلى عملية جراحية طارئة أو تدخُّلٍ لإنقاذه، تُؤَخَّرُ الصلوات في حق الطبيب فيجمع ما يمكن منها (**المغرب مع العشاء مثلاً**) ويقوم بإنقاذ المصاب، لأن إنقاذ تلك الروح أصبح فرض عين في حق الطبيب مُقدَّم كمصلحة على أداء الصلوات في وقتها. (انظر القاعدة الثالثة إذا تساوت عبادتان في الحكم).

- تمريض الأم (أو الزوجة أو الأخت أو الأب) في البيت والمكوث معها للعناية بها أكثر أجراً وأولى وأحب إلى الله من صلاة الجماعة في المسجد، بل تسقط الجمعة في حقه إذا كان في تركه ضرر لها ولم ينُبْ عنه أحد.

- هناك تخصصات دنيوية تحتاجها الأمة كبعض التخصصات الأكاديمية أو الصناعية التي تنهض بالأمة، يصبح التوسع في هذه التخصصات لأصحابها وخدمتهم الأمة فرض كفاية في حقهم، وهو أولى من قيامهم ببعض النوافل القاصرة النفع لكون فعلهم متعدي النفع وفرض كفاية.

تذكر.. أن كل ما ذكرناه هو في حال ضاق الوقت أو الموارد (**المالية أو البشرية**) عن أداء كل الطاعات الممكنة، فإن اتسع الوقت فالذكاء أن تأتي الفرض وتُكثر من النافلة ما استطعت (**القاعدة الثانية**).



الفصل الثالث

الذكاء في العبادات القلبية

العبادات القلبية: هي عبادات محلها القلب.. ومن عجيب أمر العبادات القلبية أنها من أقل العبادات مجهوداً وأعظمها أجراً إذا ما قورنت بالعبادات اللسانية أو الجسدية أو المالية.. إن السباق إلى الله سباق قلوب وليس سباق أبدان أو مجرد طقوس وشعائر أو منافسة بالكمّ والعدد في عبادات جسدية أو لسانية تخلو من حضور القلب.. «**ما سبقكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في قلبه**»[1].. إن حضور القلب وتدريبه على جمعيته أثناء العبادات هو مطلب رئيس وهو كالروح للجسد.. لا تدمع العين خشوعاً إلا لحضور القلب وتفكره وإخباته، يبدأ الأمر كله في القلب ثم ينعكس على الجوارح.

«**إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح سائر الجسد....**»، فالقلب قائد المسيرة وهو المحرك الرئيس (**الدينامو**) للأعضاء خيراً وشراً، إن صلح صلحت الأعضاء تباعاً، فيغض المرء بصره عن الحرام، ويكف يده عن السرقة والحرام، وتمتنع القدم عن الذهاب إلى حيث يكره الله، وتصم الأذن نفسها عن سماع الحرام، ويستقيم اللسان فلا يكذب ولا يسب ولا ينافق، والعكس صحيح فأعمال المرء دليل وانعكاس على ما في قلبه.

---

(١) اشتهر هذا القول عن التابعي بكر بن عبد الله المزني وعزاه ابن القيم إلى أبي بكر بن عياش

وبالنظر إلى العبادات القلبية نجدها تنقسم إلى نوعين:

نوع العبادة القلبية	معناها	أمثله
عبادات قائمة بذاتها (مطلقة)	لا يلزم لأدائها زمان أو مكان أو تداخل مع عبادات أخرى جسدية أو مالية أو لسانية.	تقوى الله وخشيه، والتوكل عليه، والتفكر في آلائه ونعمه، وحب الله، والرضا بقضائه، والندم على الذنب.. وهي المحرك الرئيس للعبادات الجسدية والمالية واللسانية، فربما أنشأ المرء عبادة مالية كصدقة أو لسانية كقراءة صفحات من القرآن بعد ندمة على ذنب ما.
عبادات تُؤدَّى مع عبادات أخرى (مقيدة)	عبادات مقيدة بعبادات أخرى أو بزمان أو مكان.	كالخشوع في الصلاة، وكتدبر القرآن، والإخلاص في كل العبادات، والورع في كسب المال وإنفاقه.. فالصلاة عبادة جسدية والخشوع عبادة قلبية تتداخل في الصلاة، وقراءة القرآن عبادة لسانية والتدبر عبادة قلبية تتداخل فيها... وهكذا.

ويُلحق أحياناً بالعبادات التي منشأها القلب العبادات التي منشأها العقل والفكر، فللقلب عقل خاص به -كما أثبتت ذلك دراسات حديثة- ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩]، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ [الحج: ٤٦]، فالتدبر والتفكر في خلق الله منشأه العقل ويتأثر به القلب.

الجزء الأول

الذكاء في العبادات القلبية القائمة بذاتها (المطلقة)

اختبر ذكاءك..

- هل يمكن أن تكون هناك عبادات قلبية تفوق في أجرها عبادات جسدية أو مالية؟
- ما هي أمُّ العبادات القلبية التي أرادها الله من الأمم والإنس كافة؟
- هل يمكن ممارسة العبادات القلبية في المباحات؟

شرح وتمهيد..

العبادات القلبية القائمة بذاتها (المطلقة) كالتقوى، والتوكل، والإخبات، والخوف، والرجاء، والتفكر، والندم على الذنب، وتعظيم الله، والرضا بقضائه، وحب الله ورسوله، وحضور القلب بالدعاء، والتذلل لله والخضوع الدائم له، والاعتراف بالفقر إليه، هي من أحب العبادات إلى الله.. أقسم لك أنها ترفعك في أعلى أعالي الجنان ولو قلّت عباداتك الجسدية من النوافل.

ومن ميزات هذا النوع من العبادات:

١- لا تتطلب وقتاً أو مكاناً بعينه، بل مكانها القلب وأعماق النفس، ووقتها مفتوح تستطيع فعلها في أي وقت.. وأنت تقود السيارة، وأنت تنتظر دورك في مكان ما، حتى وأنت نائم.

٢- ذات مجهود بدني قليل أو يكاد يكون معدوماً، غير أن لها أجراً عظيماً يفوق عبادات جسدية ومالية، كل ما تحتاجه فقط هو مجاهدة النفس والتغلب على ميول القلب، تأمل في هذه النصوص:

- قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].
- وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٢].
- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢].

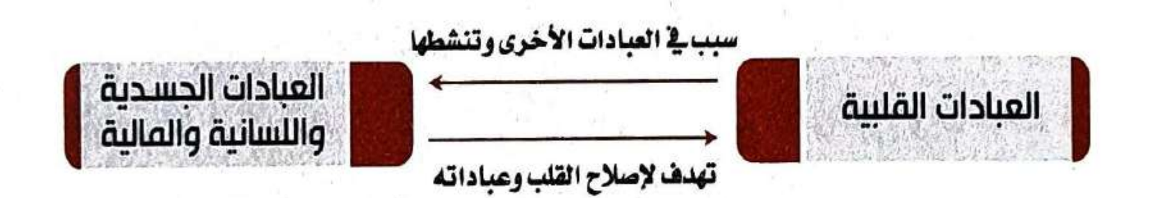
٣- لو تأملتَ في العبادات الجسدية والمالية واللسانية، ستجد بعد الاستقراء أنها كلها تعمل على إصلاح ما في القلب، بل وتهدف إلى حكمة واحدة أقرَّها القرآن في نصوص عدة هي تحقيق التقوى رأس الأعمال القلبية.. تأمل هذه النصوص القرآنية:

- الصوم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٨٣].
- الحج: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].
- الصلاة: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢].
- القصاص: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩].

- في المعاملات المالية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ ﴾ [البقرة: ٢٧٨].

- بل هدف كل العبادات تحقيق التقوى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١].

إذن فهي تعمل في اتجاهين، فالعبادات القلبية محرك رئيس للعبادات الجسدية واللسانية والمالية، تحفز الأعضاء للقيام بها.. وهدف العبادات الجسدية واللسانية والمالية بالمقابل إصلاح القلب وتقويته بأثر راجع.



قواعد الذكاء..

- الإكثار من هذا النوع من العبادات، إذ أجره يفوق أجر نوافل الجسدية ومالية ولسانية عظيمة الأجر.

- قياس مؤشرات التقوى دائماً في القلب[1].

- إتيان العبادات القلبية المطلقة في المباحات الدنيوية.

---

(١) راجع فصل (قياس مؤشرات قبول العبادات) KPIs – الباب الرابع.

تطبيقات وأمثلة عملية..

- هل منحنى التقوى في تصاعد مستمر بالمجمل فتُقبلُ نفسُك على الطاعات عموماً أم أن إقبالك على العبادات في هبوط؟

- إذا كنتَ وحدك، ما مستوى خوفك من الإقدام على معصية حيث يراك الله وحده؟

- ممارسة عبادة التفكر في خلق الله أثناء أوقات الانتظار في الأماكن العامة، في السيارة أثناء الزحام، في أوقات الفراغ.

- عبادة التوكل على الله عبادة تكاد تكون غائبة في حياتنا اليومية، فوض أمرك لله في كل شؤونك وتوكل على الحي الذي لا يموت، حتى وإن كنتَ متيقناً من مهاراتك أو من حصولك على مرادك.

- يحب الله عبادة التفكر في آلائه ونعمه وخلقه، تفكر في وجوه الناس وتقاسيمها، في ألوانهم، في لهجاتهم ولغاتهم، في حركاتهم، في طبائعهم وميولهم المتنوعة.

- يذهب كثيرون للسياحة في أوروبا وآسيا للاستمتاع بالمناظر الجميلة، من الذكاء ممارسة عبادة التفكر في خلق الله وجميل صنعه عند النظر إلى الطبيعة، ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [العنكبوت: ٢٠]، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الحج: ٤٦].

- زيارة القبور ترقق القلب وتزيد التقوى وتذكر بالمصير الحتمي، فتقوى عبادات القلب وتتجدد.

- عدَّ نعمه عليك في صحتك وجسدك.. اذهب إلى المستشفيات وانظر إلى من يجلسون على الأسرة البيضاء، ذاك يغسل الكلى كل أسبوع ثلاث مرات، وذاك فقد رجله في حادث، وذاك يزرع بطارية تساعد قلبه على النبض.. سيرقُّ قلبك إذا تذكرت نعمه عليك.

- من عبادات القلب التي يحبها الله عبادة الافتقار إليه والتذلل له، اعترف له بفقرك وعجزك وتبرأ له من حولك وقوتك، وقل له محتاج إليك.. محتاج إلى عونك وتوفيقك.. محتاج أن تيسر لي أموري.. ذاك التذلل أحب إليه من عشرات الركعات بلا خشوع وتذلل.

- الدعاء في حضور القلب نوع من التذلل الذي يحبه سبحانه، لأنه إعلان افتقار وفقر وعجز بين يديه.

- حب الله وحب رسوله عمل قلبي يورث صاحبه أعلى درجات الجنة.. لما سأل رجل رسول الله ﷺ: متى الساعة؟ قال له النبي ﷺ: ماذا أعددت لها؟ فقال: ما أعددتُ لها كثير صلاة ولا صيام ولا صدقة غير أني أحب الله ورسوله، فقال له النبي ﷺ: «**أنت مع من أحببت**».



الجزء الثاني

الذكاء في العبادات القلبية المتداخلة بغيرها (المقيدة)

اختبر ذكاءك..

- هل يمكن أن يُكتب للمرء أجر العبادة كاملة من غير أدائها (مجهود صفر)؟ وهل يمكن أن يُكتب له أجر صفر بمجهود كبير أدّاه؟
- **أيهما أذكى**: أن تصلي في جوف الليل الآخر مع قلة الخشوع لتضمن الأجر الأكبر في جوف الليل أم تصلي أول الليل مع تمام الخشوع لتضمن الصلاة بدلاً من تستغرق بالنوم؟
- هل يجوز تعدد النيَّات في العبادة الواحدة؟ وهل هذا يُكسب أجراً مضاعفاً مع ثبات المجهود نفسه؟

شرح وتمهيد..

العبادات القلبية المقيدة هي عبادات مرتبطة ومتداخلة مع غيرها كالإخلاص الذي يدخل في كل العبادات، وكالخشوع في الصلاة، وكتدبر القرآن، والورع في كسب المال وإنفاقه، ومراقبة الله في القضاء بين الناس... الخ.

إننا كثيراً ما نأتي الفرائض والسنن من العبادات ونحرص على أركانها وفرائضها وآدابها وهو مطلب رئيس، لكننا نغفل عن الجانب القلبي منها فيستحيل الأمر إلى طقوس وشعائر تُؤدى خاوية من الروح، مُهملين أو متناسين أن من أهم متعلقات العبادات حضور القلب فيها.

تأمل في النصوص التالية، وحاول أن تربط مبدأ الذكاء في العبادة بها:

- قال النبي ﷺ: «اعلمُوا أنَّ اللهَ لا يَستجيبُ دُعاءً من قلْبٍ غافِلٍ لَاهٍ»[1].

- قال النبي ﷺ: «إنَّ الرجلَ لَينصرفُ وما كُتبَ له إلا عُشرُ صلاتِه، تسعُها، ثمنُها، سُبعُها، سُدسُها، خُمسُها، رُبعُها، ثُلثُها، نصفُها»[2].

- قال النبي ﷺ: «ربَّ صائمٍ ليسَ لَه من صيامِه إلَّا الجوعُ وربَّ قائمٍ ليسَ لَه من قيامِه إلَّا السَّهرُ»[3]

إذن ليست القضية بكم تمكث في الدعاء وتنمِّق عباراته، بل بحضور قلبك وانكسارك لله أثناء دعائك، ذاك الذي سيجعل للدعاء روحاً وأثراً واستجابة..

وليست القضية بكم ختمة تختم القرآن في رمضان، إنما بمقدار الخشوع والتدبر الذي حصل لك فأثر في قلبك ثم انعكس على أخلاقك وقربك من الله وإتيانك بالسنن بعدها..

ليست العبرة بكم يوماً تصوم من السنة، وإنما هل تحقق التقوى من صيامك..

ليس المبدأ بكم ركعة صليت، بل بنسبة ما عقلت من صلاتك عشرها أو خمسها أو نصفها.

إذن فعبادات القلب المتداخلة مع غيرها (اللسانية، والجسدية، والمالية) هي كالروح لها، إذا فُقدتْ كانت العبادة مجرد طقوس تُؤدى من غير روح، أجرها

(١) حسن: صحيح الجامع (٢٤٥) عن أبي هريرة.
(٢) حسن: صحيح أبي داود (٧٩٦)، صحيح الترغيب (٥٣٧) عن عمار بن ياسر.
(٣) حسن صحيح: صحيح ابن ماجه (١٣٨٠) عن أبي هريرة.

قليل بل ربما لم يتقبلها الله عز وجل فيضيع المجهود والوقت ولا يكون لها أجر ولم تُحدث الأثر المطلوب، وهو ما لا يخدم مبدأ الذكاء في العبادة.

وإذا تحدثنا عن الإخلاص لكونه مطلباً في كل العبادات، فهو من أوضح أمثلة الذكاء في العبادات القلبية.

إن نيَّة المرء أبلغ من عمله، فقد يُكتب للمرء أجر عمل لم يعمله ولم يتعب به لمجرد النية وهو ما يخدم مبدأ الذكاء في العبادة، وقد لا يُكتب له أجر العمل ذي المجهود الكبير كالجهاد والحج لعدم إخلاصه في نيته أو لوجود شائبة في نيته واختلاطها بحب المدح أو الشهرة أو المال أو غير ذلك، وهذا لا يتوافق مع مبدأ الذكاء في العبادة بل هو عكسه فهو من الغباء، وهو مالا نريده إذ لا بد لأية طاعة حتى تُقبل أن يكون الإخلاص لله فيها ركناً من أركانها.. إن من المهم عدم ضياع الأجر بالحفاظ على النية.

	إخلاص عالٍ	إخلاص منخفض
مجهود عالٍ (مشقة زائدة)	أجر عالٍ	غباء
مجهود منخفض	ذكاء	أجر منخفض

مجهود منخفض + إخلاص عالٍ= ذكاء
مجهود عالٍ + إخلاص منخفض= غباء

وقد جاءت العديد من النصوص تُثبت هذا المبدأ:

١- قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ...»[1]، والشرط هنا هو النية الجازمة مع العجز عن العمل، مع اعتبار مضاعفة الأجر للعامل[2].

٢- قال النبي ﷺ: «مَن سَأَلَ اللهَ الشَّهادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللهُ مَنازِلَ الشُّهَداءِ، وإِنْ ماتَ علَى فِراشِهِ»[3] بلغه منازلهم في الجنة وأجرهم الذي كتب لهم وإن لم تقطر منه قطرة دم ولم يعانِ بارقة السيوف في الميدان.. فقط بنيَّته.

٣- قال النبي ﷺ: «إنَّ اللهَ كَتَبَ الحَسَناتِ والسَّيِّئاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذلكَ، فمَن هَمَّ بحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها كَتَبَها اللهُ له عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً، فإنْ هو هَمَّ بها فَعَمِلَها كَتَبَها اللهُ له عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَناتٍ إلى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ إلى أضْعافٍ كَثِيرَةٍ...»[4].. فالذي ينوي الحسنة ثم لا يعملها لمانع، فإن الحسنة تُكتب له كما لو عملها، غير أنه لا يحظى بأجر من عملها كاملاً.

قواعد الذكاء..

١- عقد النية على عمل الطاعة ولو كان هناك موانع منها، لأن الأجر متحقق كاملاً ولو كان المجهود معدوماً، فنيَّة المرء أبلغ من عمله.

---

(١) صحيح: صحيح الترمذي (٢٣٢٥)، مسند أحمد (١٨٠٦٠) عن أبي كبشة الأنماري.
(٢) قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٠/ ٧٣١): «الْمُرِيدُ إرَادَةً جَازِمَةً مَعَ فِعْلِ الْمَقْدُورِ هُوَ بِمَنْزِلَةِ الْعَامِلِ الْكَامِلِ».
(٣) صحيح: صحيح مسلم (١٩٠٩) عن سهل بن حنيف.
(٤) صحيح: البخاري (٦٤٩١)، مسلم (١٣١) عن ابن عباس.

٢- أية عبادة لم تكن خالصة لله، فالأجر يؤول إلى الصفر ولو كان المجهود عالياً.

٣- من الذكاء تعدد النيات في بعض العبادات الجسدية والمالية حتى في المباحات الحياتية -خاصة إذا ضاق الوقت عن أدائها كلها أو تطلب جهداً أكبر- ففي ذلك مضاعفة في الأجر بالمجهود نفسه.

٤- من الذكاء إتيان العبادات الأخرى (**الجسدية واللسانية والمالية**) والقيام بمتعلقاتها من عبادات القلب (**تدبر**، خشوع، ورع، مراقبة لله، حضور القلب، انكسار النفس، ... الخ).. ففي الصلاة استحضر دائماً الخشوع، وفي قراءة القرآن تدبر كلام الله، ... وهكذا.

٥- الاهتمام بمتعلقات العبادة من خشوع وأداء تام أذكى وأولى من الاهتمام بظرفها وزمانها الواسع[1].

أمثلة وتطبيقات عملية..

- لما خرج النبي ﷺ إلى غزاة، حبس المرض بعض الصحابة في المدينة فقال النبي ﷺ: «**إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالاً مَا سِرْتُمْ مَسِيراً، وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِياً إِلاَّ شَرَكُوكُمْ فِي الأَجْرِ**» (صحيح مسلم) .. لقد بلغ أولئك الذين لم يبذلوا جهداً جسدياً أجر الذين خرجوا وعادوا بمجرد النية عندما حبسهم العذر (المرض) فكتب الله أجرهم غير منقوص.. أجر عظيم بمجهود جسدي يساوي صفراً فقط بالنية الخالصة.

---

(١) نص علماؤنا على هذه القاعدة بقولهم: «**ما كان في جنس العبادة يقدم على ما كان ظرفا لها**».

- قال النبي ﷺ: «مَنْ أَتَى فِرَاشَهُ وَهُوَ يَنْوِي أَنْ يَقُومَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ، فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ حَتَّى أَصْبَحَ، كُتِبَ لَهُ مَا نَوَى، وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ»[١].

- قد تكون فقيراً مُعدماً لا تملك قوت يومك، ترى الأغنياء يسبقونك في بناء المساجد ليُكتب لهم أجر كل من سجد فيها سجدة وقرأ فيها آية، أو تتصدق بها على أسرة محتاجة، أو تنفق فيها على طالب علم ليُكمل تعليمه الجامعي.. تتمنى لو أنك أوتيت من المال لتُنفقها في وجوه الخير..
قد ترى من آتاه الله الصحة والقدرة على الصيام، ومن آثره الله بحسن الفهم والحفظ والذكاء فيُعلم الناس دينهم، ومن آتاه الله الصوت الحسن يتلو ويترنم بكلام الله، ومن رزقه الله الوقت لطلب العلم، ومن يسر الله له الدعوة إلى الله وأساليبها ووضع له القبول، وكل ذلك لا تستطيعه ويحول بينك وبين حائل مادي أو جسدي أو وقتي أو ذهني، إن قانون الكرم الإلهي يخبر أنه بنيتك الجازمة أن لو آتاك الله ما آتاهم لفعلت فعلهم بإخلاص منك لله كفيل بأن يكتب في صحائف أعمالك مثل أجرهم ولو لم تقم بأعمالهم.. مجهود صفر وأجر عظيم بمجرد النية، وهذا من الذكاء في العبادة.

- حديث أول من يُقضى عليهم يوم القيامة[٢] ممن بذلوا مجهوداً كبيراً لكنه لم

---

(١) حسن: صحيح النسائي (١٧٨٦)، صحيح الجامع (٥٩٤١) عن أبي الدرداء.

(٢) قال النبي: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ

يكن لله فيذهب أجرهم هباء منثوراً، ويا لها من حسرة.. ذلك العالم كم بذل من وقت وجهد في طلب العلم وحفظ المتون ومراجعتها، ثم تعليم الناس والجلوس إليهم؟ وذاك الكريم كم بذل من مال كان أهله أحق به من التزلف للناس طلباً للسمعة.. وذاك المجاهد الذي أتى ميادين القتال والخوف مظنة القتل والتضحية بالنفس، أزهقها وخسر حياته من أجل أن يُقال شهيد.. يا لها من حسرة.. جهود جبارة أُهدِرت وأوقات ثمينة، ثم لا أجر، ذلك هو الخسران والخذلان!! اللهم عافنا برحمتك.

- تعدد النيات في العمل الواحد وذلك بجمع النيات في العبادات الجسدية والمالية وحتى الحياتية أو المباحة خاصة إذا ضاق الوقت عن أدائها كلها أو تطلب جهداً أكبر سبب في زيادة الأجر ومضاعفته بمجهود أقل[1]، ومن أمثلتها:

- جمع النية في غسل الجمعة (نافلة) مع الغسل من الجنابة (واجب) في الوقت نفسه.

جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ» [مسلم].

(١) ناقش أهل العلم مسألة الجمع بين النيات (تشريك النية) ووضعوا لها تفصيلاً وشروطاً، فمثلاً لا يصح الجمع في النية إذا كانت العبادات مستقلة بنفسها (كقضاء سنة الفجر بعد فوات وقت الفجر مع ركعتي الضحى) أو تابعة لغيرها (كالجمع بين سنة الفجر القبلية وركعتي الفجر الفرض)، وفيما ذكرنا من الأمثلة أعلاه غنية وكفاية في إيصال الفكرة.

- الجمع في النية بين ركعتي سنة الفجر القبلية، وتحية المسجد، ونيّـة الصلاة بين الأذان والإقامة، كل ذلك في ركعتين فقط، لا سيما إذا ضاق الوقت عن أدائها جميعاً.

- الجمع في النية بين ركعتي الوضوء والاستخارة، وكلاهما نافلة.

- الجمع بين نية الحج ونية العمرة عند التلبية، فقد حج النبي ﷺ فلبّى بالحج والعمرة معاً.

- لو صادف يوم عرفة يوم اثنين أو خميس، فنوى صيام عرفة وصيام الاثنين أو الخميس حصل له الأجران بإذن الله.

- احتساب النية في النوم للاستراحة والتقوية على طاعة الله بقيام ليل أو استيقاظ للفجر أو مدارسة علم أو غيرها.. سأل أبو موسى الأشعري معاذ بن جبل رضي الله عنهما عن كيفية قراءته للقرآن، فقال معاذ: أنام أول الليل فأقوم وقد قضيت جزئي من النوم فأقرأ ما كتب الله لي، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي [البخاري ومسلم]، قال ابن حجر في فتح الباري: «**وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ يَطْلُب الثَّوَاب فِي الرَّاحَة كَمَا يَطْلُبهُ فِي التَّعَب، لِأَنَّ الرَّاحَة إِذَا قُصِدَ بِهَا الْإِعَانَة عَلَى الْعِبَادَة حَصَّلَتْ الثَّوَاب**»[1].

- احتساب نوايا متعددة في الجهاد في سبيل الله، قال النبي ﷺ: «**الغَزْوُ غَزْوَانِ: فأما مِن ابتغى وجهَ الله، وأطاعَ الإمامَ، وأنفقَ الكريمةَ، واجتَنَبَ الفسادَ، فإن نومَه ونبهَتَه أجرٌ كلُّه، وأمَّا مَن غزا رياءً وسمعةً، وعصى الإمامَ، وأفسَدَ في الأرضِ، فإنه لا يَرْجِعُ بالكَفافِ**»[2]

(١) فتح الباري (٧/ ٦٥٩).
(٢) حسن: صحيح النسائي (٤٢٠٦)، صحيح أبي داود (٢٥١٥) عن معاذ بن جبل.

- لو أعطى رجل أخته مالاً ونوى بذلك الصدقة، وصلة الرحم، وإدخال السرور على مسلم، وأن يفرج كرب مسلم، وأن الصدقة تطفئ غضب الرب، وداووا مرضاكم بالصدقة، فتلك ست نيات وله أجر ما نوى بإذن الله.

- جمع نيات متعددة عند الذهاب للمسجد، كشهود الجماعة، وتكثير سواد المسلمين، وتنزل الرحمات وذكر الله له فيمن عنده، وإفشاء السلام، وأن يكون في ضمان الله.



الفصل الرابع



الذكاء في العبادات اللسانية

اختبر ذكاءك..

- **أيها أذكى (أكثر أجراً)**: أن تذكر الله بقولك "سبحان الله وبحمده عدد خلقه" أم بقولك "سبحان الله"؟
- **أيها أذكى (أكثر أجراً)**: أن تخلو نصف ساعة تذكر الله فيها وحدك أم تُعلِّم فيها القرآن وتلاوته لطالب علم؟
- **أيها أذكى (أكثر أجراً) عند الأذان**: الترديد خلف المؤذن أم قراءة القرآن؟ وهل الأذكى يوم عرفة قراءة القرآن أم الدعاء؟

مقدمة وشرح..

العبادات اللسانية هي التي تُؤدى باللسان باعتباره العامل الرئيس فيها ولو كان لغيرها من الجوارح دور، كدور العين في قراءة القرآن، ودور الأصابع في عدِّ الذكر، ودور القدمين في الوقوف عند الخطابة،... وهكذا.. وقد تجتمع بعض العبادات اللسانية مع الجسدية كالصلاة والحج والعمرة والدعوة إلى الله.

وتأتي العبادات اللسانية على نوعين من حيث نفعها: لازمة (قاصرة) النفع لصاحبها، ومن يتعدى نفعها صاحبها فيستفيد منها غيره.

نوع العبادة اللسانية	أمثلة	ميزتها
لازمة النفع لصاحبها	كقراءة القرآن وذكر الله والاستغفار والدعاء والصلاة على النبي ﷺ	عبادات في مجملها مطلقة غير مقيدة بوضوء أو زمان أو مكان، تستطيع ممارستها في أي وقت. لا تحتاج إلى علم أو مهارة كمتعدية النفع. مجهود قليل وأجر عظيم جداً.
متعدية النفع	كالدعوة إلى الله والخطابة وتعليم الناس العلم والقرآن والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باللسان، ورد الشبه والدفاع عن الإسلام والنبي ﷺ والجهاد باللسان، والإصلاح بين الناس، وتربية النشء.	- بعضها مقيد بزمان أو مكان أو حال. - بعضها يحتاج لعلم مسبق أو مهارة. - مجهودها أكبر من اللازمة النفع، غير أنها أكثر أجراً وأطول وأثراً.

وميزة العبادات اللسانية -لا سيما لازمة النفع منها- أنها بمجملها ذات مجهود قليل أو مُهمل وأجرها عظيم جداً لحب الله لهذا النوع من العبادات[1]، وهو تماماً ما يخدم فكرة الذكاء في العبادة، ويزيد الأجر بالطبع زيادة طردية

(١) يُستثنى بعض الحالات كقول كلمة الحق والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف ما يمكن أن يلحق بصاحبها من الأذى، قال الله: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

ويتضاعف بحضور القلب وتأثره أثناء القيام بها كما بينا ذلك في العبادات القلبية.

وقد جاءت عشرات النصوص من آيات وأحاديث تبين الأجر العظيم لعبادات لسانية تساوي في أجرها أجرَ عبادات جسدية ومالية تحتاج لمجهود كبير ومشقة عظيمة، بعضها أجر كمِّي **(عددي)** بالحسنات، وبعضها معنوي كمغفرة الذنوب، والخيرية، ورضوان الله وحبه، وكل ذلك بأذكار يلزمك حفظها وترديدها، تشمل في طياتها معاني التوحيد لله وحمده وتنزيهه، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

- **بيّن النبي ﷺ أن أجر ذكر الله خير أحياناً حتى من الصدقة والجهاد فقال:** **«ألا أنبِّئُكُم بخيرِ أعمالِكُم، وأزكاها عندَ مليكِكُم، وأرفعِها في درجاتِكُم وخيرٌ لكُم مِن إنفاقِ الذَّهبِ والورِقِ، وخيرٌ لكُم من أن تلقَوا عدوَّكُم فتضرِبوا أعناقَهُم ويضربوا أعناقَكُم؟ قالوا: بلَى. قالَ: ذِكْرُ اللهِّ»**[1]

- **قال رجل للنبي:** يا رسول الله ﷺ، إنّ شرائع الإسلام قد كثرت عليّ فأخبرني بشيء أتشبّث به، قال: **«لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله»**[2].

- **أنَّ فُقَراءَ المُهَاجِرِينَ أَتَوْا رسُولَ اللهِ ﷺ، فقالوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثورِ (الأغنياء) بِالدَّرَجَاتِ العُلَى وَالنَّعِيمِ المُقِيمِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أمْوَالٍ، يَحُجُّونَ، وَيَعْتَمِرُونَ، وَيُجَاهِدُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ. فَقَالَ: «ألاَ أُعَلِّمُكُمْ شَيْئاً تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلاَ يَكُون أَحَدٌ أفْضَل مِنْكُمْ إلاَّ مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ؟ قالوا: بَلَى يَا**

---

(١) صحيح: صحيح الترمذي (٣٣٧٧)، صحيح ابن ماجه (٣٧٩٠) عن أبي الدرداء.

(٢) صحيح: صحيح الترمذي (٣٣٧٥)، صحيح ابن ماجه (٣٠٧٥) عن عبد الله بن بسر.

رسول الله ﷺ، قَالَ: **تُسَبِّحُونَ وَتَحْمَدُونَ وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاثاً وَثَلاثِينَ»**[١].

- **أجر رضوان الله وهو أجر معنوي**: قال النبي ﷺ: «**أحدكم ليتكلّم بالكلمةِ من رِضْوانِ الله ما يظنّ أن تبلغَ ما بلغتْ فيكتب اللهُ لهُ بها رِضْوانَهُ إلى يومِ يلقاهُ**»[٢].

- **أجر الخيرية، قال النبي ﷺ**: «**خيرُكم مَن تعلَّم القرآنَ وعلَّمه**»[٣]، وتعليم القرآن من العبادات اللسانية.

قواعد الذكاء..

١- **من الذكاء الإكثار عموماً من الذكر المطلق** فهو من العبادات اللسانية لازمة النفع كونها ذات مجهود قليل وأجر كبير.

٢- **الإكثار من أذكار مخصوصة** يوازي أجرها أجر عبادات جسدية ومالية نافلة ذات مشقة ومجهود كبير كأجر عتق رقبة وأجر قيام الليل بأذكار مخصوصة.

٣- **الذكر المضاعف أذكى** وأكثر أجراً من الذكر المفرد لا سيما إذا ضاق الوقت، فبعض الأذكار أكثر أجراً من بعض مما ورد فيه نص صريح.

٤- **تقديم العبادة اللسانية المناسبة لوقتها** وإن كان غيرها أفضل منها عموماً خارج وقتها.

---

(١) صحيح: البخاري (٨٤٣)، مسلم (٥٩٥) عن أبي هريرة

(٢) صحيح الترمذي (٢٣١٩)، صحيح ابن ماجه (٣٩٦٩) عن بلال بن الحارث المزني

(٣) صحيح البخاري (٥٠٢٧)، صحيح أبي داود (١٤٥٢)، صحيح الترمذي (٢٩٠٩) عن عثمان بن عفان.

٥- **العبادات اللسانية المتعدية النفع** أذكى من اللازمة النفع إن اتسع وقتها، لأنها عبادات استراتيجية متعدية النفع، عدد المستفيدين منها أكثر، وبعضها يبقى أجرها بعد موت صاحبها.

أمثلة وتطبيقات عملية..

- **من الذكاء استغلال أوقات المباح** وإشغالها بعبادات لسانية، كأن تذكر الله أو تقرأ القرآن أو أذكار الصباح والمساء أو تصلي على النبي ﷺ أو تستغفر وأنت في السيارة أثناء الزحام، أو وأنت في أماكن الانتظار، أو وأنتِ تعملين في البيت، أو في المطار تنتظر إقلاع الطائرة، أو أثناء انتظار الحافلة، أو انتظار دورك لتسدد فواتير الكهرباء، أو غير ذلك. فهو استغلال المباح بعبادة لسانية لا تتطلب جهداً جسدياً، ولا الوضوء شرط لصحتها. سئل أحدهم: كم يستغرق الطريق بين بيتك وعملك؟ فقال: في وقت الزحام يستغرق ٨٠٠ تسبيحة، وفي الأوقات الأخرى حوالي ٢٥٠ تسبيحة، قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٩١] **(القاعدة: ١)**

- تستطيع تحصيل أجر قيام ليلة كاملة بعبادة لسانية دون أن تقوم الليلة، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ بِمِائَةِ آيَةٍ فِي لَيْلَةٍ كُتِبَ لَهُ قُنُوتُ لَيْلَةٍ»[١] **(القاعدة: ٢)**

- تستطيع تحصيل أجر عتق عشر رقاب (لا رقبة واحدة) في زمن لا يوجد فيه رقاب أو عبيد بذكر مخصوص وهذا من الذكاء إذا ما قارنته بالمجهود المالي الذي كنت ستنفقه لعتق رقبة، قال رسول الله ﷺ: «من قال لا إله إلا

(١) صحيح: صحيح الجامع (٦٤٦٨)، السلسلة الصحيحة (٦٤٤) عن تميم الداري.

اللهُ، وحده لا شريك لهُ، له الملك وله الحمدُ، وهو على كل شيء قديرٌ، في يوم مائةَ مرةٍ، كانت له عدلُ عشرِ رقابٍ، وكتبت له مائةُ حسنةٍ، ومُحيت عنه مائةُ سيئةٍ، وكانت له حِرزًا من الشيطانَ يومَه ذلك حتى يمسي، ولم يأتِ أحدٌ بأفضلَ مما جاء به، إلا أحدٌ عمل أكثرَ من ذلك»[(1)]، وفي رواية أن من قالها عشر مرات فكأنما أعتق رقبة واحدة. **(القاعدة: ٢)**

- **من الذكاء ترديد الذكر المضاعف، والذكر المضاعف هو ذكر لها أضعاف أجر أذكار أخرى (القاعدة: ٣)، وأذكر هنا أربعة أمثلة:**

قراءة سورة الإخلاص تساوي أجر قراءة ثلث القرآن **(أجر ١٠٧،٨٩٠ حرفاً)**، قال النبي ﷺ: «**أيعجِزُ أحدُكم أن يقرأَ في ليلةٍ ثُلُثَ القرآنِ؟**» **قالوا:** «**وكيف يقرأ ثُلُثَ القرآنِ؟ قال قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، تعدِلُ ثُلُثَ القرآنِ**»[(2)].

خَرَجَ النبي ﷺ مِنْ عِنْدِ جويرية بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: «**مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟**» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ النبي ﷺ: «**لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ**»، فهي أذكى من مجرد قولك: سبحان الله أو الحمد لله وحدها.

مَرَّ النبي ﷺ الله بأبي أمامة وَهُوَ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ، فَقَالَ: «**مَاذَا تَقُولُ يَا أَبَا أُمَامَةَ؟**» قَالَ: أَذْكُرُ رَبِّي، قَالَ: **أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَكْثَرَ أَوْ أَفْضَلَ مِنْ ذِكْرِكَ اللَّيْلَ مَعَ النَّهَارِ**

---

(١) صحيح البخاري (٣٢٩٣)، صحيح مسلم (٢٦٩١) عن أبي هريرة.
(٢) صحيح مسلم (٨١١)، صحيح ابن ماجه (٣٠٦٩) عن أبي هريرة وأبي الدرداء.

وَالنَّهَارَ مَعَ اللَّيْلِ؟ أَنْ تَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ، وَسُبْحَانَ اللهِ مِلْءَ مَا خَلَقَ، وَسُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَسُبْحَانَ اللهِ مِلْءَ مَا فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَسُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا أَحْصَى كِتَابُهُ، وَسُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ كُلِّ شَيْءٍ، وَسُبْحَانَ اللهِ مِلْءَ كُلِّ شَيْءٍ، وَتَقُولُ: الْحَمْدُ للهِ مِثْلَ ذَلِكَ»[١].

- دخل رسول الله ﷺ على امرأة وبين يديها نوى أو حصى تسبح فقال أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا وأفضل فقال سبحان الله عدد ما خلق في السماء، سبحان الله عدد ما خلق في الأرض، سبحان الله عدد ما بين ذلك، سبحان الله عدد ما هو خالق، والله أكبر مثل ذلك، ولا إله إلا الله مثل ذلك، والحمد لله مثل ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك.

- القرآن عموماً أفضل الذكر، والذكر أفضل من الدعاء، ولكن عند الأذان فالترديد خلف المؤذن أولى وأذكى من قراءة القرآن، وفي لحظات إجابة الدعاء فالدعاء أفضل من الذكر، كآخر ساعة من الليل وساعة الجمعة ويوم عرفة[٢]. **(القاعدة ٤)**

- صلاة الله وملائكته عليك بعبادات لسانية يسيرة **(القاعدة ٢)**، وصلاة الله تعني رحمته لك وذكره إياك في الملأ الأعلى، وصلاة الملائكة عليك تعني استغفارهم لك:

- قال النبي ﷺ: **«إنَّ اللهَ وملائِكتَهُ وأَهلَ السَّماواتِ والأرضِ حتَّى النَّملةَ في جُحرِها وحتَّى الحوتَ ليصلُّونَ على معلِّمِ النَّاسِ الخيرَ»**[٣].

---

(١) حسن: السلسلة الصحيحة» (٢٥٧٨) ، أحمد (٢٢١٤٤) عن أبي أمامة الباهلي

(٢) راجع فصل (الذكاء في المطلق والمقيد) ففيه تفصيل وبيان لماذا

(٣) صحيح: صحيح الترمذي (٢٦٨٥) ، صحيح الترغيب (٨١) عن أبي أمامة الباهلي.

قال النبي ﷺ: «من صلَّى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً»[1].

- **يُغفر لك ما تقدم من ذنوبك بعبادات لسانية[2] (القاعدة ٢):**

كالذكر بعد الأذان، قال النبي ﷺ: «**مَن قال حينَ يَسْمَعُ المؤذنَ: أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأن محمدًا عبدُه ورسولُه، رَضِيتُ باللهِ ربًّا، وبمحمدٍ رسولًا، وبالإسلامِ دِينًا؛ غُفِرَ له ذنبُه**»[3].

موافقة تأمين الإمام في الصلاة وتسميعه، قال النبي ﷺ: «**إذا أمَّنَ الإمامُ فأمِّنوا، فإنه من وافقَ تأمينُه تأمينَ الملائكةِ غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذنبِه**»[4]، وقال النبي ﷺ: «**إذا قال الإمامُ: «سمِع اللهُ لمَن حمِدَه»، فقولوا: اللهم ربَّنا لك الحمدُ، فإنه مَن وافق قولُه قولَ الملائكةِ، غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبِه**»[5].

الذكر بعد الصلاة، قال النبي ﷺ: «**من سبَّحَ اللهَ في دُبُرِ كلِّ صلاةٍ ثلاثًا وثلاثينَ، وحمِدَ اللهَ ثلاثًا وثلاثينَ، وكبَّرَ اللهَ ثلاثًا وثلاثينَ، فتلكَ تسعةٌ وتسعونَ، وقالَ تمامَ المائةِ: لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ لهُ الملكُ ولهُ الحمدُ وهوَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ، غُفِرت خطاياهُ وإن كانت مثلَ زَبَدِ البحرِ**»[6].

حمد الله بعد الأكل، قال النبي ﷺ: «**مَنْ أكل طعاماً فقال: الحمد لله الذي**

---

(١) صحيح: صحيح مسلم (٣٨٤)، صحيح أبي داود (٥٢٣) عن عبد الله بن عمرو بن العاص.
(٢) فصَّلتُ هذا في كتابي (خطوات نحو الملك) جل جلاله، فصل (كيف يُغفر لك ما تقدم من ذنبك؟).. والذي يُغفر هي الذنوب إلا الكبائر.
(٣) صحيح مسلم (٣٨٦)، صحيح الترمذي (٢١٠) عن سعد بن أبي وقاص.
(٤) صحيح البخاري (٧٨٠)، صحيح مسلم (٤١٠) عن أبي هريرة.
(٥) صحيح البخاري (٧٩٦)، صحيح مسلم (٤٠٩) عن أبي هريرة.
(٦) صحيح مسلم (٥٩٧)، صحيح الجامع (٦٢٨٦) عن أبي هريرة.

أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة؛ غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه»[1]

حمد الله عند لبس الثوب، قال النبي ﷺ: «ومن لبس ثوباً فقال: الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة؛ غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه»[2].

قول سبحان الله وبحمده مائة مرة، قال النبي ﷺ: «مَن قال: سبحان الله وبحمدِه في يومٍ مائةَ مرَّةٍ، حُطَّت خطاياه وإن كانت مثلَ زَبَدِ البحرِ»[3]

الذكر قبل النوم، قال النبي ﷺ: «من قال حين يأوي إلى فراشِه: لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له، له الملكُ وله الحمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، لاحولَ ولا قوةَ إلا بالله العليِّ العظيمِ، سبحان الله وبحمده، والحمدُ لله، ولا إله إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ؛ غُفِرَتْ له ذنوبُه ولو كانت مثلَ زَبَدِ البحرِ»[4]

- من الذكاء كسب أجور لم تتعب بها، بأن تدعو إلى الله فيهدي بك رجلاً أو أكثر، أو تدعو إلى هدى أو سنة أو عبادة فيمتثلها من سمعك، فيكتب الله لك أجرها كلما أتاها، قال النبي ﷺ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدىً كانَ لهُ مِنَ الأجْر مِثلُ أُجورِ منْ تَبِعهُ لاَ يَنْقُصُ ذلكَ مِنْ أُجُورِهِم شَيْئًا» [رواهُ مسلمٌ. (القاعدة ٥)].

---

(١) صحيح الترمذي (٣٤٥٨)، صحيح أبي داود (٤٠٢٣)، صحيح ابن ماجه (٢٦٧٣) عن معاذ بن أنس.

(٢) حسن: صحيح أبي داود (٤٠٢٣)، ٨صحيح الترغيب (٢٠٤٢)، صحيح الجامع (٦٠٨٦) عن معاذ بن أنس.

(٣) صحيح: صحيح البخاري (٦٤٠٥)، صحيح مسلم (٢٦٩١) عن أبي هريرة.

(٤) صحيح: السلسلة الصحيحة (٣٤١٤)، صحيح ابن حبان (٨٥٠)، صحيح الترغيب (٦٠٧) عن أبي هريرة.

- من أنواع الجهاد جهاد اللسان، يدفع شبهة أو يدحض افتراء عن الإسلام أو يفضح المنافقين، ومن صوره في زماننا الإعلام وقنوات التواصل الاجتماعي والكتب والصحافة والشعر والمناظرة، قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان ٥٢]؛ أي بالقرآن. وكون الجهاد بأنواعه سنام الإسلام، فمن الذكاء الدفاع عن الدين باللسان بالحكمة والموعظة الحسنة. **(القاعدة ٢)**.

- إذا التقيت بعاصٍ وغلب على ظنك أنك ربما لا تقابله مرة أخرى، فمن الذكاء ترك أثر بالقدوة أو بالموعظة الحسنة المباشرة والكلمة الطيبة أو بحسن الخلق. **(القاعدة ٥)**.

- قراء القرآن في العالم الإسلامي الذين أخلصوا لله وكتب الله لتلاواتهم القبول والانتشار في العالم الإسلامي، مات كثير منهم منذ ثلاثين سنة أو أكثر أو أقل، ولا تزال تلاواتهم تُتلى في الإذاعات والقنوات الفضائية والتطبيقات الذكية، ولا يزال عداد حسناتهم يزيد وهم موتى، صدقة جارية وعلم يُنتفع به من أذكى الذكاء. ويُقاس عليهم محاضرات ومواعظ العلماء والدعاة الربانيين المخلصين، فلا تزال دروسهم تُبث على القنوات ويستمع لها ويستفيد منها الناس.. كل ذلك في موازينهم يوم القيامة. **(القاعدة ٥)**.



الفصل الخامس



الذكاء في العبادات الجسدية

اختبر ذكاءك..

- **هل العبادات الجسدية** أكثر العبادات أجراً لكونها أكثرها مشقة؟
- **هل هنالك أعمال ذات مجهود جسدي قليل** إن فعلتها حصلت أجر عبادات تتطلب مجهوداً كبيراً ومشقة؟
- هل يمكنك تحصيل أجر عتق رقبة في زمن لا يوجد فيه رقاب ولا عبيد؟ وهل يمكن تحصيل أجر مجاهد وإن لم تجاهد؟

شرح وتمهيد..

تُطلق **العبادات الجسدية** على العبادات التي تُستخدم فيها أعضاء الجسد عموماً.

- **فقد تكون عبادات بأعضاء الجسد وجوارحه الخارجية:** كالصلاة والوضوء والحج والجهاد وإماطة الأذى عن الطريق ومصافحة المسلمين والمشي إلى المسجد والسواك وحضور مجلس علم وصلة الرحم والاغتسال والسعي على الأرملة والمسكين وقضاء حوائج الناس وزيارة مريض وبر الوالدين وزيارتهما وإنقاذ مريض.
- **وربما تكون بأعضاء الجسد الداخلية:** كالصيام وتناول السحور والتبرع بالكلية (لمن أجاز ذلك) والتقوِّي بالطعام على الطاعة واحتساب المرض والصبر عليه.

- وتدخل فيها أحياناً بعض العبادات من جنس الأخلاق: كالابتسامة والسلام وهداية الأعمى أو ضال الطريق والقيام للكبير ومساعدة العاجز والصغير والضعيف.

- **وربما دخل فيها بعض العبادات العقلية التي تتطلب مجهوداً ذهنياً:** كطلب العلم ومذاكرته وحفظه ومراجعته، والتفكير التحليلي والنقدي والرد على شبهات الملحدين والمشككين في الدين، والتخطيط وكتابة الخطط لمشروع ديني ينهض بالمجتمع أو الأمة، وعبادة التفكر والتأمل في خلق الله وصفاته.

- **وقد يجتمع فيها أعضاء عدة:** كالخطابة، فالعين تعمل في القراءة والتحضير والبحث، والعقل في الترتيب والتحليل، واليد في التلخيص والكتابة والجمع، واللسان في التدريب والإلقاء، والقدمان في الوقوف.

- **وقد يجتمع معها عبادات مالية:** كالحج والعمرة، وتوزيع الصدقات من الطعام للفقراء.

- **والعبادات الجسدية عموماً لا يجوز فيها الإنابة:** إلا إذا كانت جسدية مالية كالحج والعمرة.

- **ويتفاضل الناس في رغباتهم وإقبالهم على مختلف العبادات الجسدية** بحسب طاقاتهم وميولهم وشغفهم، فمنهم من يتحمل جسده الصيام، ومنهم من يجد لذته في قيام الليل، ومنهم في قراءة الكتب وطلب العلم، ومنهم في السفر لدعوة غير المسلمين، وكل ذلك خير.. وهو ما سنتحدث عنه وعن أثر ذلك على اختيارات المرء لأبواب العبادات والطاعات بذكاء بالتفصيل في باب (حال العابد).

وتختلف العبادات الجسدية كذلك في درجات المشقة والمجهود المطلوب لإنجازها[1]، كما أنها تختلف في الأجر المترتب عليها، لذا كان أجر الحج والجهاد والهجرة لا يدانيهم منزلة لعظم الجهد المبذول. وهناك من الأعمال ما هي دونها مشقة وأجراً، وهناك مّن الأعمال ذات المجهود القليل ما يوازي أجرها مقام ذوات المجهود الكبير، وهذا من رحمة الله وهو ما سنراه في الأمثلة والتطبيقات.

قواعد الذكاء..

١- **إتيان النوافل ذات المجهود القليل** والتي يوازي أجرها أعمالاً ذات مجهود كبير.

٢- **استغلال الأماكن والأزمة الفاضلة** بالإكثار العددي فيها من النوافل لمضاعفة الأجر فيها[2].

٣- **كلما زادت المشقة** (التي لا يمكن التغلب عليها أو التحكم بتخفيفها) المترتبة على العبادة، زاد الأجر[3].

٤- **إتيان الفرائض والعناية بها دائماً** أذكى وأولى من النوافل[4].

(٥) **حضور القلب** دائماً يزيد الأجر.

---

(١) بشرط أن تكون مشقة لا يمكن تفاديها أو التخفيف منها، إذ لم يتعبدنا الله بالمشقة، راجع فصل (الذكاء والمشقة).

(٢) راجع فصل (الذكاء في العبادات المقيدة والمطلقة) فقد فصلتُ في هذا.

(٣) راجع فصل (الذكاء والمشقة في العبادة) فقد فصلتُ في هذا.

(٤) راجع فصل (الذكاء في الفرائض والنوافل) فقد فصلتُ في هذا.

تطبيقات وأمثلة عملية..

- من الأعمال ذوات المجهود القليل ما يُكسبك أجر قيام ليلة كاملة وإن لم تقم الليلة كاملة، منها[1]:

صلاة العشاء والفجر في جماعة، قال النبي ﷺ: «**مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ كَانَ كَقِيَامِ نِصْفِ لَيْلَةٍ، وَمَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ وَالْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ كَانَ كَقِيَامِ لَيْلَةٍ**»[2]

أداء صلاة التراويح كاملة مع الإمام، قال النبي ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَلَّى مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ حُسِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ**»[3]

قراءة مائة آية في الليل حتى لو من قصار الآيات، قَالَ النبي ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ بِمِائَةِ آيَةٍ فِي لَيْلَةٍ كُتِبَ لَهُ قُنُوتُ لَيْلَةٍ**»[4].

- من الأعمال ذوات المجهود القليل ما يُكسبك أجر عتق رقبة وإن لم تعتق رقبة، منها[5]:

الطواف بالكعبة ثم صلاة ركعتين، قال النبي ﷺ: «من طاف بالبيت (وفي رواية: سبعاً) وصلى ركعتين كان كعتق رقبة»[6].

---

(١) فصَّلتُ في هذا في كتابي (خطوات نحو الملك) جل جلاله، فصل (كيف تكسب أجر قيام الليل؟).

(٢) صحيح: صحيح مسلم (٦٥٦)، مسند أحمد (١/ ٢٠٢)، صحيح أبي داود (٥٥٥)، عن عثمان بن عفان.

(٣) صحيح: صحيح أبي داود (١٣٧٥)، صحيح الترمذي (٨٠٦) ، صحيح النسائي (١٣٦٣) عن أبي ذر الغفاري.

(٤) صحيح: صحيح الجامع (٦٤٦٨)، السلسلة الصحيحة (٦٤٤) عن تميم الداري.

(٥) فصَّلتُ في هذا في كتابي (خطوات نحو الملك) جل جلاله، فصل (كيف تكسب أجر عتق رقبة؟).

(٦) صحيح: صحيح ابن ماجه (٢٤١١)، صحيح الترغيب (١١٤٢)، صحيح الجامع (٦٣٧٩) عن عبدالله بن عمر

تقديم العون لمسلم محتاج، قال النبي ﷺ: «**مَن منح مِنْحَةَ وَرِقٍ، أو مِنْحَةَ لَبَنٍ، أو أَهْدَى زُقَاقًا، فهو كعِتْقِ نَسَمَةٍ**»[1].

- **من العبادات ذوات المجهود القليل نسبياً ما يُكسبك أجر مجاهد وإن لم تجاهد في ميادين القتال**[2]:

السَّاعي على الأرملةِ والمسكينِ، قال النبي ﷺ: «**السَّاعي على الأرملةِ والمسكينِ كالمُجاهدِ في سبيلِ اللَّهِ، أو القائمِ الليل والصائمِ النهار**»[3].

بر الوالدين، جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فاستأذنهُ في الجهاد فقال: «**أحَيٌّ والِداكَ؟ قال: نعم، قال: فَفِيهِما فَجاهِدْ**»[4].

العملِ الصالح في العشر الأوائلِ من ذي الحجة، قال النبي ﷺ: «**ما من أيَّامٍ العملُ الصَّالحُ فيها أحبُّ إلى اللهِ من هذهِ الأيَّام يعني أيَّامَ العشر، قالوا: يا رسول الله ﷺ، ولا الجهادُ في سبيلِ اللَّهِ؟ قالَ: ولا الجِهادُ في سبيلِ اللَّهِ، إلَّا رَجلٌ خرجَ بنفسِهِ ومالِهِ، فلم يرجِعْ من ذلِكَ بشيءٍ**»[5].

الحج جهاد المرأة والضعيف، جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: إنِّي جَبانٌ وإنِّي ضَعيفٌ، فقال له النبي ﷺ: «**هَلُمَّ إلى جِهادٍ لا شَوْكَةَ فِيه: الحَجُّ**»[6]، وعن

---

(١) صحيح: صحيح الجامع (٦٥٥٩)، صحيح الترمذي (١٩٥٧)، صحيح الترغيب (١٥٣٥) عن البراء بن عازب.
- (منحة ورِق): أي أقرضه مالاً وقيل فضة.. (منحة لبن): أي أعطاه ناقة أو شاة ينتفع بلبنها ويعيدها.. (أهدى زُقاقاً): أي دلّ ضالاً أو أعمى على الطريق.
(٢) فصَّلتُ في هذا في كتابي (خطوات نحو الملك) جل جلاله، فصل (كيف تكسب أجر مجاهد؟).
(٣) صحيح: صحيح البخاري (٥٣٥٣)، صحيح مسلم (٢٩٨٢) عن أبي هريرة.
(٤) صحيح: صحيح البخاري (٣٠٠٤)، صحيح مسلم (٢٥٤٩) عن عبدالله بن عمرو.
(٥) صحيح: صحيح أبي داود (٢٤٣٨)، صحيح ابن ماجه (١٤١٤)، صحيح الترمذي (٧٥٧) عن ابن عباس.
(٦) صحيح: صحيح الترغيب (١٠٩٨)، صحيح الجامع (٧٠٤٤) عن الحسين بن علي.

عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ قال: «**لا، لكن أفضل الجهاد حج مبرور**»[1]

- **العاملُ على الصَّدقة**، قال النبي ﷺ: «**العاملُ علَى الصَّدقةِ بالحقِّ كالغازي في سبيلِ اللهِ حتَّى يرجعَ إلى بيتِه**»[2]

- **زيارة مسجد الرسول للعلم**، قال النبي ﷺ: «**مَن جاءَ مَسجدي هذا لم يأتِه إلَّا لخيرٍ يتعلَّمُهُ أو يعلِّمُهُ فَهوَ بمنزلةِ المجاهِدِ في سبيلِ اللَّهِ، ومن جاءَ لغيرِ ذلِكَ فَهوَ بمنزلةِ الرَّجُلِ ينظرُ إلى متاعِ غيرِه**»[3].

- **ومن العبادات ما يُكسبك أجر الصائم القائم** أي الذي يوالي صيام النهار وقيام الليل[4]:

- **حسن الخلق وفيه من الأعمال الجسدية واللسانية** أبواب واسعة يبلغ بها المرء درجة الصائم القائم، قال النبي ﷺ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَاتِ قَائِمِ اللَّيْلِ صَائِمِ النَّهَارِ**»[5].

- **المحافظة على آداب الجمعة**، قال النبي ﷺ: «**مَنْ غَسَّلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاغْتَسَلَ، ثُمَّ بَكَّرَ وَابْتَكَرَ، وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَبْ، وَدَنَا مِنْ الإِمَامِ، فَاسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْغُ، كَانَ لَهُ**

---

(١) صحيح: صحيح البخاري (٢٧٨٤)، صحيح النسائي (٢٦٢٧) عن عائشة.

(٢) صحيح: صحيح الترمذي (٦٤٥) ، صحيح أبي داود (٢٩٣٦)، صحيح ابن ماجه (١٤٧٧) عن رافع بن خديج.

(٣) صحيح: صحيح ابن ماجه (١٨٧) ، صحيح الجامع (٦١٨٤)، صحيح الترغيب (٨٧) عن أبي هريرة.

(٤) فصَّلتُ في هذا في كتابي (خطوات نحو الملك) جل جلاله، فصل (كيف تكسب أجر الصائم القائم؟).

(٥) صحيح: صحيح أبي داود (٤٧٩٨)، صحيح الترغيب (٢٦٤٣)، صحيح الجامع (١٦٢٠) عن عائشة.

بِكُلِّ خُطْوَةٍ عَمَلُ سَنَةٍ؛ أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا»[1].

- **رباط يوم وليلةٍ في سبيل الله**، قال النبي ﷺ: «**رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه**»[2]، وقد ذكرنا الساعي على الأرملة والمسكين.

- **الجلوس بعد الفجر إلى الشروق** يكسبك أجر حجة وعمرة دون مكابدة عناء السفر وأداء الشعائر، قال النبي ﷺ: «**من صلى الفجرَ في جماعةٍ ثم قعدَ يذكُرُ اللهَ حتى تطلُعُ الشمسُ ثم صلى ركعتين كانت له كأجرِ حَجَّةٍ وعمرةٍ. تامَّةٍ، تامَّةٍ، تامَّةٍ**»[3].

- **من الأعمال ما يكسبك صلاة الله وملائكته عليك**: أي رحمة الله لك واستغفار ملائكته لك[4]:

- **فإذا دخلت المسجد فاحرص على الصلاة في الصف الأول**، قال النبي ﷺ: «**إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول**»[5].

- **وإذا وجدت فرجة في الصف فسدها** قال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ وملائِكتَهُ يُصلُّونَ على الَّذينَ يَصِلونَ الصُّفوفَ**»[6].

---

(١) صحيح: صحيح أبي داود (٣٤٥)، صحيح النسائي (١٣٨٣)، صحيح ابن ماجه (٨٩٨) عن أَوْس بْن أَوْسٍ الثَّقَفِيُّ.

(٢) صحيح: صحيح مسلم (١٩١٣)، صحيح الترمذي (١٦٦٥)، صحيح النسائي (٣١٦٨) عن سلمان الفارسي.

(٣) حسن: صحيح الترمذي (٥٨٦)، صحيح الجامع (٦٣٤٦)، صحيح الترغيب (٤٦٤) عن أنس بن مالك

(٤) فصَّلتُ ذلك في كتابي (خطوات نحو الملك) -جل جلاله- في فصل (**كيف تكون ممن يصلي عليهم الله وملائكته؟**)

(٥) صحيح: صحيح ابن ماجه (٨٢٣)، صحيح النسائي (٨١٠)، صحيح أبي داود (٦٦٤) عن البراء بن عازب.

(٦) صحيح: صحيح ابن ماجه (٨٢١)، صحيح ابن حبان (٢١٦٣)، صحيح الترغيب (٥٠٧) عن عائشة.

- **وعليك بالسحور قبل الصيام**، قال النبي ﷺ: «**فإن الله وملائكته يصلون على المتسحرين**»[1].

- **عيادة المريض**، قال النبي ﷺ: «**ما من امرئ مسلم يعود مسلماً إلا ابتعث الله سبعين ألف ملك يصلون عليه في أي ساعات النهار كان حتى يمسي، وأي ساعات الليل كان حتى يصبح**»[2].

- **حسن الخلق**: من العبادات التي توازي أجور أعمال وطاعات عظيمة جداً.. كلمة طيبة، ابتسامة لأخيك، شجاعة في موقف يحتاج شهامة، لين جانب في التعامل مع الغير لا سيما الأرحام، الكرم والعفو وحسن الضيافة... وقائمة تطول من حسن الخلق تورثك أعلى الدرجات وثقل الميزان ورفقة النبي ﷺ وأعظم الأجور بجهد قليل.

- **قد تفتر أحياناً عن الإتيان ببعض العبادات الجسدية أو يفتر القلب** عن الحضور فيها كقيام الليل أو قراءة القرآن أو العمرة فلا تشعر بالخشوع دائماً لأسباب عدة منها الغفلة أو ارتكاب معاصي أو الحاجة للنوم والراحة، من الذكاء الاستمرارية فيها رغم عدم حضور القلب للإبقاء عليها وعدم فتح الباب لتركها بالكلية لاحقاً.. أدِّ وردك مهما كان.



(١) حسن: صحيح الجامع (٣٦٨٣)، صحيح ابن حبان (٣٤٦٧)، صحيح الترغيب (١٠٧٠) عن أبي سعيد الخدري وابن عمر.

(٢) صحيح: مسند أحمد (٢/ ١٩٧)، صحيح الجامع (٥٦٨٧)، صحيح الترغيب (٣٤٧٦عن علي بن أبي طالب.

الفصل السادس



الذكاء في العبادات المالية

اختبر ذكاءك..

- **أيها أذكى (أكثر أجراً وأولى)**: أن تتبرع بمبلغ من المال لإنقاذ حياة مسلمين يموتون من الجوع أو المرض، أم تتبرع به للمساهمة في بناء مسجد في حي ما فيُكتب لك أجر كل من صلى فيه؟

- **أيها أذكى (أكثر أجراً وأولى)**: المشاركة في دفع دية قتيل لأهل القتيل لإنقاذ حياة القاتل الغير متعمد أم تغطية نفقات حج لشخص ليرجع كيوم ولدته أمه؟

- **لديك مبلغ من المال فائض**، أيها أذكى (أكثر أجراً وأولى) أن تذهب به إلى العمرة أم تُقرض به جاراً لك يحتاجه؟

مقدمة وشرح..

لقد جاءت نصوص عديدة جداً في فضل الصدقة، فهي تُطفئ غضب الرب، وتمحو الخطيئة، وتقي من النار، وتداوي المرضى، وتُلَيِّنُ القلب، وتجلب البركة، والمرء في ظل صدقته يوم القيامة...الخ، وهذه أمور مشتركة بين الصدقات كلها بإذن الله، لكن يبقى السؤال: أي هذه الصدقات ومصارفها العديدة أكثرُ ذكاءً

(أجراً وأولوية) وأحب إلى الله وأنفع لخلقه حتى يُقدِّمها المرء على غيرها فيكون إنفاقه بذكاء؟ هذا ما سنعلمه في هذا الفصل بالتفصيل.

- **من العبادات المالية ما هو لازم النفع**، يُنفقه المرء على نفسه، كشراء كتب العلم أو تسجيلات الدروس والمحاضرات والتلاوات القرآنية يستمع إليها، أو كالإنفاق على الحج والعمرة أو غير ذلك.. **غير أن مجمل العبادات المالية هي عبادات متعدية النفع** كالزكاة والصدقات ومصارفهما وغير **ذلك** من الإنفاق في سبيل الله.

وفي كلتا الحالتين: **(اللازم والمتعدي)** فإن العبادات المالية لا تخرج عن كونها واحدة من أربع حالات بحسب درجة أهمية الحدث وعاجل أم لا، فمن الأمور ما هو مهم ومنها ما هو أقل أهمية، ومنها ما هو طارئ (عاجل) ومنها ما يمكن تأجيله. وتحديد ذلك أمر نسبي يختلف من زمن لزمن ومن مكان لمكان ومن حال لحال. ولوضع الحدود والقواعد العامة فضلتُ استخدام مصفوفة المهم والعاجل التي تُستخدم عادة في الأولويات في علم الإدارة وإدارة الوقت، (الطارئ) من العبادات المالية أولاً قبل ذكر الأمثلة:

	مهم	أقل أهمية
طارئ	(ضروريات) إنقاذ مرضى من الموت إنقاذ جوعى من الهلاك إنقاذ المتضررين من الحروب إسعاف المصابين من الزلازل من المسلمين حفر آبار لمدينة نائية في إفريقيا أهلها يعانون شح المياه شراء خيم وبطانيات للمهجرين وسكان المخيَّمات لتقيهم من برد الشتاء	(حاجيَّات لعدد قليل) تغطية نفقات عملية جراحية لشخص ما فك الأسير (العاني) دفع إيجار عائلة مستورة إصلاح وصيانة عطل في بيت لعائلة فقيرة تفطير صائم فقير أو مسكين لا يجد ما يأكل المشاركة في دفع دية قتيل لأهله
غير طارئ	(حاجيَّات لعدد كبير) طباعة مصاحف بناء مسجد وقف مبنى لدار تحفيظ القرآن تغطية إيجار شقة لدار الزكاة لسنة كاملة الإعلام الديني الدعوي كفالة يتيم تزويج شاب وفتاة	(تحسينيَّات) (كماليَّات) تعليم طالب علم تغطية نفقات دراسة جامعية توزيع وجبات إفطار في رمضان لسائقي السيارات وقت الأذان تغطية نفقات عمرة أو حج لشخص شراء كاميرات لمراقبة المسجد تغيير سجاد المسجد وفرشه

ملحوظات على الجدول:

- **مهم**: وتنبع أهميته من كونه فرضاً بالمقارنة بالنافلة، أو أنه يمس الضروريات الخمس (**الدين، النفس، العقل، المال، العرض أو النسل**) أو الحاجات التي يتأذى الناس بغيابها في دينهم ودنياهم فتحدث لهم بذلك مشقة وحرج، أو كون الفئة المستهدفة والمستفيدين أكثر عدداً، أو أنها أطول وأكبر أثراً.

- **أقل أهمية**[1]: وأهميته أقل كون عدد المستفيدين أقل، أو أثره قصير أو منقطع، ويخدم التحسينيات (**الكماليات**) التي تحسن جودة الحياة لكن لا يتأذى الناس كثيراً بغيابه.

- **طارئ**: لا يقبل التأجيل، يتعلق بأرواح الناس أو دينهم أو عقولهم أو أعراضهم أو أموالهم.

- **غير طارئ**: يقبل التأجيل، ولو لم يحدث لا يتأثر به الناس كثيراً.

قواعد الذكاء..

١- كلما اقتربت دائرة القرابة من المرء كان الإنفاق أذكى (أولى وأعظم أجراً).

- **فالأهل أولى الناس بالصدقة**: ثم الأقربون ثم الجار والصاحب وهكذا.. فالأقربون أولى بالمعروف.

- **ففي النفقة على الزوجة والأبناء وكونها أعظم الصدقة**، قال النبي ﷺ:

(١) لم أقل (غير مهم) بل (**أقل أهمية**) لأن كل العبادات والطاعات لله مهمة.

«**أربعةُ دنانيرَ: دينارٌ أعطيتَه مسكينًا، ودينارٌ أعطيتَه في رقبةٍ، ودينارٌ أنفقتَه في سبيلِ اللهِ، ودينارٌ أنفقتَه على أهلِك؛ أفضلُها الذي أنفقتَه على أهلِك**»[1].

والصدقة على القريب لها أجر الصدقة وأجر صلة الرحم، والصدقة على الجار لها أجر الصدقة والإحسان إلى الجار، وهذا زيادة في الأجر وهو معنى الذكاء في العبادة. وقال النبي ﷺ: «**الصدقة على المسكين صدقة، وهي على ذي الرحم اثنتان صدقة وصلة**»[2]، وقال النبي ﷺ: «**أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح**»[3] أي ذي الرحم الفقير.

٢- **المتعدي نفعه أذكى وأكثر أجراً من اللازم نفعه**، إلا أن يحتاج المرء اللازم نفعه ليرفع إيمانه ويوازن.

٣- **المهم الطارئ أذكى من غيره ويُقدم عليه**، لأنه يخدم الضروريات والحاجات، ويخدم فئة أكبر من الناس، وربما كان فرضاً. يليه في الذكاء (الأولوية) المهم الغير عاجل أو العاجل الأقل أهمية.

٤- **الإنفاق على ما يبقى أثره (الجاري) أفضل وأذكى عموماً من الذي ينقطع أثره إذا ثبتنا العوامل الأخرى.**

٥- **الإنفاق فيما يولِّدُ المال ثم جعل ريعه لمشروع خيري أذكى من إعطاء مبلغ مقطوع، لأن ما يُدرُّ المال صدقة جارية.**

٦- **الصدقة في حال الشدة** (كحاجة صاحبها ذو الخصاصة لها، أو في حال

(١) صحيح: صحيح الجامع (٨٧٨) عن أبي هريرة مسلم.
(٢) صحيح: صحيح الترمذي (٦٥٨)، صحيح النسائي (٢٥٨٢)، صحيح ابن ماجه (١٨٤٤) عن سلمان بن عامر.
(٣) صحيح: صحيح الترغيب (٨٩٤) عن أم كلثوم بنت عقبة.

ضعف الإسلام وقلة الأنصار) أذكى وأكثر أجراً من زمن الرخاء الشخصي أو العام للأمة. قال الله: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾ [الحديد:١٠]، وقال: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ [البلد: ١٤]، ولذا تصدق أبو بكر بكل ماله وتصدق عمر بنصفه للتجهيز لغزوة العسرة، حيث تدافع الأمة عن وجودها ضد الروم وأعدادهم الكثيرة.

٧- **الصدقة والإنفاق في الأزمنة الفاضلة كرمضان وعشر ذي الحجة أذكى من غيرها**، فقد كان النبي ﷺ أجود ما يكون في رمضان، وما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من أيام العشر **(من ذي الحجة)**.

٨- **قليل دائم خير من كثير منقطع.**

ملحوظات:

- من تحديات الذكاء التأكد من وصول المال لمستحقيه إما باليد أو عبر أفراد ثقة أو مؤسسات خيرية موثوقة.

- يجوز الإنابة في العبادات المالية عبر أفراد أو مؤسسات خيرية، وهي بذلك توفر الوقت والجهد، غير أنها أحياناً تُفقد المرء مشاعر الصدقة ولين القلب والشفقة على المحتاجين.

- يجب أن يكون المال طيّباً **(من حلال)** في أي نفقة حتى يقبلها الله ابتداءً، قال النبي ﷺ: **«ولا يقبلُ اللهُ إلَّا الطيِّبَ»**[1].

---

(١) صحيح: البخاري (١٤١٠)، مسلم (١٠١٤) عن أبي هريرة.

تطبيقات وأمثلة..

- لما نزل قول الله: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، جعل أبو طلحة أحب أمواله بيرُحاء صدقة لله، فقال له النبي ﷺ: «**بخ بخ مال رابح، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين**» **فقال: أفعل يا رسول الله، فقسَّمها في أقاربه وبني عمه**»[1] .. فالصدقة على الأقربين أذكى وأولى (**القاعدة ١**).

- أن تبني محلاً تجارياً ثم تخصص ريعه أو توقفه للإنفاق على دار تحفيظ قرآن أو مسجد أذكى وأفضل من إعطاء مبلغ مقطوع دفعة واحدة لدار تحفيظ القرآن، إلا إن كان المبلغ كبيراً أو يسد حاجة عاجلة لديهم (**القاعدة ٥**).

- الإنفاق على المتضررين من الزلازل والحروب والفقر والأوبئة أذكى وأولى من الإنفاق على تغطية نفقات المعتمرين أو دور تحفيظ القرآن، لأن الحالة الأولى من الضروريات (**حفظ الدين، حفظ النفس، حفظ العقل، حفظ المال، حفظ العرض**)[2]، وهي مهم عاجل فهي أَوْلى من العمرة (**القاعدة ٣**).

- تخصيص مبلغ مقطوع شهري أفضل من إعطاء مبلغ مرة بالسنة، فقليل دائم يجدد نية الصدقة ويلين القلب خير من كثير منقطع، إلا إذا كان هناك حاجة عاجلة للمبلغ المقطوع مرة واحدة. (**القاعدة ٨**).

---

(١) صحيح: البخاري (١٤٦١)، مسلم (٩٩٨) عن أنس بن مالك.

(٢) بعيداً عن الجدل في أيها يُقدم حفظ الدين أم حفظ النفس، فإني أدعم رأي العلماء الذين اختاروا أن إنقاذ غريق من الغرق أو مريض من الموت أولى من إدراك الصلاة، ولا يُفسر هذا بتقديم حفظ النفس على الدين، فالدين وإيمان المرء لن يتأثر أو يزول إن هو قدَّم إنقاذ حياة إنسان على تأخير الصلاة وهذا من الاستثناءات النادرة، وقد رخص الله للمعذبين من الصحابة بالنطق بالكفر حفاظاً على أرواحهم ما دامت قلوبهم قد اطمأنت بالإيمان، فهل قدموا النفس على الدين؟ كلا.

- إذا كنتَ قد حججتَ حجة الإسلام (**الفريضة**) ثم حججت نافلة كذلك، وتنوي الحج للمرة الثالثة مثلاً، فإنفاق ذلك المبلغ على شخص لم يحج الفريضة من قبل أذكى من حجك النافلة للمرة الثالثة (**القاعدة ٢**).

- النفقة على الزوجة والعيال مطلب رئيس يفعله كل أحد راغباً، لكن احتساب ذلك يجعل له أجر الصدقة، قال النبي ﷺ: «**الرجل إذا أنفق النفقة على أهله يحتسبها كانت له صدقة**»[١]، وقال النبي ﷺ: «**وَلَسْتَ بِنَافِقٍ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ، إِلَّا آجَرَكَ اللَّهُ بِهَا حَتَّى اللُّقْمَةَ تَجْعَلُهَا فِي فِيِّ امْرَأَتِكَ**»[٢] (**القاعدة ١**).

- الإنفاق على الأهل (**الزوجة والعيال**) أذكى من الإنفاق في سبيل الله في جهاد الطلب، لأن الأولى فرض عين والثانية فرض كفاية. قال النبي ﷺ: «**أفضل الدنانير: دينار ينفقه الرجل على عياله، ودينار ينفقه الرجل على دابته في سبيل الله، ودينار ينفقه الرجل على أصحابه في سبيل الله عز وجل**»[٣] (**القاعدة ١**).

- يجوز تقديم الزكاة عن وقتها وإنفاقها على المتضررين من المسلمين من الحروب أو الكوارث أو الأوبئة، لأن إنقاذ أرواحهم وحفظ حياتهم هو من الضروريات ويصبح فرض كفاية في حق البعض وأولوية يجب سدُّها (**القاعدة ٣**).

---

(١) صحيح: البخاري (٥٣٥١)، مسلم (١٠٠٢) عن عقبة بنعمرو

(٢) صحيح: البخاري (٣٩٣٦)، مسلم (٤٤٠٩) عن سعد بن أبي وقاص.

(٣) صحيح: صحيح مسلم (٩٩٤)، صحيح الترمذي (١٩٦٦) عن ثوبان

- من الذكاء أحياناً الإنابة (**التوكيل والتفويض**) في أداء العبادة المالية لجهة أو شخص ثقة، والتفرغ لعبادات أخرى جسدية أو فكرية فيكسب أجراً مضاعفاً ويُكسب من أنابه الأجر كذلك.

- بناء ثلاثة مساجد بناءً متواضعاً من غير كثير زخرفة أذكى وأكثر أجراً من بناء مسجد واحد بزخرفة مُكلفة. (**القاعدة ٣**).

- شراء خيم وبطانيات للمهجَّرين وسكان المخيَّمات تقيهم من برد الشتاء أذكى وأولى من الإنفاق على رحلة عمرة لحفظة القرآن، إذ يمكن تأجيل العمرة بينما وقايتهم من برد الشتاء مهم عاجل، وقد سمعنا عن أطفال ماتوا من شدة البرد لنقص الإمكانيات في بعض المخيمات (**القاعدة ٣**).

- الإنفاق على الإعلام الديني ومنتاج برامج دعوية توصل الدعوة إلى المسلمين عبر التلفاز ووسائل التواصل الاجتماعي من أذكى العبادات المالية التي يغفل عنها كثير من المحسنين الموسرين في زماننا، وهي أذكى وأكثر أجراً من الإنفاق في تحسين فرش مسجد أو تفطير الصائمين لأنها علم ينتفع به فهي من الصدقات الجارية التي يبقى أثرها، وهي متعدية النفع لا سيما في زمن غربة الإسلام أو في بلدان غير المسلمين (**القاعدة ٣**).

- «بدلاً من أن تعطيني سمكة، علمني الصيد». الإنفاق في تأهيل يتيم أو فقير بتعليمه حرفة أو صنعة أو تخصصاً جامعياً ينفق على نفسه منه فيصبح عصامياً أذكى من مجرد إعطائه مبلغاً مقطوعاً من المال كل شهر ويبقى عالة على غيره (**القاعدة ٥**).

- تزويج شاب وفتاة وتحصينهما من فتن الشهوات ليُكوِّنا أسرة أذكى وأولى من الإنفاق على حج نافلة أو عمرة، فكل ركعة يركعانها وكل حسنة يفعلانها بالحلال وصلاح أبنائهما في ميزان حسنات من أنفق على تزويجهما (**القاعدة ٢**).

- إذا اشترك جارك وغريب في درجة الفقر، وأحببت أن تتصدق بمبلغ واحد رصدته للصدقة، كانت الصدقة على جارك أكثر ذكاءً لزيادة أجر الإحسان إلى الجار مع أجر الصدقة.. لكن إذا كان الغريب أشد فقراً وحاجة، قدمنا الأكثر أهمية لسد احتياجه ولتنفيس كربته على قرب الجار (**القاعدة ١**).



الفصل السابع

المشقة والذكاء في العبادة

اختبر ذكاءك..

- إذا توفر لك الماء الدافئ في الشتاء فأيها أذكى (أكثر أجراً): أن تتوضأ بالماء الدافئ أم البارد من باب إسباغ الوضوء على المكاره؟
- إذا كان المسجد يبعد عنك مسافة كيلومتر ولديك سيارة، فأيهما أذكى: أن تمشي إلى المسجد على قدميك أم تذهب بالسيارة؟ ولماذا؟
- هل يزيد الأجر دائماً إذا زادت المشقة؟ وهل التناسب بينهما طردي دائماً؟

مقدمة وشرح..

- كثيراً ما نسمع مقولة: «الأجر على قدر المشقة»، وستتفاجأ أنها ليست بحديث بل هو قول منسوب إلى القرافي والسيوطي[1]، وأصل هذه المقولة والقاعدة هو قول النبي ﷺ لعائشة: «**أجْرُكِ على قدْرِ نَصَبِكِ**»[2]، لكن العجيب أنه جاءت نصوص عدة تبين أن بعض العبادات قليلة أو مهملة المشقة أكثر أجراً من عبادات ذات مشقة عالية بيّنا بعضها في فصلي (**الذكاء في العبادات القلبية**) و(**الذكاء في العبادات اللسانية**)، منها قول النبي ﷺ

---

(١) المقري في القواعد (٢/ ٤١١)، والقواعد والضوابط الفقهية عند ابن تيمية (٢٣٤).

(٢) صحيح: البخاري (١٧٨٧)، مسلم (١٢١١) عن عائشة

عن الذكر: «**ألا أنبِّئُكم بخيرِ أعمالِكُم، وأزكاها عندَ مليكِكُم، وأرفعِها في درجاتِكُم وخيرٌ لَكُم مِن إنفاقِ الذَّهبِ والورِقِ، وخيرٌ لَكُم من أن تلقَوا عدوَّكُم فتضرِبوا أعناقَهُم ويضربوا أعناقَكُم؟ قالوا: بلَى. قالَ: ذِكْرُ الله**»[1].. تخيل ذكر الله (**عبادة لسانية**) أكثر أجراً من الجهاد (**عبادة جسدية ذات مشقة عالية**) ومن إنفاق الذهب والفضة (**عبادة مالية**).

إذن كيف ذلك؟! وكيف نجمع بين هذا الحديث وقول النبي ﷺ: «**أجْرُكِ على قدْرِ نَصَبِكِ**»؟ وهل دائماً الأجر مرتبط بالمشقة الجسدية فكلما زادت المشقة زاد الأجر؟

للإجابة على هذا السؤال (التعارض المتوهم) تعالوا نرى أولاً أسباب المشقة، من أين تتولد المشقة للمرء في أداء العبادات وما أسبابها؟ ثم نستنبط أنواع المشقة لنجيب على السؤال.

تتولد المشقة عموماً من أسباب عدة، منها:

١ - **الزمان**: سواء كان زماناً واسعاً كالصيف وما فيه من حرّ أو رطوبة فيكون في بعض العبادات فيه مشقة كغزوة العسرة التي كانت في حر الصيف، وكالمشي إلى المساجد في بعض الأماكن العالية الرطوبة والحرارة في الخليج العربي، أو كالشتاء والوضوء فيه بالماء البارد، أو كوقت الحروب والمجاعات، أو كالصبر في أزمنة الفتن. وقد يكون زماناً ضيقاً كصلاة

---

(١) صحيح الترمذي (٣٣٧٧). قال العز بن عبد السلام: هذا الحديث مما يدل على أن الثواب لا يترتب على قدر النصب في جميع العبادات بل قد يأجر الله تعالى على قليل الأعمال أكثر مما يأجر على كثيرها، فإذا الثواب يترتب على تفاوت الرتب في الشرف (قواعد الأحكام).

الفجر والعشاء أثقل صلاتين على المنافقين لما فيهما من المشقة، وكإسباغ الوضوء على المكاره.

٢- **المكان**: كبعد المسجد، أو لكثرة الزحام فيه كطواف الإفاضة ورمي الجمار، أو العمرة في رمضان.

٣- **حال العابد**: فقد يكون مريضاً أو مسافراً أو أعمى تصعب حركته وتنقله، فيكون ذهابه إلى المسجد شاقاً أكثر من غيره، ويكون صيامه أو تهجده بالليل أشق من غيره.

٤- **هيئة العبادة ذاتها أو الحكم الفقهي المرتبط بها**: فهناك من العبادات ما كان في أدائها مشقة بدنية كالحج والجهاد، ولذا جعل الله الحج لمن استطاع إليه سبيلاً.

٥- **تكرار العبادة (الكم)**: فتأتي المشقة من المواظبة على بعض العبادات كقيام الليل كل ليلة، وكثرة الخطى إلى المساجد، وصيام الاثنين والخميس، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة ٤٥].

مما سبق نستنبط أن هناك نوعين من المشقة:

١- مشقة يمكن تفاديها والتغلب عليها أو التحكم بها.

ولا يترتب على هذه المشقة أجر إضافي، إذ لم يأمرنا ديننا بالمشقة بل جاء ليرفعها عنا بالتسهيل والتيسير، فالمشقة ليست مطلباً لذاتها لزيادة الأجر،

وليست دائماً الفيصل في تفضيل العبادات عن بعضها، كمن كان يسلكها من العباد قديماً ظناً منهم وجهلاً أنه يزيد الأجر ويقرب إلى الله! وقد جاءت نصوص عديدة تذم تلك المشقة المصطنعة المفتعلة التي لا حاجة لوجودها ولم يطلبها الله منا، منها:

- رَأَى النبي ﷺ رَجُلًا يُهَادَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: نَذَرَ أَنْ يَمْشِيَ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ، فقَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ تَعْذِيبِ هَذَا نَفْسَه، مُرْهُ فَلْيَرْكَبْ**»[1]

- قول النبي ﷺ: «**هلك المتنطعون**»[2]

- حديث أبي إسرائيل الذي نذر أن يصوم، وأن يقوم قائماً ولا يجلس ولا يستظل ولا يتكلم فقال النبي ﷺ: «**مروه فليجلس وليستظل وليتكلم وليتم صومه**»[3]

- قول الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، وقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

- قول عائشة: «**مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا**»[4].

٢- مشقة لا يمكن تفاديها أو التغلب عليها أو التحكم بها.

وهي مشقة موجودة لا بد منها لحال العابد أو المكان أو الزمان أو طبيعة

---

(١) صحيح: البخاري (١٨٦٥)، مسلم (١٦٤٢) عن أنس بن مالك
(٢) صحيح: صحيح مسلم (٢٦٧٠) عن عبد الله بن مسعود
(٣) صحيح: البخاري (٦٧٠٤)، صحيح أبي داود (٣٣٠٠) عن ابن عباس
(٤) صحيح: البخاري (٦١٢٦)، مسلم (٢٣٢٧) عن عائشة

العبادة نفسها، وهي التي يزيد فيها الأجر على قدر التعب والنصب بشكل طردي، وفيها جاءت النصوص التي تبين أجر المشقة الزائدة، مثل:

- قال النبي ﷺ: «إن من ورائكم زمان صبر للمتمسك فيه أجر خمسين شهيداً منكم»[(١)].

- وقال: «عبادة في الهرج كهجرة إلي»[(٢)].

- وقال النبي ﷺ: «أَلا أَدُلُّكُمْ عَلى مَا يمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلى يَا رسولَ اللهِ. قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلى المَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الخطى إِلى المَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاةِ بعْد الصَّلاةِ، فَذلِكُمُ الرِّبَاطُ، فَذلكُمُ الرِّبَاطُ»[(٣)].

- قال النبي ﷺ: «الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ وَهُو ماهِرٌ بِهِ معَ السَّفَرةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ، وَالَّذِي يقرَأُ القُرْآنَ ويَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُو عليهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَان»[(٤)].

- «إِنَّ أَعْظَم النَّاسِ أَجرًا في الصَّلاةِ أَبعَدُهُمْ إِلَيْها ممْشًى فَأَبْعَدُهُمْ»[(٥)]، ومثل ذلك قول النبي ﷺ لبني سلمة عندما أرادوا السكنى قرب مسجد النبي ﷺ: «يا بَنِي سَلِمَةَ ديارَكُمْ تُكْتَبْ آثارُكُمْ»[(٦)] [رواه مسلم]، ما داموا يستطيعون السير إلى المسجد.

إذن، فنحن مأمورون بتفادي المشقة ما استطعنا لذلك سبيلاً، فإن كان لا بد

---

(١) صحيح: صحيح الجامع (٢٢٣٤) عن ابن مسعود.
(٢) صحيح: صحيح مسلم (٢٩٤٨) عن معقل بن يسار
(٣) صحيح: صحيح مسلم (٢٥١)، صحيح الترمذي (٥١)، صحيح النسائي (١٤٣) عن أبي هريرة
(٤) صحيح: البخاري (٤٩٣٧)، مسلم (٧٩٨) عن عائشة.
(٥) صحيح: البخاري (٦٥١) ، مسلم (٦٦٢) عن أبي موسى الأشعري
(٦) صحيح: صحيح مسلم (٦٦٥) عن جابر بن عبد الله

من المشقة فهنا تأتي الزيادة في الأجر.. وأنقل هنا بعض ما سطره علماؤنا الأفذاذ في هذا الفهم العميق:

قال العز بين عبد السلام: «لا يصح التقرب بالمشاق» [قواعد الأحكام ١١\٣٠].

وقال ابن تيمية: «فكثيراً ما يكثر الثواب على قدر المشقة والتعب، لا لأن التعب والمشقة مقصود من العمل؛ ولكن لأن العمل مستلزم للمشقة والتعب» [مجموع الفتاوى ١٠/ ٦٢٢].

وقال النووي: «هذا ظاهر في أن الثواب والفضل في العبادة يكثر بكثرة النصب والنفقة، والمراد بالنصب الذي لا يذمه الشرع وكذا النفقة» [شرح النووي على مسلم ٨\١٢٣].

قواعد الذكاء..

١- إتيان الوسائل والأدوات التي ترفع الحرج وتقلل المشقة ما دام الأجر نفسه.

٢- إتيان الرخص لرفع الحرج والمشقة كقصر الصلاة والإفطار في السفر، فالأجر متحقق والله يحب أن تؤتى رخصه.

٣- الإكثار من النوافل ذات المجهود الأقل والأجر المساوي للعبادات ذات المشقة [راجع فصل الذكاء في العبادات اللسانية والجسدية].

٤- إذا تساوت عبادتان وكان في أحدهما زيادة مشقة لا بد منها لأحد أسباب المشقة أعلاه، زاد أجره[1]

(١) قال العز بن عبد السلام: «إن تساوى العَمَلان من كل وجه في الشرف والشرائط والسنن، كان الثواب على أشقهما أكثر»، مثال: عدد ساعات الصيام في بعض الدول أكثر من غيرها.

تطبيقات وأمثلة عملية..

حاول أن تربط بين الأمثلة والقواعد السابقة..

- ليس من الذكاء تعمد الاغتسال بالماء البارد في الشتاء لزيادة المشقة ظناً أن هذا يزيد الأجر، لكن إذا لم يتوفر الماء الدافئ واضطررت للوضوء بالماء البارد كان الأجر أكثر لوجود المشقة.

- طواف الإفاضة في ازدحام ومشقة أكثر أجراً لا سيما لكبار السن والمرضى.

- من أجمل البر حمل الوالدة على الظهر والطواف أو السعي بها إن اضطررت لذلك، غير أنك تستطيع أن تستأجر عربة متحركة تحملها عليها دون أن تعرض ظهرك لآلام الظهر (الديسك) لاحقاً.

- إذا أصابك مرض السماط (مرض جلدي بين الفخذين) أثناء سعيك بين الصفا والمروة أو شعرت بالتعب والإرهاق فلا بأس باستخدام عربة نقل والسعي بها فقد سعى النبي ﷺ راكباً، ولا بأس من الوقاية من هذا المرض وإسكانه باستخدام المراهم الخاصة.. **لا تشق على نفسك.**

- السفر بالطائرة إلى العمرة إن تيسر المال بدلاً من السفر براً، وفر جهدك للتركيز في الأذكار والخشوع في الطواف والصلاة والمكوث في الحرم أطول زمن ممكن، بدلاً من الوصول تعباً تحتاج للراحة والنوم.

- فصل الوتر إلى ركعتين ثم ركعة أذكى وأكثر أجراً من صلاته ثلاث ركعات بتسليمة واحدة لزيادة المشقة.

- في النافلة: «**صلاة الرجل قاعداً نصف الصلاة**»؛ لأن في القيام جهداً أكبر

من القعود، أما القيام في الفرض فواجب، يُستثنى في الحالتين صاحب العذر، فإن كنتَ مريضاً أو تعباً فلا بأس من القعود في النافلة في قيام الليل للمواظبة عليه بدلاً من ترك الصلاة كاملة.

- إفراد النسك (**عمرة مكتملة ثم حج**) أفضل من القِران.
- تكبد عناء السفر للحج والعمرة ممن يسكن بعيداً عن الحرم أكثر أجراً ممن يسكن قريباً منه لوجود المشقة، ثم يتسابقان بعد ذلك بأعمال القلوب.
- الإكثار العددي (**الكمي**) من النوافل أذكى إن كان في حدود طاقة المرء وبما يحافظ على خشوعه ولا يجلب له الملل في الوقت نفسه، فصلاة قيام الليل ثمان ركعات أكثر أجراً من أربع ركعات، وأربع أذكى من ركعتين.. وهكذا.
- إذا تساوى اثنان في الحالة المادية والنية إجمالاً، فالصدقة من أحدهما بمائة دينار أكثر أجراً من خمسين ديناراً لزيادة العدد والكم.
- صدقة بعشرة دنانير من فقير ربما تكون أكثر أجراً من صدقة غني بخمسين ديناراً، لأن حاجة الفقير لها أشد فهي عليه أشق.
- الذهاب إلى المسجد مشياً أذكى وأكثر أجراً من ركوب السيارة إن كانت المسافة يمكن مشيها، فإذا كان المسجد بعيداً أو كان يصعب المشي إليه فالركوب أولى تجنباً للمشقة وللتكاسل مستقبلاً.
- تعليم الأجانب (**الغير ناطقين بالعربية**) القرآن والعربية أكثر أجراً من تعليم العرب، لأن فيها زيادة مشقة وصبر عليهم.

- يجوز جمع نية صلاة سنة الوضوء وتحية المسجد والسنة القبلية والاستخارة في ركعتين إذا ضاق الوقت، فإذا كان معك متسع من الوقت فصلاة كل واحدة منفرداً أكثر أجراً لزيادة المشقة.

- تستطيع تحويل الصدقات أو الزكاة عبر إيداع المال في حساب دار الصدقات دون الحاجة للذهاب بنفسك إن كان في ذلك مشقة، اختصاراً للجهد.

- بعض الدول التي يزيد فيها الصيام عن ١٨ ساعة (شمال أوروبا)، يكون الصيام فيه شاقاً أكثر من غيرها التي تصوم فقط ١٤ ساعة، عندها يحتسب المرء الأجر في هذه المشقة.

- كبير السن عالي الهمة الذي يحتمل مشقة المشي على عكازه لحضور صلاة الجماعة في المسجد، فله أجر المشقة هذه.

- تكرار العبادات لا سيما النوافل سبب للمشقة كقيام الليل كل ليلة ووجود ورد للقرآن كل يوم وإتيان الأذكار وحضور الجماعة في المسجد... وغيرها، المواظبة على ذلك سبب لزيادة الأجر لحصول المشقة (**ألا أدلكم على ما يرفع الله به الدرجات ويكفر به الخطايا:.... وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة**).

- كان لصلاتي الفجر والعشاء مزيد من الفضل والأجر لأن فيهما زيادة مشقة ومجاهدة للنفس بترك النوم والراحة.



الفصل الثامن



الذكاء في العبادات المقيدة والمطلقة

اختبر ذكاءك..

- أيهما أذكى (أولى وأفضل) إذا كنت عند الكعبة: الطواف حول الكعبة أم صلاة النافلة؟
- إذا كان المؤذن يؤذن وأنت تقرأ القرآن، هل الأذكى أن تتوقف لتردد خلف المؤذن أم تُكمل قراءة القرآن؟
- كنتَ تقوم بعمل فيه إنقاذ نفس كإنقاذ غرقى أو إجراء جراحة لمريض وستفوتك صلاة الظهر بعد عشر دقائق، أيهما أذكى أن تستمر في عملك في إنقاذ نفس أم تلحق وقت الصلاة قبل فواته؟

مقدمة وشرح..

تنقسم العبادات من حيث ارتباطها بزمان أو مكان أو سبب من عدم ارتباطها إلى:

(١) **عبادات مُقيَّدة**: هي عبادات مرتبطة بزمان أو مكان أو سبب أو حال.

(٢) **عبادات مطلقة**: فهي عبادات غير مرتبطة أو مقيدة بزمان أو مكان أو هيئة أو سبب أو حال، بل يمكن أداؤها بأي وقت وحال.

وفي كلتا الحالتين قد تكون فرضاً أو نافلة، وقد تكون كذلك عبادات قلبية أو لسانية أو جسدية أو مالية.

وفيما يلي أمثلة توضح كل نوع:

نوع العبادة	أمثـــــلة
مقيدة بالزمان والمكان معاً	- كالحج لا يكون إلا في ذي الحجة وفي مكة تحديداً.
مقيدة بالمكان دون الزمان	- كالعمـرة وكالطواف لا يكونـان إلا في مكة، وكدعاء دخول البيت متعلق بالبيت، وتحية المسجد لا تكون إلا في المسجد.
مقيدة بالزمان دون المكان	- كالصيـام الفريضـة لا يكـون إلا في رمضـان، وكالصلـوات عمومـاً، وبعض النوافل كالضحى والوتر والسـنن الرواتب القبلية والبعدية، كلها مرتبطة بأزمان.
مقيدة بسبب	- كالاسـتخارة، وركعتـي الوضـوء، وركعتـي تحية المسـجد، وصلاة الكسوف.
مقيدة بحال	- كالقصر والجمع في السفر وعند المطر، دعاء المسافر.
عبادات مُطلقة	- سواء كانت فرضاً كالزكاة والكفارات وبر الوالدين. - أو نافلة كالأذكار المطلقة والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ وتلاوة القرآن والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ويتقاطع مع التقسيم أعلاه تقسيم آخر للعبادات هو العبادات من حيث تكرار العبادة، من الجدير ذكره هاهنا للجمع بينهم.

أنواع العبادات بحسب أزمنة تكرارها:

نوع العبادة	أمثـــــلة
عبادات آنيَّة (لحظيَّة)	- كعقيدة المؤمن وإيمانه بالله فهي تلازمه في كل لحظة وآن (قلبية)، وهي ما عناه الله تعالى في قوله: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.
عبادات يومية	- كالصلوات الخمس والنوافل كالوتر والضحى (بدنية)، وكأذكار الصباح والمساء (لسانية).
عبادات أسبوعية	- كصلاة الجمعة (بدنية)، وقراءة سورة الكهف يوم الجمعة (لسانية)، وصيام الاثنين والخميس (بدنية).
عبادات شهرية	- كصيام ثلاثة أيام من كل شهر (بدنية)
عبادات سنوية	- كالزكاة (مالية)، وكصيام رمضان (بدنية)، وصلاة العيدين (بدنية)، والأضحية (مالية)
عبادات عمرية	- كالحج والجهاد الحق لمن استطاع ذلك (بدنية).

وقد يُشكل على المرء في ظل القائمة الطويلة من العبادات أيها يتماشى أكثر مع خيارات الذكاء في العبادة، ولذا سنرى ما تقوله لنا قواعد الذكاء هاهنا.

قواعد الذكاء..

١- الأولوية دائماً للفريضة في وقتها مع حضور القلب.

٢- تقديم العبادات المقيدة بالزمان أو المكان أو السبب على المطلقة حيث يمكن تأجيلها[١].

٣- تقديم العبادات التي ضاق وقتها على التي لا يزال في وقتها سعة[٢].

٤- الإكثار الكميّ **(العددي)** من النافلة المطلقة ما استطاع المرء ذلك بما لا يجلب المشقة والملل.

٥- استغلال الأمكنة والأزمنة الفاضلة التي تُضاعف فيها الأجور[٣].

٦- وفي كل ما سبق شرطان للذكاء فيهما هو: حضور القلب فيها جميعاً، وعدم تعارضها مع ما هو أَولى منها (كالفريضة أو المصلحة عموماً)، وهذا من تعريف الذكاء في العبادة.

---

(١) لخص العلماء هذه القاعدة بقولهم: «**العمل المفضول في زمانه ومكانه يُقدم على الفاضل**»، وبقولهم: «**يُقدم المفضول الذي يُخشى فوته على الفاضل الذي لا يُخشى فوته**». مثال ذلك: قراءة القرآن **(فاضل)** أفضل من الترديد خلف المؤذن **(مفضول)**، إلا أن وقت الأذان ضيق يُخشى فوته، فيُقدم الترديد خلف المؤذن على قراءة القرآن، والاستثناء بالطبع أن يكون الفاضل فرضاً فله الأولوية دائماً.

(٢) عبرَّ العلماء عن هذا بقولهم: «**يُقدم ما لا يُتدارك على ما يُتدارك**»، وبقولهم: «**الواجب المُضيَّق مقدم على الواجب الموسع، والمندوب المُضيّق مقدم على المندوب الموسع**».

(٣) من الأزمنة الفاضلة: رمضان، وعشر ذي الحجة، وليلة القدر، عاشوراء، يوم الجمعة لاسيما آخر ساعة من نهار الجمعة، يوم عرفة.. ومن الأمكنة الفاضلة: مكة، والمدينة المنورة، والقدس، والشام، والمساجد عموماً، والروضة النبوية.

تطبيقات وأمثلة عملية..

استغلال الأمكنة الفاضلة التي تُضاعف فيها الأجور والحسنات بالإكثار من النوافل:

- فالصلاة في الحرم المكي بمائة ألف صلاة فيما سواه.
- وفي الحرم المدني بألف صلاة فيما سواه.
- وتضاعف في المسجد الأقصى بروايات مختلفة (٢٥٠، ٥٠٠، ألف،... الخ).
- **والصلاة في الروضة الشريفة** أفضل من غيرها في الحرم المدني.
- **الصلاة جماعة في المسجد** بسبع وعشرين ضعف صلاة الفرد وحده.
- **سكنى المدينة والموت فيها سبب** لشفاعة النبي ﷺ.
- لزوم الشام في آخر الزمن أولى من لزوم أي مكان آخر كما جاء عن النبي ﷺ.
- **صلاة العيد والاستسقاء في المصلى** أفضل وأكثر أجراً من أدائها في المسجد مع أن المسجد أحب البقاع إلى الله لأنه فعل النبي ﷺ وسنته.

استغلال الأزمنة الفاضلة حيث يحب الله فيها عبادات بعينها ويُضاعف الأجور خاصة آخر وقتها:

- **ففي صوم رمضان قال: «إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، الحسنة بعشر**

أمثالها إلى سبعمائة ضعف»، «ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه».

- **قيام رمضان**: أخبر أن من قام مع الإمام حتى ينصرف فكأنما قام الليل كله، ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه.

- **وقيام ليلة القدر خير من ألف شهر**؛ أي خير من قيام ٨٣ سنة ليس فيها ليلة قدر، والقيام فيها أفضل من عيادة المريض أو مراجعة القرآن أو طلب العلم أو القيام على أمر الفقراء.

- **والدعاء يوم عرفة خير الدعاء** وهو أفضل من قضاء الوقت في إصلاح البين أو تأليف كتاب أو مدارسة العلم أو إكرام الضيف، وصيامه لغير الحاج يكفر سنتين.

- **وفي الجمعة ساعة** من وافقها فسأل الله أعطاه الله سؤله.

- **وإطعام الطعام** في أيام التشريق أفضل من غيرها لقول النبي ﷺ: «أيام منى أيام أكل وشرب...»[1]

- **تركيز الطاعة** عدداً وجودةً في آخر وقت الزمن الفاضل فهو أفضل وقته أجراً وبركة[2]، فالثلث الأخير من الليل أفضل من أوله، والعشر الأواخر من رمضان أفضل من غيرها، وآخر ساعة من الجمعة يستجاب فيها الدعاء، ... وهكذا.

---

(١) صحيح: صحيح مسلم (١١٤٢) عن أبي هريرة

(٢) ذكر ابن رجب هذه القاعدة «كل زمان فاضل من ليل أو نهار فإن آخره أفضل من أوله» (لطائف المعارف ٢٠٦)

الإكثار من النوافل المقيدة بالمكان والزمان والسبب، وتقديمها على ما يمكن تأجيله:

- **فالطواف حول الكعبة** أفضل من صلاة النافلة عندها إذا ضاق الوقت لأنه لا يمكن الطواف في أي مكان آخر.
- **والترديد خلف المؤذن** أفضل من قراءة القرآن أو الاستغفار أثناء الأذان لأن وقت الأذان ضيق وأجر الترديد مرتبط فقط بوقت الأذان، أما القرآن والاستغفار فوقته مطلق.
- **وصلاة الكسوف** أفضل من غيرها عند وقوعها.
- **وصيام ستة من شوال** أولوية في شهر شوال.
- **والتزاور وصلة الأرحام والإحسان إلى الأقارب** في عيد الفطر والأضحى أفضل وأولى من طلب العلم.
- **إذا جاءك ضيف،** فإكرام الضيف والعناية به أولى من الأوراد العامة.
- **إذا مرضت أمك أو أخوك أو أحد أفراد عائلتك،** فالقيام على أمره وعيادته والمكوث معه أولى وأذكى ويُقدم على بعض النوافل الأخرى كطلب العلم والصلاة في المسجد والدعوة وحتى قيام الليل.
- **آداب صلاة الجمعة وسننها نافلة مرتبطة (مقيدة) بها قبل صلاة الجمعة،** فمن الذكاء إتيان سننها وعدم التهاون أو التفريط فيها، فقد ذكر النبي ﷺ أجراً عجيباً لمن أتى بذلك، قال النبي ﷺ: «مَنْ غَسَّلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاغْتَسَلَ، ثُمَّ بَكَّرَ وَابْتَكَرَ، وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَبْ، وَدَنَا مِنْ الإِمَامِ، فَاسْتَمَعَ وَلَمْ

يَبْلُغَ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ عَمَلُ سَنَةٍ؛ أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا»[1].

ولكل عبادة مما ذكرنا أجرها الخاص مما بيناه سابقاً في العبادات القلبية واللسانية والجسدية والمالية، وتُقدر المصلحة في وقتها.

الإكثار الكمي (العددي) من النوافل المطلقة بإنزال العبادات السنوية لمنزلة الشهرية (أو كل ستة شهور)، والشهرية للأسبوعية (أو كل أسبوعين)، والأسبوعية لليومية (أو مرتين في الأسبوع)، وأن يزيد العدد في اليومية المطلقة ما استطاع المرء ذلك، مع مراعاة التدرج والتوازن لعدم الملل أو المشقة وأن قليلاً دائماً خير من كثير منقطع، فمثلاً:

- **إن اعتدت الاتصال** بأختك مرة كل أسبوعين، اجعلها مرة كل أسبوع.
- **وإن اعتدت الصدقة** مرة كل شهر، اجعلها مرة كل أسبوعين.
- **وإن اعتدت الصدقة** بـ ١٠ دنانير كل شهر، اجعلها ٢٠ ديناراً إن استطعت.
- **وإن كنت ممن يصلي ركعتين ضحى**، لم لا تجعلها أربع ركعات؟
- **وإن كنت تعتمر مرة في السنة**، هل تستطيع جعلها مرتين في السنة؟
- **وإن كنت ممن يسبح الله في اليوم ١٠٠ مرة**، هل تستطيع تدريجياً أن تصل إلى ٥٠٠ مرة؟
- جعل الصدقة الأسبوعية مرتين في الأسبوع.
- **أكثر من التبسم في وجه من تلقى من إخوانك كل يوم.**
- إن كنت تحضر الماء للعمال في حر الشمس مرة في الشهر، لم لا تجعلها مرتين أو ثلاثة في فصول الصيف الحار؟

---

(١) صحيح: صحيح أبي داود (٣٤٥)، صحيح النسائي (١٣٨٣)، صحيح ابن ماجه (٨٩٨) عن أوس بن أَوْسٍ الثَّقَفِيِّ.

وهكذا، فزيادة الكم والعدد بتوازن تزيد الأجر، وتذكر: قليل دائم خير من كثير منقطع.

- **من الذكاء الإكثار من العبادات اللسانية المطلقة** كذكر الله وترديد ما تحفظ من القرآن وأذكار الصباح والمساء أثناء فعل المباح اليومي كقيادة السيارة، والانتظار في الأماكن العامة، وفي استراحة العمل، وعند الملل من الدراسة، وأثناء القيام بأعمال البيت للسيدات،... وهكذا.

- **الإكثار من العبادات القلبية لا سيما المطلقة:** منها (الغير مرتبطة بعبادات أخرى كالتوكل والتفكر والخشية... الخ) وأنت تقود السيارة أو في خلوة وحدك، أو في أي وقت كان، استغل الوقت واجمع المباحات مع هذا النوع من العبادات.

- **إذا فاتتك صلاة الظهر لنوم أو نسيان،** وبقي ربع ساعة لدخول وقت المغرب، فإنك تصلي العصر أولاً قبل فوات وقته، ثم تصلي الظهر قضاء، فإدراك العصر أداءً في وقتها أولى من الترتيب في الصلوات (**القاعدة ٣**).

- من الذكاء تشميت العاطس أثناء الأذان وقراءة القرآن[١]، لكن لا يفعل ذلك في الصلاة .

- إنقاذ غريق أو مريض من الموت أو من تطوُّرِ حالته المرضية أولى من أداء الصلاة أول وقتها أو أدائها جماعة[٢].

- في كل ما تقدم، العناية بحضور القلب الذي يزيد الأجر ويضاعفه كثيراً كما بيناه في [الذكاء في العبادات القلبية المرتبطة بغيرها].

---

(١) لأنه من باب تقديم المفضول على الفاضل عند اتساع وقت الفاضل.
(٢) لأنه من باب تقديم ما لا يُتدارك على ما يُتدارك.

الفصل التاسع



الذكاء في العبادات اللازمة والمتعدية



اختبر ذكاءك..

أيها أذكى (أكثر أجراً وأحب إلى الله): الاعتكاف في المسجد في رمضان أم حل خلاف زوجي بين اثنين؟

لديك مبلغ من المال، أيها أذكى (أكثر أجراً وأحب إلى الله): أن تحج به نافلة أم تزوِّج شاباً وفتاة فقراء؟

أيها أذكى (أكثر أجراً وأولى وأحب إلى الله): أن تتعلم أساليب الخطابة فتدعو إلى الله، أم تسافر سياحة إلى بلدٍ ما؟

شرح ومقدمة..

تنقسم العبادات من حيث نفعها وأثرها إلى نوعين:

نوع العبادة	معناها	أمثلة
نفعها لازم (قاصر)	ينتفع بأجرها وأثرها صاحبها فقط	كالصلاة والصيام وقراءة القرآن والأذكار.
نفعها متعدٍّ	- يتعداها نفعُها صاحبها لتنفع غيره كأهله أو مجتمعه أو أمته أو حتى البشرية.	- كالزكاة والشفاعة وتنفيس الكرب والدعوة إلى الله وتعليم القرآن.

وفي كلتا الحالتين، قد تكون العبادة فرضاً أو نافلة، وقد تكون عبادة جسدية أو مالية أو لسانية.

وقد تحدثنا في فصل سابق عن أولوية الفرض على النافلة، ففرض العين أكثر أجراً وأحب إلى الله ثم يأتي فرض الكفاية ثم النوافل، فإذا تساوت اختيارات الطاعات في الحكم -لا سيما في فرض الكفاية والنوافل- وضاق الوقت عن فعل الاثنين معاً، فإن المتعدي نفعها أذكى وأكثر أجراً وأولى وأحب إلى الله ورسوله من الطاعات اللازم نفعها لصاحبها فقط (**القاصرة**).. وحيث أن الذكاء في العبادة يستلزم فعل الأحب إلى الله والأكثر أجراً، فالعمل المتعدي نفعه في مجمله أكثر أجراً من اللازم.

وقد جاءت العديد من النصوص تشهد وتدعم هذا المبدأ، منها:

- قال النبي ﷺ: «**أَحَبُّ الناسِ إلى اللهِ أنفعُهم للناس، وأَحَبُّ الأعمالِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ سرورٌ تُدخِلُه على مسلم، تكشِفُ عنه كُربةً، أو تقضي عنه دَيْنًا، أو تَطرُدُ عنه جوعًا، ولأَنْ أمشيَ معَ أخٍ في حاجةٍ أَحَبُّ إليَّ منَ أن اعتكِفَ في هذا المسجدِ يعني مسجدَ المدينةِ شهرًا**»[1].

- «**مَن دَعا إلى هُدًى، كانَ له مِنَ الأجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَن تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذلكَ مِن أُجُورِهِمْ شيئًا**»[2]، أجر عظيم بجهد قليل هو جهد الدعوة فقط، وهو معنى الذكاء في العبادة.

- قال النبي ﷺ: «**وإنَّ فضلَ العالمِ على العابدِ كفضلِ القمرِ ليلةَ البدرِ على**

(١) حسن لغيره: صحيح الترغيب (٢٦٢٣) عبد الله بن عمر.
(٢) صحيح: صحيح مسلم (٢٦٧٤) عن أبي هريرة.

سائرِ الكواكبِ»[1] لأن العالم نفعه متعدٍ، أما العابد فعبادته لازمة له فقط.

قال النبي ﷺ: «**ألا أخبرُكم بأفضلِ من درجةِ الصيامِ والصلاةِ والصدقةِ؟ قالوا: بلى، قال: إصلاحُ ذاتِ البينِ**»[2]، والمقصود هنا الصيام والصلاة النافلة.

قواعد الذكاء..

١- إذا ضاق الوقت، فالعبادة الفرض اللازمة النفع أولى وأكثر أجراً من النافلة المتعدية النفع لكون الأولى فرضاً[3].

٢- إذا تساوى الحكم (**فرض مع فرض أو نافلة مع نافلة**) وضاق الوقت عن أداء الاثنين نظرنا في اللازم والمتعدي فقدمنا المتعدي فهو أكثر ذكاء وأجراً وأحب إلى الله.

٣- تتفاوت العبادات المتعدية في درجات الأجر، فكلما كانت المصلحة المترتبة عليها أكثر كان الأجر أكثر، كأن يكون عدد المستفيدين منها أكثر أو درجة الفائدة أكثر، أو نُدرة توفر تلك المصلحة المترتبة عليها.

٤- **العبادات المتعدية النفع** الجاري أجرها لصاحبها بعد موته أذكى من غيرها.

٥- **الأخلاق في مجملها من باب العبادات المتعدية** حيث يتعامل المرء فيها مع غيره من الناس، ومن العجيب مجيء نصوص عديدة تؤكد أن حسن الخلق يفوق

(١) صحيح: صحيح أبي داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣) عن أبي الدرداء.
(٢) صحيح: صحيح أب داود (٤٩١٩)، وصحيح الترمذي (٢٥٠٩) عن أبي الدرداء.
(٣) يُستثنى من ذلك ما كان يُمكن تأجيله من الفرض اللازم، راجع فصل (**الذكاء في المقيد والمطلق**).

صاحبه به منازل أصحاب عبادات شاقة وعظيمة، وهذا ما يخدم فكرة الذكاء في العبادة. وفي حسن الخلق قائمة طويلة من الأعمال تجمع عبادات لسانية وجسدية وقلبية ومالية.

تطبيقات وأمثلة عملية..

- **الدفاع عن ساحة الأمة** وأمنها ودينها أكثر أجراً من المشي في حاجة أخيك المسلم، لأن عدد المستفيدين من الأولى أكثر من الثانية **(القاعدة ١ +٣)**.
- **الدفاع عن الأمة في حال اغتصاب عدو لها (جهاد الدفع)** أولى من بر الوالدين لأن في الدفاع عن الأمة دفاعاً عن الأمة كاملة بما فيها الآباء والأمهات، فعدد المستفيدين أكثر والفرض فيها أقوى **(القاعدة ١ +٣)**.
- **تَرَكَ الصحابة مكة والمدينة** حيث الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة فيما سواه، وانطلقوا يفتحون البلدان ليدخل الناس في دين الله، الأولى نفعها لازم والثانية متعدية النفع **(القاعدة ٢)**.
- **تزويج الفقراء الذين لا يستطيعون تحمل نفقات الزواج وإعانتهم على فتح** بيوت وتكوين أسرة مسلمة **(متعدية النفع)**، والإنفاق على تعليم طلاب العلم والدعاة **(متعدية النفع)** أكثر أجراً وأولى وأذكى من تخصيص مبلغ لحج النافلة أو عمرة نافلة **(لازمة النفع) (القاعدة ٢)**.
- **التبرع إلى الفقراء والمساكين والمحتاجين** من الذين تضرروا من الزلازل أو الكوارث من المسلمين أذكى وأولى من بناء مسجد في حيّ فيه مساجد، لأن الأولى مهم وطارئ أما الثانية فليست طارئة **(القاعدة ٣)**.

- مرَّ رجلٌ مِن أصحابِ النبي ﷺ بشِعبٍ فأعجبتهُ، فقالَ: «لو اعتَزلتُ النَّاسَ، فأقمتُ في هذا الشِّعبِ، ولن أفعلَ حتَّى استأذِنَ رسولَ اللهِ، فقالَ له النبي ﷺ: **لا تفعَلْ، فإنَّ مقامَ أحدِكُم في سبيلِ اللَّهِ أفضَلُ من صلاتِهِ في بيتِهِ سَبعينَ عامًا**»[1] وقال: "رِباطُ يَومٍ ولَيْلَةٍ خَيْرٌ مِن صِيامِ شَهْرٍ وقِيامِهِ"[2] لأن الرباط والجهاد أجره متعدٍّ فيه حماية للأمة، أما صيام الشهر وقيامه والصلاة سبعين عاماً في البيت فنفعها لازم لصاحبها فقط (**القاعدة ٢**).

- **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، وتعليم العلم، والعمل في دور الصدقات والأيتام، وإصلاح البين وحل مشكلات الناس، والشفاعة لأحدهم في أمر ما، وسداد دين أحد، كل ذلك أولى وأحب إلى الله وأذكى من نافلة الصلاة، أو من قراءة القرآن، أو صيام النافلة (**القاعدة ٢**).

- **كفالة يتيم** أذكى وأولى من العمرة (**القاعدة ٢**).

- جاءت نصوص تخبر من هم خير الناس حسب التصنيف النبوي، وجُلُّها عبادات متعدية النفع، قال النبي ﷺ: «**خير الناس أنفعهم للناس**»[3]، وقال النبي ﷺ: «**خيرُكم مَن تعلَّم القرآنَ وعلَّمه**»[4]، وقال النبي ﷺ: «**خيرُكُم مَنْ أَطْعَمَ الطعامَ، وردَّ السلامَ**»[5]، وقال النبي ﷺ: «**خيرُكم منْ يرُجى خيرُه**

(١) حسن: صحيح الترمذي (١٦٥٠)، مسند أحمد (١٠٧٨٦) عن أبي هريرة
(٢) صحيح: صحيح مسلم (١٩١٣) عن سلمان الفارسي
(٣) حسن: صحيح الجامع (٣٢٨٩)، السلسلة الصحيحة (٤٢٦) عن جابر بن عبدالله.
(٤) صحيح: صحيح البخاري (٥٠٢٧)، صحيح أبي داود (١٤٥٢)، صحيح الترمذي (٢٩٠٩) عن عثمان بن عفان.
(٥) حسن: صحيح الجامع (٣٣١٨)، وصححه السيوطي في الجامع الصغير (٤١٠٣) عن صهيب بن سنان.

ويؤمنُ شرُّهُ، وشرُّكم من لا يُرجى خيرُهُ ولا يؤمنُ شرُّهُ»[1] لأن العمل هنا متعدّي النفع (**القاعدة ٢**).

- **من الأعمال المتعدية النفع** أعمال جارية يبقى أجرها وأثرها بعد موت صاحبها، قال النبي ﷺ: «**سبعٌ يَجري للعبدِ أجرُهُنَّ وهوَ في قَبرِه بعدَ موتِه: مَن علَّمَ علمًا، أو أجرَى نهرًا، أو حفَر بئرًا، أو غرَسَ نخلًا، أو بنَى مسجِدًا، أو ورَّثَ مُصحفًا، أو ترَكَ ولدًا يستغفِرُ لهُ بعد موتِه**»[2] (**القاعدة ٤**).

- **يُقاس على الحديث أعلاه في زماننا**: من وقف مكتبة من الكتب، أو وقفاً لدار تحفيظ القرآن، أو موقعاً الكترونياً يستفيد منه الناس بالفتاوى والعلم، أو تطبيقاً الكترونياً مفيداً (**القاعدة ٤**).

- **جاء رجل يودع بشر بن الحارث فقال**: قد عزمت على الحج فتأمرني بشيء؟ فقال له: كم أعددت للنفقة؟ فقال: ألفي درهم. قال بشر: فأي شيء تبتغي بحجك؟ تزهدا أو اشتياقا إلى البيت أو ابتغاء مرضاة الله؟ قال: ابتغاء مرضاة الله. قال: فإن أصبت مرضاة الله تعالى، وأنت في منزلك وتنفق ألفي درهم، وتكون على يقين من مرضاة الله تعالى أتفعل ذلك؟ قال: نعم. قال: اذهب فأعطها عشرة أنفس: مديون يقضي دينه، وفقير يرم شعثه، ومعيل يغني عياله، ومربي يتيم يفرحه، وإن قوي قلبك تعطيها واحدا فافعل، فإن إدخالك السرور على قلب المسلم، وإغاثة اللهفان، وكشف الضر، وإعانة الضعيف، أفضل من مائة حجة بعد حجة الإسلام! قم فأخرجها

---

(١) صحيح: صحيح الترمذي (٢٢٦٣)،صحيح الجامع (٢٦٠٣)، صحيح ابن حبان (٥٢٨) عن أبي هريرة.

(٢) حسن: صحيح الجامع (٣٦٠٢) عن أنس بن مالك.

كما أمرناك، وإلا فقل لنا ما في قلبك؟ فقال: يا أبا نصر سفري أقوى في قلبي.. فتبسم بشر رحمه الله، وأقبل عليه، وقال له: المال إذا جمع من وسخ التجارات والشبهات، اقتضت النفس أن تقضي به وطراً، فأظهرت الأعمال الصالحات، وقد آلى الله على نفسه ألا يقبل إلا عمل المتقين! **(القاعدة ٢)**.

- **تبسمك في وجه أخيك صدقة**، والإحسان إلى الجار وإكرام الضيف، وفك العاني، والشفاعة الحسنة، وغيرها من الأخلاق كلها عبادات متعدية النفع **(القاعدة ٥)**.

وليس معنى هذا ألا يأتي المرء العبادات اللازمة، بل هي ضرورية لإحداث التوازن، فالمرء يحتاج للخلوة مع ربه ومع نفسه يحاسبها، يقرأ القرآن يترنم به، يقف بين يدي الله يناجيه، غذاء الروح مطلوب، لكن إذا ضاق الوقت فمن الذكاء العناية بالعبادات المتعدي نفعها على اللازم نفعها.



الفصل العاشر

الذكاء في الجودة والكم

اختبر ذكاءك..

- أيهما أذكى (أكثر أجراً وأولى): أن تختم القرآن في رمضان ثلاث مرات بتدبر قليل فتكسب حسنات بعدد حروفه مضروباً بعشرة، أم تختمه مرة واحدة بتدبر وخشوع؟
- أيها أذكى أن تصلي ركعتين تخشع فيهما ولا تسهو أم ثماني ركعات لا تخشع كثيراً فيهما لكن تعوض ذلك بالعدد؟
- أيها أذكى: أن تبدأ قيام الليل بصلاة اثنتي عشرة ركعة كل يوم أم أربع ركعات فقط كل يوم؟

مقدمة وشرح..

لا تُصنف العبادات ذاتها بحسب الجودة والكمّ **(العدد)**، فليس هناك عبادة نوعية وعبادة كميّة كما نصف بعض العبادات بأنها لسانية أو قلبية، أو مقيدة ومطلقة، أو ذات نفعٍ لازم ومتعدٍّ، بل هي وصف متعلق بأداء العبادة وليس للعبادة ذاتها.

إن مبدأ الذكاء يقوم على كثرة الأجر، ومن المنطقي البديهي أن الأجر يتناسب طردياً مع زيادة كم (عدد) العبادة المؤداة (Quantity)، فأجر ٨ ركعات أكثر من أجر ٤ ركعات، وختم القرآن ٣ مرات أكثر أجراً من مرة، غير أن هناك عاملاً خفياً

يقلب الموازين المادية في حساب الأجر هو جودة أداء العبادة (الإتقان والكيف) (Quality)، فربما كان أجر صلاة ٤ ركعات أكثر من ٨ ركعات إذا كانت جودة أداء الأربع ركعات أفضل من الثماني ركعات (الخشوع والتدبر)، وربما كان أجر ختم القرآن مرة بتدبر أكثر من ختمه ٣ مرات من غير تدبر.. وهكذا.

وقد جاءت العديد من النصوص تبين وتثبت أن المسألة بجودة العمل وإحسانه لا بالكم:

- قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، فقال: ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ من إحسان العمل وإتقانه، ولم يقل: أكثر عملاً.

- وقال الله تعالى في الجهاد: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال ٦٦]، فالعبرة ليست بالكثرة وإنما بالصبر والنوع. وقال الله تعالى كذلك: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة ٢٤٩]، فعنصر الإيمان والصبر يغلب الكثرة.

- قال النبي ﷺ: **«إنَّ اللهَ تعالى يُحِبُّ إذا عمِلَ أحدُكم عملًا أنْ يُتقِنَهُ»**[1]، فالكلام هنا عن إتقان جودة العمل وكيفيته ولم يذكر عدده وكثرته.

- قول النبي ﷺ للرجل الذي أساء صلاته: **«ارجع فصل فإنك لم تصل»** ثلاث مرات، ثم بيَّن له كيف يُحسن صلاته[2]، فالقضية ليست بمجرد أداء العمل بل بكيفية أدائه بإحسان.

---

(١) حسن: صحيح الجامع (١٨٨٠) عن عائشة.

(٢) قال النبي ﷺ: «إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم اجلس حتى تطمئن جالساً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، وافعل ذلك في صلاتك كلها» البخاري (٦٢٥١)، ومسلم (٣٩٧) عن أبي هريرة.

- قال النبي ﷺ: «**ربَّ صائم ليسَ لَه من صيامِه إلَّا الجوعُ وربَّ قائم ليسَ لَه من قيامِه إلَّا السَّهرُ**»[1] فالعِبرة بجودة الصيام والطاعة، فربما تصوم الدهر ليس لك من صيامك إلا المشقة والتعب، ولا يُكتب لك أجر.
- قال النبي ﷺ: «**مَن قَتَلَ وزَغًا في أوَّلِ ضَرْبَةٍ كُتِبَتْ له مِئَةُ حَسَنَةٍ، وفي الثَّانِيَةِ دُونَ ذلكَ، وفي الثَّالِثَةِ دُونَ ذلكَ**»[2]، فالحديث يرشد إلى أهمية إتقان العمل وحسن أدائه من المرة الأولى.

قواعد الذكاء..

يتلخص الذكاء في العبادات عموماً من حيث الجودة والكم في النقاط التالية:

١- أكمل الذكاء والحالة المثالية هي في الجمع والتوازن بين الجودة والكثرة **(لا سيما في النوافل)**.

٢- إن تعذَّر الجمع والتوازن بينهما، فالذكاء تقديم الجودة **(النوع) (الكيف)** على الكم **(العدد)**[3].

٣- إذا ضمنتَ الجودة في الطاعة وثبتت عليها، فالذكاء في زيادة العدد (الكم)[4] لزيادة الأجر. قال النبي ﷺ لربيعة بن كعب الأسلمي ليضمن رفقته في الجنة: «**فأعني على نفسك بكثرة السجود**»[5].

(١) حسن صحيح: صحيح ابن ماجه (١٣٨٠)، صحيح الترغيب (١٠٨٤) عن أبي هريرة.
(٢) صحيح: صحيح مسلم (٢٢٤٠) عن أبي هريرة.
(٣) تقدمت الأدلة عليها أعلاه في النصوص والشواهد.
(٤) لخص علماؤنا هذه القاعدة بقولهم: «**ما كان أكثر فعلًا كان أكثر فضلًا وأجراً**» (السيوطي في الأشباه والنظائر ٢٦٨)، وقولهم: «**قاعدة كثرة الثواب كثرة الفعل، وقاعدة قلة الثواب قلة الفعل**» (القرافي في الفروق ٢/ ٢٣٥)»
(٥) صحيح: صحيح مسلم (٤٨٩) عن ربيعة بن كعب الأسلمي.

٤- هناك حدود لزيادة الكم (العدد) تصبح زيادة الطاعة بعدها مكروهة أو منهي عنها، كصيام الدهر وختم القرآن في أقل من ثلاثة أيام.

٥- من الذكاء التدرج عند زيادة الكم، فقليل دائم خير من كثير منقطع، لقول النبي ﷺ: «أحب العمال إلى الله أدومها وإن قل»[1]، وهذا حتى لا يمل العابد أو يستثقل العبادة فيتركها.

تطبيقات وأمثلة عملية..

حاول أن تربط بين قواعد الذكاء والأمثلة التي تنتمي إليها..

- **حفظ القرآن** حفظاً متيناً جيداً مع المراجعة الدائمة والتثبيت له في ثلاث سنوات أفضل من حفظه حفظاً سريعاً غير متقن في سنة واحدة.

- **ختم القرآن مرة واحدة في شهر أو شهرين** بتدبر وتفكر أفضل من ختمه ثلاث مرات قراءة سريعة من غير تدبر، ذات الأمر ينطبق في رمضان.

- **إعداد درس أو خطبة أو حلقة تلفزيونية أو فيديو دعوي في أسبوع** بتحضير وبحث وعرض جيد ومتقن وجذاب أذكى وأفضل من عمل برنامجين أو درسين أو حلقتين لا تترك أثراً لضعف التحضير والعرض وضحالة الإعداد.

- **إذا كنت حديث عهد بالالتزام**، فتخصيص ورد يومي صفحتين من القرآن فقط تداوم عليهما فترة من الزمان ثم تزيد تدريجياً أفضل من البدء بجزء كامل من القرآن كل يوم ثم تفتر الهمة فتترك وردك اليومي كلياً، الشيء ذاته

---

(١) صحيح: البخاري (٦٤٦٤)، مسلم (٢٨١٨) عن عائشة.

في قيام الليل وكل الأعمال الأخرى.. قليل دائم خير من كثير منقطع.

- **مائة تسبيحة أو استغفار بحضور القلب واستشعاره لعظمة الله ولذنوبه** أفضل من ألف تسبيحة أو استغفار يكون القلب فيها لاهٍ ساهٍ.

- **الجهاد من أسمى العبادات**، وقتال المعتدين يتطلب عدداً وعدة، ومع ذلك ففي فتح مصر كان لدى عمرو بن العاص أربعة آلاف مقاتل فقط، ثم أرسل عمر له مدداً أربعة آلاف على كل ألف منهم رجل بألف في القتال هم الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد، وكتب إليه: «**واعلم أن معك اثني عشر ألفًا، ولا يغلب اثنا عشر ألفًا من قلة**»، ليست العبرة بالكثرة بل بالنوع والجودة.

- **حكم عمر بن عبد العزيز سنتين ونصف فقط**، حقق فيها من العدل ما يحتاج غيره فيه لعقود وأكثر، ليست القضية بكثرة السنوات، بل بما في هذه السنوات من جودة العمل.

- **التصدق بألف دينار من غني أذكى** وأكثر أجراً من الصدقة بمائة دينار فقط. فالزيادة في الإنفاق زيادة في الأجر.

- قال النبي ﷺ: «**تَجِدُونَ النَّاسَ كَإِبِلٍ مِئَةٍ، لا يَجِدُ الرَّجُلُ فيها راحِلَةً**»[1] أي ١٪ منها فقط ذات جودة تصلح للسفر والتنقل ويُعتمد عليها في ذلك، كذلك كان أصحاب النبي ﷺ، نُقل إلينا حياة ألفي صحابي من المؤثرين فيما حج مع النبي ﷺ مائة ألف في حجة الوداع.. **كذلك كن أنت من ال ١٪ من المؤثرين في الأمة الصانعين فرقاً في نهضتها وتقدمها.**

---

(١) صحيح: البخاري (٦٤٩٨)، مسلم (٢٥٤٧) عن عبد الله بن عمر.

بعض الخطباء والدعاة -ولو كان قليل الفصاحة سهل العبارة قليل العلم- غير أن كلامه يخرج من القلب ويدخل القلوب بلا استئذان، لجودة إخلاصه لله وقربه في عبارته من الناس، ليس الأمر بكثرة المحفوظات بل بكيفية توظيفها في الدعوة وبإخلاص صاحبها.

- هنالك أعمال، إن فعلتها بالجودة المطلوبة غفر لك ما تقدم من ذنبك دون النظر للعدد والكثرة:

- **ركعتان فقط تخشع فيها ولا تسهو فيهما بشيء من الدنيا**، قال النبي ﷺ: «**مَن توضَّأَ فأحسنَ وضوءَه ثُمَّ صلَّى ركعتَينِ لا يسهو فيهِما غُفِرَ لَه ما تقدَّمَ مِن ذَنبِهِ**»[1]

- **صلوات الفريضة** إذا أتقنت خشوعها وأركانها، قال النبي ﷺ: «**ما من امرئ مسلم تحضرهُ صلاةٌ مكتوبةٌ فيُحسنُ وضوءَها وخشوعَها وركوعَها إلا كانتْ كفارةً لما قبلها منَ الذنوبِ، ما لمْ تُؤتَ كبيرة. وذلكَ الدهرَ كلَّهُ**»[2].

- قال النبي ﷺ: «**مَنْ قام رمضانَ إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذنبِه**»[3]، فالشرط هنا إيماناً واحتساباً، وليس عدد ركعات القيام.

جاء ترديد ذكر مخصوص ١٠ مرات ومائة مرة، فأجر عشر مرات عتق رقبة واحدة، وأجر مائة مرة عتق عشر رقاب.

---

(١) حسن: صحيح أبي داود (٩٠٥)، صحيح الترغيب (٣٩٤)، صحيح الجامع (٦١٦٥) عن زيد بن خالد الجهني.

(٢) صحيح: صحيح مسلم (٢٢٨)، صحيح الجامع (٥٦٨٦) عن عثمان بن عفان.

(٣) صحيح: صحيح البخاري (٣٧)، صحيح مسلم (٧٥٩) عن أبي هريرة.

- **بعض الأذكار الجامعة المختصرة يُضاعف فيها الأجر** أكثر من غيرها ولو كان كثيراً، مثل سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن أجراً لما فيها من معاني التوحيد، وكذكر (**سبحان الله وبحمد عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته**) ففيه من المعاني ما يفوق قولك (**سبحان الله**) فقط أو (**الحمد لله**)، ... وهكذا.

- **من الذكاء الانتشار الكميّ (العددي)** للعمل بعد ضمان جودة العمل والإخلاص فيه لا سيما في الأعمال الدعوية والبرامج، ويكون ذلك بالأخذ بالأسباب المادية لانتشاره للوصول إلى أكبر شريحة ممكنة، مثل:

- **التسويق**: تسويق العمل عبر قنوات التسويق الحديثة كشبكات التواصل الاجتماعي، والإعلان الممول، وما يُسمى بالرافعة الإعلامية (**حساب له جمهور عريض**)

- **التخطيط**: التخطيط الجيد لنشر أي عمل له أثر مهم في نشره من عدمه.

- **ترجمة العمل للغات أخرى لتوسيع دائرة المستفيدين والانتشار الكمي**.

فإذا شاهده مليون، وفرضنا أن ٥٠٪ لديه اهتمام بالعمل، ٢٠٪ تأثروا، ١٠٪ عملوا. فإذا شاهده ١٠٠ ألف فقط فالنسبة أقل،... وهكذا.





الذكاء في العبادات القصيرة الأثر والطويلة (العبادات الاستراتيجية)



اختبر ذكاءك..

- أيها أذكى: إذا ضاق الوقت عن أداء الاثنين معاً: تأليف كتاب ديني أم إلقاء محاضرات دينية؟
- أيها أذكى: سداد حاجة شاب فقير أم الإنفاق على تعليمه مهارة يكسب منها رزقه؟
- أيها أذكى: شراء مبرد ماء ووضعه في مكان عام كمستشفى أم توزيع ماء بقيمته على المرضى؟

شرح ومقدمة..

تنقسم العبادات المتعدية النفع من حيث طول أثرها وبقائه إلى قسمين:

نوع العبادة	معناهـــــا	أمثـــلة
قصيرة الأثر (منقطعة)	عبادات تُفعل في زمان ما فيكون أثرها لحظياً أو مؤقتاً ثم يتلاشى.	إرشاد أعمى، سداد دين، إطعام فقير.

عبادات طويلة الأثر (جارية) (استراتيجية)	عبادات استراتيجية يدوم أثرها ونفعها للناس زمناً أطول في حياة عاملها أو بعد مماته، بل ربما تمكث بعده عشرات أو مئات السنين ينتفع بها الناس.	تأليف كتاب، منتاج برنامج ديني، بناء مسجد، طباعة مصاحف، وقف شقة لدار تحفيظ قرآن.

ومن ميزات العبادات طويلة الأثر أنها متعدية النفع وهذا من الذكاء في العبادة، وفي الأعم تتطلب مجهوداً أكثر وربما كان في بعضها مشقة، لكن أجرها يدوم ولا ينقطع، وهو ما يخدم مبدأ الذكاء في العبادة، ولذا فالعبادات الطويلة الأثر أفضل وأذكى في الجملة من قصيرة الأثر إلا ما كان طارئاً عاجلاً يفك كربة مكروب أو يسد حاجة محتاج من قصيرة الأثر.

وقد جاءت نصوص تُثبت فضل وأولوية العمل الأطول أثراً:

- قال النبي ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[1]، فالصدقة الجارية التي يجري أثرها ويستمر.

- وقال النبي ﷺ: «سبعٌ يَجري للعبدِ أجرُهُنَّ وهوَ في قَبرِه بعدَ موتِه: مَن علَّمَ علمًا، أو أجرَى نهرًا، أو حفَر بِئرًا، أو غرَسَ نخلًا، أو بنَى مسجِدًا، أو ورَّثَ

(١) صحيح: صحيح مسلم (١٦٣١)، صحيح أبي داود (٢٨٨٠) عن أبي هريرة.

مُصحفًا، أو ترَكَ ولدًا يستغفِرُ لهُ بعد موتِه»[1]

فالعبادات طويلة الأثر: هي عبادات استراتيجية يبقى أثرها ومداها زمناً طويلاً ربما يستفيد منها أجيال متلاحقة ويجري أجرها للعبد بعد موته زمناً طويلاً، وهذا من الذكاء في العبادة حيث أجر جارٍ بمجهود صفر (**وأنت في قبرك**).

قواعد الذكاء..

١- **العبادات الطويلة الأثر** أذكى وأهم من القصيرة الأثر عموماً إذا قلت الموارد (**المال والوقت**) ولم يوجد عامل العجلة والطوارئ.

٢- الأمور العاجلة والطارئة وإن كانت قصيرة الأثر تُقدم على البعيدة الأثر لكونها طارئة يجب عملها فوراً[2].

٣- من الذكاء استخدام استراتيجية **المحيط الأزرق** (Blue Ocean) مما يوافق شغف المرء، وتركيز الجهد الاستراتيجي (**طويل الأثر**) فيه، حيث تقل المنافسة في ذاك المجال.

٤- الإكثار من العبادات المالية والجسدية ذات الأثر الجاري أو المشاركة فيها، ومنها الاستثمار في تربية الأبناء

---

(١) حسن: صحيح الجامع (٣٦٠٢) عن أنس بن مالك.

(٢) عبرَّ العلماء عن هذا بقولهم: «**يُقدم ما لا يُتدارك على ما يُتدارك**»، وبقولهم: «**الواجب المُضيَّق مقدم على الواجب الموسع، والمندوب المُضيَّق مقدم على المندوب الموسع**»

تطبيقات وأمثلة عملية..

حاول أن تربط بين قواعد الذكاء والأمثلة التي تنتمي إليها..

- تأليف الكتب ذات الأفكار والطرح الجديد والجميل والمفيد بطريقة غير تقليدية، وقد ألف بعض العلماء المعاصرين كتباً كتب الله لها الانتشار والقبول بين الناس ووصلت قارات عدة وتم ترجمتها إلى لغات عدة.

- تسجيلات بعض مقرئي القرآن التي لا زالت أصواتهم تصدح في المذياع والتلفاز والانترنت وقد مات بعضهم منذ ثلاثين سنة ولا يزال الأجر جارياً له كالشيخ عبد الباسط عبد الصمد، والمنشاوي، والحصري، وغيرهم.

- ما سطره علماؤنا السابقون في تأصيل العلوم الدينية في مجالات مختلفة في الفقه والتزكية والأصول والحديث، ولا يزال بعضها إلى زماننا وقد مات أصحابها منذ مئات السنين، ككتب ابن القيم وابن الجوزي وابن تيمية وابن كثير والشافعي والبخاري ومسلم،... وغيرهم. فلا يزال أجر البخاري ومسلم وأصحاب السنن جارياً إلى زماننا، ولا تزال كتب وأقوال أئمة الفقه وأصوله كالشافعي وأبي حنيفة يُستدل بها وتُدرس كتبهم ويتتلمذ عليها كل طالب علم.

- تخريج وتأهيل طلاب العلم والدعاة لينتشروا في الناس يعلمونهم دينهم، هؤلاء يُكتبون في موازين علمائهم ومربيهم ومشايخهم، وهم صدقات جارية في موازين حسناتهم «أو علم ينتفع به».

- قيام الصحابة بفتح البلدان ودخول الناس في دين الله، فأهل مصر في ميزان

عمرو بن العاص ومن كان معه، وأهل المغرب العربي في ميزان موسى بن نصير ومن كان معه، لا يسجدون سجدة ولا يخرج منهم عالم إلا كانوا في موازين حسناتهم،... وهكذا. أي ذكاء أكثر من هذا !

- حفر بئر في منطقة نائية فيها شح في المياه، بناء مسجد، الإنفاق على طلبة العلم، طباعة الكتب، توزيع المصاحف، ترجمة كتب دينية مهمة لغير المسلمين وطباعتها ونشرها، إنشاء موقع الكتروني مفيد، إنشاء تطبيق على الجوال مفيد، بناء المستشفيات والمراكز الصحية، وقف مبنى لدار تحفيظ القرآن، كل ذلك من الصدقات الجارية التي يدوم أثرها زمناً طويلاً بإذن الله إذا نوى المرء فيها الإخلاص وكان العمل متقناً جميلاً.

- منتاج فيديو قصير عن الصلاة أو التذكير بالموت ونشره في مواقع التواصل الاجتماعي.

- شراء كراسي متحركة لكبار السن والمرضى ووضعها في المستشفيات وفي الحرم المكي ليُعينَ الناس في الطواف والسعي.

- في الأماكن العامة، وضع سجادات للصلاة، أو شراء مبرد ماء.

- الاستثمار في تربية الأولاد وتنشئتهم نشأة إسلامية من الصدقات الجارية (**ولد صالح يدعو له**)، فهؤلاء سيدعون لآبائهم ويتصدقون عنهم ويعتمرون عنهم بعد موتهم. تحفيظهم للقرآن ليُلبسوا آباءهم تاج الوقار يوم القيامة، وقد أخبر النبي ﷺ أن الرجل لتُرفع درجته في الجنة، فيقول: بم ذلك؟ فيُقال له: باستغفار ولدك لك، ويلحق بذلك كفالة يتيم.

- **يقول المثل: «بدلاً من أن تُعطيني سمكة، علمني الصيد»**، لأن تعليم الصيد سيبقى معه مهارة صيد السم وسيعتمد على نفسه، كذلك الأمر فتعليم فقير مهارة أو صنعة تؤهله من العمل أذكى وأطول أثراً وأجراً من إعطائه مالاً يسدّ به حاجة آنية.

- **اتباع استراتيجية** «المحيط الأزرق» وهي استراتيجية استهداف الأعمال والأماكن الغير مطروقة أو المطروقة بقلة أو بجودة متدنية، فلا تجد فيها منافسة عالية، فعملها يترك أثراً واضحاً، ومن أمثلتها:

أعمال الشيخ الألباني ومجهوده العظيم في زماننا في تنقيح كتب السنن والأحاديث حتى صار مرجعاً، فلا يكاد يُستدل بحديث الآن إلا ويُنقل فيه رأي الشيخ تصحيحاً أو تضعيفاً.

جهود الشيخ عبد الرحمن السميط في الدعوة إلى الله في إفريقيا وقد أسلم بفضل جهوده الآلاف، كل ذلك في ميزان حسناته.

أعمال العلماء في الإعجاز العلمي، وأولئك الذين تصدوا لظاهرة الإلحاد فردوا ردوداً علمية وألفوا في ذلك وكان لبعضهم برامج يوتيوبية أوتلفزيونية.

أعمال الشيخ أحمد ديدات وتلميذه الدكتور ذاكر نايك في دعوة غير المسلمين ومناقشتهم في العقيدة ومقارنة الأديان، وقد دخل بفضل جهودهم آلاف في دين الله.



الفصل الثاني عشر



الذكاء في العبادات الفردية والجماعية

اختبر ذكاءك..

- كنتَ في مصلى فأذن الظهر، أيها أذكى أن تنتظر الجماعة لتحصل أجرها أم تبادر بالصلاة لتحصل أجر أول الوقت وبركته؟
- أيها أذكى (أكثر أجراً وأولى) أن تذهب للعمرة وحدك ليتسنى لك الخشوع والتدبر والإخلاص والذكر أم تذهب مع صحبة صالحة يعينوك وتُعينهم في السفر؟
- أيها أذكى أن تصلي الضحى منفرداً أم في جماعة؟

مقدمة وشرح..

تنقسم العبادات من حيث أدائها فردية أو جماعية إلى قسمين:

١- **العبادات الفردية**: وهي التي يؤديها الفرد وحده من غير حاجة لوجوده في جماعة، كالصوم، وصلاة الضحى، والسنن الرواتب، والذكر.

٢- **العبادات الجماعية**: وهي التي يتطلب أو يُستحسن أداؤها مع الجماعة، كصلاة الجمعة والجماعة والحج والعمرة.

ومن العبادات ما يمكن أداؤها فردية أو جماعية كقيام الليل والتراويح وكقراءة القرآن وكصلاة العيدين،... وغيرها.

وتنقسم العبادات الجماعية من حيث مسؤولية الفرد فيها ومهمته إلى ثلاثة أقسام:

نوع المهمة في الجماعية	معناهـــــا	أمثـــــلة
مهام عطفية (Conjunctive)	ينبغي فيها على جميع الأفراد أن يقوموا بمهامهم الموكلة إليهم، وتقصير أي منهم قد يؤدي إلى إفساد العمل كاملاً.	الجهاد، فكل فرد على ثغر إن تمكن العدو منه ربما أحدث شرخاً في الصف وأدى إلى هزيمة الجماعة كاملة. تأمل ما حدث في معركة أحد من الرماة، وتأمل أحاديث الترهيب من التولي يوم الزحف وجعله من الكبائر.
مهام تكميلية (Complementary)	تتوزع المهام فيها على الأفراد، ويكون الناتج هو تكامل عمل كل فرد من الجماعة.	العمل التلفزيوني، فهناك المنتج والمخرج والمصور وفريق الإعداد والمقدم والضيوف، يقوم كل فرد بمهمته وتتكامل جهودهم ليخرج العمل، وأي تقصير من أي فرد في عمله يؤثر في كمال العمل. ومن أمثلتها كذلك الأعمال الخيرية المؤسسية: كأعمال الإغاثة، ودور تحفيظ القرآن، ودور الصدقات ورعاية الأيتام، وإدارة المساجد والأوقاف، ففي كل عمل مؤسسي تتوزع المهام على الأفراد ويكمِّل بعضهم بعضاً.

مهام تقديرية (Discretionary)	وفيها يعمل كل فرد عمله كاملاً وحده، غير أنه يفعله في جوّ جماعي يزيد من التقدير (الأجر) لأفراده، ولا يؤثر تقصير الفرد على بقية أفراد الجماعة في صحة عملهم أو أجرهم.	صلاة الجماعة والجمعة والحج والعمرة، وصلاة التراويح، وصيام الأمة في رمضان، والإفطار الجماعي، وبر الوالدين مع الإخوة، ومجالس العلم في المساجد.

وتتميز العبادات الجماعية بأنها متعدية النفع في عمومها فهي أكثر ذكاء إذا تساوى الحكم الشرعي مع غيرها من الفردية (فرض مقابل فرض، أو نافلة مقابل نافلة) لما فيها من المصلحة المشتركة لأفراد الجماعة، تزيد بينهم الألفة والتراحم والتعارف وتبادل الخبرات، ويتبادلون السلام بينهم، وربما ساد جو من التنافس في التسابق للخيرات.

وقد جاءت العديد من النصوص في فضل العبادات الجماعية:

- قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾ [المائدة: ٢].
- قال الله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران ١٠٣].
- قال النبي ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الاثْنَيْنِ أَبْعَدُ»[1].

(١) صحيح: صحيح الترمذي (٢١٦٥) عن عمر بن الخطاب.

قال النبي ﷺ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ**»[1].

قال النبي ﷺ: «**صَلَاةُ الجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِن صَلَاةِ الفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً**»[2]

قال النبي ﷺ: «**يد الله مع الجماعة**»[3] بالتأييد والصون والحفظ والأجر.

وجاءت أحاديث في الحث على تكثير سواد المسلمين، وأن الملائكة تستغفر لحلق الذكر ومجالس العلم، (هم القوم لا يشقى بهم جليسهم)... وغير ذلك.

قواعد الذكاء..

١- **في العبادات الجماعية**: تزيد مسؤولية الفرد فتكون في أعلى مستوياتها في المهام العطفية (**كالجهاد**)، ثم التكميلية (**كالعمل المؤسسي الخيري**)، وتكون الأقل في التقديرية (**كصلاة الجماعة**). فالحرص التام والإخلاص والإتقان والتركيز مطلوب في أعلى مستوياته في العطفية، ثم التكميلية، ثم التقديرية حيث يمكن تعويض الأجر في التقديرية لاحقاً (**لا سيما إن كانت نافلة**).

٢- **الحرص والإكثار من العبادات الجماعية التقديرية**، حيث يُضاعف الأجر كثيراً لوجود المرء في جماعة، كصلاة التراويح، وقيام الليل في جماعة، وحضور مجالس العلم في المساجد، وحلقات تحفيظ القرآن وتعليم التجويد في المراكز

(١) صحيح: البخاري (٦٠٢٦)، مسلم (٢٥٨٥) عن أبي موسى الأشعري.
(٢) صحيح: البخاري (٦٤٥)، ومسلم (٦٥٠) عن عبد الله بن عمر.
(٣) صحيح: مسلم (١٨٥٢) عن عرفجة بن شريح الأشجعي.

والمساجد، توزيع وجبات الإفطار على الصائمين في الطريق وقت الأذان.

٣- **المصلحة العامة (الجماعية)** أولى من المصلحة الخاصة **(الفردية)**.

٤- الذكاء في العبادات الفردية: اتقان الجودة + حضور القلب + إكثار العدد + تعدي النفع

تنبيــه:

- **تذكَّر أن العبادات كلها توقيفية، فلا يجوز إحداث طريقة للعبادة بهدف** تكثير الأجر بجعل الفردية جماعية إذا لم يصح عن النبي ﷺ أو أصحابه فعلها كذلك كالذكر الجماعي، أو صلاة الضحى جماعة، أو الاستخارة جماعة، أو غير ذلك.

تطبيقات وأمثلة عملية..

- **أداء الصلوات الخمس جماعة في المسجد للرجال أذكى** من أدائها منفرداً في البيت، فإن لم تستطع فالذكاء صلاتها جماعة في البيت أو العمل مع الأهل أو الأصحاب أو الزملاء.

- **أن يكون لك دور في العمل في المؤسسات الخيرية الرسمية الموثوقة** ولو ببعض الوقت (Part Time) فالأجر مضاعف لكون العمل جماعياً متعدي النفع مثل: دور الزكاة والصدقات، دور الأيتام، دور الإغاثة، دور تحفيظ القرآن، بما تُحسنه من مهارات وكفاءة.

- **الحضور والمشاركة بإفطار جماعي في رمضان**، حيث يزيد الأجر باجتماعهم وتزداد الألفة بين الناس.

- **حضور مجالس العلم الدورية** ولو مرة بالأسبوع حتى لو تمكنت من حضورها عبر الانترنت، فتلك المجالس تحفها الملائكة وتستغفر لهم وهم القوم لا يشقى بهم جليسهم.

- **الإكثار من صلاة التراويح جماعة في المسجد،** فإن لم تستطع فجماعة في البيت.

- **قراءة سورة الكهف جماعة في المسجد أو البيت،** بحيث يقرأ كل فرد صفحة ثم الذي يليه وهكذا.

- **إذا كنتَ ممن يحسنون الإعداد للكلمات والأبحاث،** فلتشارك مع إحدى القنوات الدينية في إعداد محتوى برنامج ديني، وهو أدعى للإخلاص حيث لا يظهر فريق الإعداد دائماً أمام الكاميرات.

- **المشاركة في إدارة حساب دعوي على وسائل التواصل الاجتماعي** (فيسبوك، تويتر، انستجرام،... الخ) بوضع محتوى راقٍ ومفيد، ولا يتطلب وجودك بشكل مباشر في مكان العمل.

- **جاء الوعيد الشديد لمن تولى يوم الزحف؛** لأنه قد يسبب بهلاك أمة ومقتلة عظيمة للمسلمين، المهام العطفية مسؤوليتها أعظم ودور الفرد فيها أكبر.

- **لأن مسؤولية الفرد في الجهاد أكبر،** وتعرضه للمخاطر من أجل مصحة الأمة أكبر وهي منفعة متعدية، فقد جاءت النصوص في فضل الجهاد والشهادة أعظم من أية عبادة أخرى.

- **الانتظار للصلاة جماعة أذكى وأولى** وأكثر أجراً من الصلاة أول الوقت أي بعد الأذان.

- **من الذكاء صلاة التراويح في جماعة لزيادة الأجر**، إلا إذا كنت تجد أحياناً لذة في صلاة التراويح منفرداً في البيت فيزيد خشوعك وتطيل السجود والركوع فتصلها أحياناً منفرداً وأحياناً في جماعة.

- **الوحدة والبعد عن الفرقة من أساسيات الدين**، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية، فالركون إلى جماعة المسلمين وعلمائهم في منهجهم ووسطيتهم مطلب رئيس وهو أذكى وأولى وأكثر أجراً لصاحبه من أن يشط وحيداً في آرائه ومعتقداته.

- **المسؤولية في المهام التكميلية عالية** (أقل من العطفية وأكثر من التقديرية)، لذا تتطلب وقتاً وجهداً وتركيزاً لإخراج العمل **(العبادة)** بأحسن جودة، لذا يجوز أخذ الأجر المالي عليه كوظيفة بأجر (راتب) مع ضرورة احتساب النية لزيادة الأجر، فكثير ممن يعملون في القنوات الفضائية الإسلامية والعمل الخيري والإغاثي يتقاضون أجوراً ورواتب كونهم يقضون أكثر وقتهم في هذا العمل فهو وظيفة رسمية لهم، وقد جعل الله بند العاملين على الزكوات والصدقات من المصارف التي تشملها أموال الزكاة (والعاملين عليها).

- **في العبادات التقديرية، كلٌّ مسؤول عن نفسه، وأجره هو** أجر إخلاصه وإتقانه لعمله كما لو كان منفرداً، حضور القلب وإتقان العبادة والإكثار كماً من أدائها في جو جماعي كفيل بمضاعفة الأجر أضعافاً كثيرة.

هل حاولت الربط بين قواعد الذكاء والأمثلة في هذا الفصل؟



الفصل الثالث عشر

الذكاء في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

اختبر ذكاءك..

- **كم مرة نهيتَ أحداً عن منكر فلم يستجب لك أو طلب منك عدم التدخل في شؤونه؟** هل السبب نابع دائماً من عدم خيرية فيه؟ أم في أسلوبنا؟ أو في اختيارنا للتوقيت؟
- **هل هناك وسائل وطرق أخرى تؤتي ثماراً أفضل مع من نأمرهم بالمعروف** ونهاهم عن المنكر؟
- **عدد خطب الجمعة** التي تؤدى في مشارق الأرض ومغاربها يقرب من مليون خطبة أسبوعياً. كم منها ما يؤتي فعالية ويؤثر في الحضور إيجاباً فيترك أثراً يجعل أحداً ينتهي عن منكر يفعله أو يأتي معروفاً سمعه؟

شرح وتمهيد..

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفرعها الدعوة إلى الله حاصل بشكل يومي، وإلا لما أبقى الله هذه الأمة ولاستبدلها بقوم آخرين.. غير أننا نسأل دائماً سؤالاً: هل كان بالإمكان أفضل مما كان؟ هل يمكن تطوير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليؤتي ثماراً يانعة ونتائج فعالة أكثر على مستوى الفرد والأمة؟ إن فكرة الذكاء في عبادة الأمر بالمعروف والنهي على المنكر قائمة على إحداث أكبر

تغيير ممكن وفعال فيستجيب الناس فينتهون عن المنكر ويأتمرون بالمعروف، إذ الخير موجود في الناس لا شك، لكن ربما علينا التفكير بقواعد وأساليب وطرق أخرى تخدم الذكاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. إن ثمة ما يقرب من مليون خطبة جمعة تُلقى أسبوعياً، لماذا لا نرى أثراً بحجمها؟

لمعرفة قواعد الذكاء في هذه العبادة، لا بد أولاً من فهم طبيعة هذه العبادة وصفاتها:

- **هي عبادة متعدية النفع**، قد تكون جسدية (فليغيره بيده) أو لسانية (فإن لم يستطع فبلسانه) أو قلبية (فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)، لذا يسري عليها بالجملة قواعد الذكاء في العبادات الجسدية واللسانية والقلبية والمتعدية النفع سابقاً فلترجع إليها.

- **تأخذ أشكالاً شتى**، فقد تكون في خطبة جمعة، أو موعظة أو كلمة بعد صلاة في مسجد، وقد تكون برنامجاً تلفزيونياً أو يوتيوبياً، قد تكون صامتة بالقدوة والثبات وحسن الخلق والسمت والسلوك.. قد تكون في نصيحة، أو همسة في أذن، أو على العلن في مجلس النواب أو في الإعلام.. قد تكون فردية أو جماعية، وقد.. وقد...

- **تختلف أهدافها المتعددة بين**: تغيير سلوك، تغيير قناعة، زيادة إيمان، تعليم حكم، تذكير بطاعة، تعليم علم، أمر بمعروف، نهي عن منكر... الخ.

- هي كذلك **عبادة تحتاج لوزن للأمور وحسن تقدير وحكمة**، كما أنها تحتاج للباقة وحسن الأداء وإلا انقلب الأمر ضد المراد.

يعتمد نجاح أثرها على عوامل عدة: منها ما يتعلق بالداعي: كدرجة علمه، وإخلاصه لله، وممارسته للدعوة، وحكمته، وأسلوبه، وهيئته ومظهره.. ومنها ما يتعلق بالمدعو: كدرجة تقبله للنصيحة، وثقافته، وعمره، وشخصيته...الخ.

قواعد الذكاء..

١- **التركيز على الأهم فالمهم**، وعلى الكليات ثم الجزئيات، وتحت هذه القاعدة قواعد جزئية:

- **المنكر الأكبر أولى بالإنكار من المنكر الأصغر**، والمعروف الأكبر أولى بالأمر من الأصغر.
- المنكر الظاهر أولى بالإنكار من المنكر المستتر (الباطن).
- **الفرض أولى بالأمر من النافلة**، والحرام أولى بالنهي من المكروه.
- التركيز على **الجوهر والمضمون** أهم من الشكل والمظهر.
- **الإنكار** يكون في الأمور التي ليس فيها خلاف.

٢- **أدوت الأمر والنهي** مرتبة: باليد لمن هو راعٍ وله سلطة، **ثم اللسان** بالتي هي أحسن وبالوعظ أولاً ثم بالغلظة والشدة إن لم يؤثر اللين، **ثم بالقلب**. وقد يسبق اللسان اليد لإقامة الحجة أولاً والمحاولة باللين وبالموعظة الحسنة.

٣- درء المفاسد **أولى** من جلب **المصالح**، ومن الذكاء تحمُّل أهون المفسدتين لدرء أعظمهما.

٤- **إذا ترتب أو غلب على الظن** أن في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منكراً أكبر، فالأولى وربما الواجب تركه.

٥- **معرفة حال المخاطبين** (لغتهم، شخصياتهم، قيمتهم في المجتمع، انتماءاتهم، عقائدهم وقيمهم، خلفياتهم الثقافية، أصولهم ومنابتهم،..)، لمخاطبة الناس على قدر عقولهم ولمراعاة الخصوصية، واختيار الأسلوب المناسب بالحكمة، واختيار الزمان والمكان المناسبين ولو كان في ذلك تأخير للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لما في ذلك المصلحة فلكل مقام مقال.

تطبيقات وأمثلة عملية..

- **أنكر النبي ﷺ على المشركين الشرك** ومكث يدعوهم إلى التوحيد ثلاث عشرة سنة في مكة لم يلتفت فيها لجزئيات ومنكرات أقل كاستعباد الناس والغش والربا والزنا إذ ليس فوق الكفر ذنب، بل لم يوجب عليهم الصلاة إلا بعد حادثة المعراج ولم يفرض الصيام والحج إلا بعد الهجرة (**القاعدة ١**).

- لما بعث النبي ﷺ معاذاً لأهل اليمن قال له: «ليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة التوحيد» لأنها أعظم أولوية ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾، فالالتفات للمنكرات الجزئية ليس أولوية (**القاعدة ١**).

- **ليس من الذكاء البدء بدعوة شاب للاستقامة** بإطلاق لحيته وترك لبس بنطاله الممزق على الموضة وتغيير حلقة رأسه التي تشبه غير المسلمين أو ترك التدخين، سيفعل هذا وحده تلقائياً إذا دخل الإيمان في قلبه، وإلا فسيربط التزامه من الناحية النفسية «**ارتباطا شرطياً**» بمنعه من مُتَعٍ استمر عليها زمناً طويلاً وسيفضل ترك الالتزام كلياً (**القاعدة ١**).

- **ليس من الأولوية في بداية الحديث عن الإسلام مع امرأة غير مسلمة اقناعها بلبس الحجاب (القاعدة ١).**

- **ليس من الذكاء البدء بدعوة الناس بإدخالهم في خلافات فقهية أو عقائدية** (كالأسماء والصفات) أو مذهبية أو حزبية، لأن هذا سيشتت ذهنهم وينفرهم ويبعدهم، بل الذكاء البدء بالعبادات القلبية وبما يزيد الإيمان مما هو متفق عليه من الكليات وعدم إقحامهم في جزئيات ليست من الأولويات، أعرف شباباً أدخلهم الدعاة في بداية التزامهم في مواضيع كهذه فتشتت أذهانهم وحاروا في الحق فتركوا التدين والالتزام كلياً **(القاعدة ١+٣)**.

- **عند العيش في بلاد غير إسلامية**، التركيز على العقيدة والإيمان أذكى وأولى من التركيز على المظهر كاللحية وطولها وحف الشارب واللباس والنقاب والمسائل الخلافية في الصلاة مما يسعها الخلاف لفقهي **(القاعدة ١+٥)**.

- إنكار الفساد المالي الظاهر والمنظم (كالرشوة في المناقصات والمنافسات، وسرقة المال العام والمساعدات) والأخلاقي الظاهر والمنظم (كدور الدعارة، والمواقع الإباحية، والقنوات الفضائية التي تنشر الفساد جهراً) في المجتمع أولى وأكثر أثراً من الإنكار على شخص واحد فاسد أو التركيز على منكرات صغيرة **(القاعدة ١)**.

- **هنالك حرص من بعض الدعاة والوعاظ على تحريض الناس على الصدقات**، غير أن الحديث عن الزكاة وهي فرض فيه شح كبير واضح.. الفرض أولى من النافلة، فنحن لسنا في زمن السلف حيث الناس تخرج زكاة مالهم تلقائياً **(القاعدة ١)**.

- **النهي عن منكر من الكبائر واضح جلي كالربا أولى من النهي عن منكرات** أقل كالتدخين في الأماكن العامة أو الهدر (**القاعدة ١**).

- **ليس من الذكاء والأولويات الإنكار على المحجبات** أنهن لسن منقبات واتهامهن بالسفور، لأنها مسألة فقهية خلافية (**القاعدة ١**).

- **من الذكاء توجيه وتركيز الأمر بالمعروف لمسألة** تهم المجتمع كاملاً عبر الإعلام وخطب الجمعة ووسائل التواصل الاجتماعي (**القاعدة ١**).

- **سباب أئمة وقدوات غير المسلمين قد يؤدي لسب قدوات المسلمين والتعدي على مقامهم،** فالأولى تركه، قال الله: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، ينطبق الأمر على المخالفين في المذهب أو المنهج من المسلمين (**القاعدة ٤**).

- ترك النبي ﷺ **الأصنام في مكة ولم يهدمها إلا بعد فتح مكة،** لأنه لو هدمها فسيكون ضرر أكبر وستقوم قائمة قريش وستقف معها العرب، فكان من الحكمة ترك مفسدة لدرء مفسدة أعظم (**القاعدة ٤**).

- **ترك النبي ﷺ الأعرابي يبول في المسجد وأمر الصحابة ألا ينهروه** لدرء مفسدة أعظم وهي انتشار بوله في المسجد إذا أخافوه فهرب منهم مما سيسبب كرهه للدين، ولكونه جاهلاً بالحكم (**القاعدة ٤**).

- **أبقى النبي ﷺ الكعبة على ما بنتها قريش** بعد أن جمعت من المال الحلال فلم يكف وقتها إلا ما بنته، وقال لعائشة: «**لولا أن قومك حديثو عهد بكفر هدمت الكعبة وجعلتها على قواعد إبراهيم**»، لأن قريشاً كانت تقدس

الحرم والكعبة، وهدمها كان سيوقع في نفوسهم شيئاً عظيماً، فتحمل أهون المفسدتين لدرء أعظمهما **(القاعدة ٤)**.

- **لما مر ابن تيمية بقوم من التتار يشربون الخمر،** أراد بعض أصحابه أن ينكر عليهم فنهاهم ابن تيمية وقال لهم: «إنما حرم الله الخمر لإنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة وهؤلاء تصدهم الخمر عن قتل النفوس وسبي الذرية وأخذ الأموال فدعوهم وخمرهم»[1] **(القاعدة ٤)**.

- **قد لا يقبل البعض النصيحة** (الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر) إذا كان في العلن (أمام جمع من الناس أو الأصحاب، أو على وسائل التواصل الاجتماعي كالفيسبوك أو تويتر أو مجموعة واتس أب) لأنه يعتبر ذلك نوعاً من الإهانة والفضيحة وربما التحدي له، فينقلب من اتِّباع النصيحة إلى الدفاع عن نفسه، الأصل أن نبدأ بالسر **(القاعدة ٥+٤)**، وفي هذا قال الشافعي:

تَعَمَّدني بِنُصحِكَ في اِنفِرادي
وَجَنِّبني النَصيحَةَ في الجَماعَه

فَإِنَّ النُصحَ بَينَ الناسِ نَوعٌ
مِنَ التَوبيخِ لا أَرضى اِستِماعَه

وَإِن خالَفتَني وَعَصَيتَ قَولي
فَلا تَجزَع إِذا لَم تُلقَ طاعَه



(١) الحسبة لابن تيمية (٦٧).

الذكاء في تغيير السلوك والقناعات

اختبر ذكاءك..

- **أيهما أذكى**: تغيير سلوك سلبي حالاً أم تغيير قناعات العقل التي قد تأخذ وقتاً؟

- **أيهما أذكى وأطول أثراً**: خطاب العاطفة والتأثير في القلب أم خطاب العقل والقيم؟

- **أيهما أذكى إذا وُجد شاب لديه شكوك وشبهات في الدين**: أن يكف سمومه عن الناس فلا يبوح بها لألا يفتن غيره أم تحفيزه على البوح بها للرد على شكوكه وإقامة الحجة عليه؟

شرح وتمهيد..

هذا المبحث هو جزء خاص ودقيق في مبحث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله، آثرتُ أن أُفرد له فصلاً خاصاً لمزيد العناية به والتركيز عليه، وهو يسلط الضوء على بُعْدٍ ثالث في هذين المبحثين هو عمق التأثير وطوله، وهو ما يحتاج أدوات إضافية لتحققه للحصول على النتيجة المرجوَّة من مبدأ الذكاء في العبادة (الأجر الكبير والمجهود الأقل).

إن السلوك فعل، ومنشأ أي فعل يبدأ من العقل الذي يفكر فيأمر الجوارح

والأعضاء واللسان، فتنشأ الانفعالات ثم يعقبها السلوك.. إذن فما نراه من تصرفات الناس وأخلاقهم وتعاملاتهم وقراراتهم ومواقفهم هو الظاهر لنا منهم، وهو ما تتقولب وتتجسد به انفعالاتهم ومشاعرهم وأحاسيسهم، غير أنه يعكس أموراً باطنة لا نراها لكن نستطيع الحكم عليها هي القيم والقناعات محركة هذا السلوك في العقل اللاواعي.



إذن فبكل بساطة، تغيير منبع التصرفات والسلوكيات (قناعات العقل وقيمه ومعتقداته) أسهل وأذكى وأولى على المدى القريب والبعيد من الحرص على تغيير السلوك الظاهر فقط الذي قد يكون لحظياً أو ردة فعل أو عادة ثم يعود المرء إليه سواء كان فعلاً مُقاداً بالشهوات أو الشبهات، لأن العقل بما تملَّكه من علم وقيم وقناعات هو الذي سينهى صاحبه عن فعل المنكر أو إتيان المعروف أو الثبات في الفتنة أو الحرص على الخير[1].

وقد جاءت نصوص عدة في القرآن والسنة تدعم هذا الأمر، منها:

- قوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩].. فأمره بالعلم أولاً (**الجانب النظري أو الاعتقادي**) ثم الاستغفار (**الجانب العملي**).
- قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ

(١) هذا المبحث عميق في علم النفس والفلسفة، وقد تطورت فيه العديد من نظريات تعديل السلوك ونماذجه التي استفدت منها هنا.

ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦]، فأرشد إلى وقف الأفكار (**نزغ الشيطان**) التي تراوده قبل تحولها إلى فعل (سلوك) لا يرضاه الله.

- كانت المرحلة المكية مرحلة خطاب العقيدة وتصحيحها وتثبيتها ثلاث عشرة سنة (**الجانب النظري**)، ثم جاء الخطاب في المرحلة المدنية خطاب تشريع وتفصيل في الأحكام (**الجانب العملي**).

- **الثواب والعقاب**: كل النصوص التي جاءت بالثواب والعقاب والأجر والوعيد هي حوافز وعقاب لتعديل السلوك الخاطئ من باب التحبيب بالمعروف وتبغيض المنكر.

قواعد الذكاء..

١- **تغيير القناعات والقيم والفكر أذكى على المدى القريب والبعيد من مجرد** تعديل السلوك والتصرفات والأفعال والأخلاق لأنها أساسها ومنبعها، يُستثنى الحالات الطارئة والمهمة التي تحتاج تعديلاً فورياً للسلوك.

٢- **خطاب العاطفة مطلوب لكن تأثيره لحظي وقصير المدى**، أما خطاب العقل فأذكى وأدوم وأمتن وأحفظ في الفتن لأنه طويل المدى.

٣- **التركيز على العلم والمعرفة ابتداء أذكى وأولى من التركيز على العمل**، لأن العلم أداة تقود للعمل والسلوك الصحيح، ومن وسائله: التعليم (المدارس والجامعات) والإعلام (المرئي ووسائل التواصل) والمنتديات والمساجد...الخ.

٤- **القدوة أو القيادة بالمثال من طرق تغيير السلوك بالممارسة العملية**، ومن ذلك رواية قصص القدوات كالقصص القرآني والنبوي.

تطبيقات وأمثلة عملية..

حاول الربط بين الأمثلة العملية وقواعد الذكاء أعلاه..

- **الحديث عن مخاطر الفتن وأثرها وكيف تنجو من الفتن** يكون بزرع القيم والقناعات لتكون أساساً متيناً، فإذا أقبلت الفتن عصم الله صاحبها من الزلل في الوقوع في مسلكيات خاطئة.

- **كما أن تغيير نمط الحياة** (Life Style) للمحافظة على الصحة يبدأ بتغيير القناعات، فالإقلاع عن عادات تعتبر معاصي كالتدخين يبدأ بتغيير القناعات عبر وسائل التثقيف بضرره الاجتماعي والنفسي والصحي وحملات الإقلاع عنه.

- فتاة **غير محجبة**، يبدأ الأمر معها بتغيير قناعاتها عن الحجاب والرد على الشبهات أو الأفكار التي عندها عن الحجاب وما سمعته من كونه سبباً في تضييق عيشها.

- شاب عاق **بوالديه**، يرفع صوته على أمه، قد تغير سلوكه لحظياً بتهديده أو إيقافه في موقف ما، غير أنك تستطيع تغيير سلوكه أبداً بتغيير أفكاره وقناعاته وبزرع بر الوالدين في نفسه كقيمة عظيمة في نفسه، **عندها لن** يرفع صوته على أمه أبداً.

- **جاءت العديد من الآيات في القرآن تخاطب العقل وتذكر الحجة والبرهان،** ثم تأمر بالتفكر والتأمل: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾، ﴿ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾، ﴿يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾، ﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾، ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾، ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴾.

- **قص الله قصص الأنبياء وغيرها** من القصص القرآني تسلية للنبي والمسلمين في مواقف مختلفة سيواجهونها، فهي رواية لقصص القدوات.

- **درج كثير من الدعاة والخطباء على ذكر القصص المؤثرة** وهو أمر مهم غير أن تأثيره مؤقت، والأهم مخاطبة وإقناع العقول لأنها إذا اقتنعت تعدل السلوك والعمل تباعاً.

- **لم يأمر النبي ﷺ أصحابه بهدم أصنام الكعبة في أول إسلامهم**، بل حرص على غرس العلم والعقيدة داخل قلوبهم وعقولهم، فهدموا هم الأصنام بعد ذلك بأيديهم.

- **لم تُشرع كثير من الفرائض والشعائر إلا في المرحلة المدنية**، فقد أمضى النبي ﷺ ثلاث عشرة سنة في مكة يزرع العقيدة (**العلم**) والإيمان ويغير القناعات، ثم جاء الجانب العملي بالتدرج في المرحلة المدنية.

- **في خضم بعض موجات الإلحاد بين شباب المسلمين**، يصبح الاستماع لهم وتحفيزهم على إخراج ما عندهم من الشبهات والرد عليها رداً علمياً وافياً من قبل أهل الاختصاص لنسف تلك الشبهات من عقولهم أذكى وأولى من مجرد إخافتهم من البوح بما لديهم في مجتمعات مسلمة، فيُسرُّون ما لديهم من شكوك ثم يفرط إسلامهم عند أول فرصة سانحة.

- **في حالات الضرر المتعدي على الآخرين كاعتداء جسدي أو جنسي أو لفظي** يصبح إيقاف السلوك الخاطئ عاجلاً ومهماً ولا يمكن تأجيله، ثم يمكث المربي وقتاً في تغيير القناعات وزرع القيم.



حال العابد

- الفئات العمرية.
- الرغبات والشغف.
- القدرات والمهارات والإمكانات.
- الانشغالات والمسؤوليات.
- الساعة الإيمانية.
- التنوع والتوازن.

الفصل الأول



الفئات العمرية



يختلف الناس في مراحلهم العمرية من حيث قوة الجسد، ووفرة المال، وقوة العقل، والانشغالات والمسؤوليات، ويشكل هذا الاختلاف عاملاً مهماً في خيارات الذكاء في عباداتهم المختلفة.. فيما يلي بعض خصائص المراحل العمرية لنرى بعدها خيارات الذكاء في العبادة بما يتناسب وكل مرحلة:

الفئة العمرية	قوة الجسد	وفرة المال	قوة العقل	الانشغالات والمسؤوليات
23-15	أعلى قوة ونشاط	يتلقى المال من مُعيله	مرحلة التعليم ونمو العقل	الانشغال بالدراسة والتحصيل العلمي
40-23	قوة وتنشيط	تأسيس النفس وزيادة الدخل وكسب المال	تعلم علوم الحياة والمهارات الأفكار والاستفادة من تجارب الآخرين	الانشغال بالكسب وتأسيس أسرة صغيرة
60-40	نقل القوة تدريجياً وتبدأ الأمراض بالظهور	زيادة الكسب المالي أكثر، ووفرة في الدخل والتوفير	النضج الكامل، العقل في أفضل حالاته	تزيد هموم الأسرة والمراهقين وتحديات العمل والحياة
80-60	بطء وقلة نشاط، لا يساعد الجسم كثيرا على الإنجاز	أفضل، وفرة في المال إذا لم ينفقه في العلاج ومسؤوليات الأبناء	بداية الانحدار التدريجي بسبب الأمراض وتقدم العمر	قلة انشغال وبداية الشعور بالوحدة والمال بعد زواج الأبناء واستقلالهم وزواجهم

إذن:

- **تتناسب قوة الجسد عكسياً مع تقدم العمر، فكلما تقدم العمر قل نشاط** الجسد وضعفت قواه، قال الله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤].

- **تتناسب وفرة المال طردياً مع تقدم العمر**: فينشأ المرء معتمداً على أبويه أو من يعيله، ثم يبدأ بالعمل موظفاً مبتدئاً بدخل قليل محدود، ثم مع اكتسابه

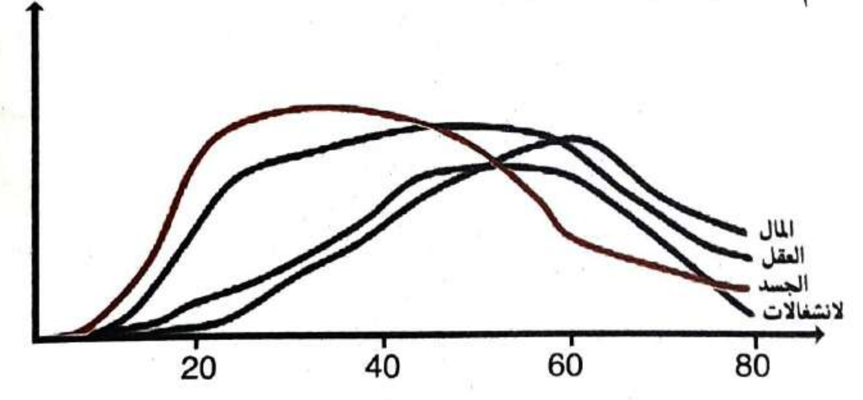
الخبرة تزيد قيمته الوظيفية السوقية فيزيد دخله، وربما بدأ عمله الخاص، إلى أن يتقاعد وهو في أفضل حالاته المادية، فينقطع الدخل إن لم يكن له عمله الخاص وينفق من مدخراته، وربما نال من ماله الأمراض ومسؤوليات الأسرة.

- **تتناسب قوة العقل ونضجه طردياً مع تقدم العمر**: فبعد سنوات الدراسة واكتساب العلم، يتوسع أفقه ويزيد اطلاعه وثقافته ونضجه وتجاربه مع السنين، إلا أن تبدأ الأمراض في الشيخوخة بالنيل من قوة عقله وتركيزه متأخراً كما نالت من قوة جسده قبل ذلك.

- **تتناسب المسؤوليات والانشغالات طردياً مع تقدم العمر إلى بلوغ سن التقاعد**: حيث يترك المرء العمل ويستقل أبناؤه عنه إما بالزواج أو الغربة أو انشغالهم بالعمل والأسرة فيشعر بالوحدة، وربما يموت أصدقاؤه وأبناء جيله واحداً تلو الآخر.

- **ما سبق كله وصف عام لأغلب حالات الناس في زماننا**، ولا يعني بالضرورة كلهم فالأمر نسبي كما هو معلوم.

- **رسم توضيحي لتطور صحة الجسد وصحة العقل** ووفرة المال والانشغال مع تقدم العمر ومرور السنين



قواعد الذكاء وتطبيقاته..

عمر ١٥ - ٤٠ هو عمر بناء النفس الإيماني والعلمي: يكتسب المرء فيها العلم الديني والدنيوي، وفي الوقت نفسه تكثر في هذا العمر شهوة النساء وشهوة جمع المال وحب الظهور والتصدر وغيرها، فمن الذكاء في هذا العمر الإكثار من العبادات ذات النفع اللازم التي تزكي النفس وتزرع الخشية والإخلاص وتسد باب الشهوات والشبهات كقيام الليل والصوم وقراءة وحفظ القرآن وملازمة الأذكار والصدقة ولو بالقليل. ولأن الجسد فيها في أوج قوته ونشاطه فمن الذكاء استغلال هذا العمر في الإكثار من العبادات الجسدية، لا سيما تلك التي فيها مشقة كحج الفريضة وصوم رمضان على أتم وجه، والمواظبة على السنن النوافل كقيام الليل والضحى والسنن الرواتب ما استطاع، وصلاة الجماعة في المسجد قبل أن يقعده المرض في آخر حياته فلا يستطيع المشي للمسجد ويتحسر، فيكون له رصيد من عمل صالح وقت الشباب ليستظل بظل العرش، وكون الانشغالات والمسؤوليات في هذا العمر أقل مما بعده، فيُكثر كذلك من العبادات الجسدية واللسانية ذات النفع المتعدي بما يملكه من طاقات وعلم وفسحة وقت.

سن الأربعين سن النضج والعطاء الفكري والعقلي: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةً﴾ [الأحقاف: ١٥]، ومن الذكاء فيها توسعة النشاط في الأعمال ذات النفع المتعدي التي تنفع الأمة كدور الأيتام والصدقات أو دعوة غير المسلمين، أو زكاة العلم الذي تعلمه قبل الأربعين بالتأليف والدعوة إلى الله بالخطابة أو البرامج التلفزيونية أو التواصل الاجتماعي أو العمل المؤسسي العلمي، هو عمر الإتيان بالأفكار الجديدة النافعة للأمة في

زمانها. ومع وفرة المال في هذا العمر بالمقارنة بالفئة السابقة، فمن الذكاء البحث عن مشاريع مالية ذات نفع متعدٍّ ككفالة يتيم، أوالمشاركة في بناء مسجد، أو حفر آبار أو كفالة طالب علم، أو إطعام الجائعين في إفريقيا، أو السفر للدعوة إلى الله. وسيقل تدريجياً نشاط الجسد وقوته في هذا العمر.

- **في عمر الستين فما فوق**: يبدأ الجسد تدريجياً بخذلان صاحبه، فلا يعود يقوى على قيام الليل لثمان ركعات كما كان قبل بل أربع فقط، وربما تخذله عيناه عن قراءة جزء من القرآن كل يوم فيقرأ نصف جزء مثلاً، وتخذله قدماه عن حمله لصلاة الجماعة إلى المسجد خمس مرات في اليوم، فيقوى مرة أو مرتين فقط، ويبدأ بالبعد العقلي والفكري عن متطلبات أبناء الجيل الجديد فتحدث فجوة بينه وبينهم في الفهم والأدوات. من الذكاء في هذا العمر الإكثار من العبادات اللسانية اللازمة كذكر الله والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ دائماً وترديد المحفوظ من القرآن ليقابل الله فيقرأ ويرقى عند آخر آية يحفظها، وإن لم يكن قد حفظ القرآن فالأولوية للبقرة وآل عمران فإنهما يأتيان كالغمامتين تحاجان عن صاحبهما يوم القيامة، وكذلك الإكثار من العبادات القلبية بشقيها المطلق كتقوى الله وخشيته والتوكل عليه والرضا بأقداره والعيش بحب الله في قلبه، والمقيد كالإخلاص والخشوع. ومن الذكاء تلخيص عصارة الحياة للأبناء والطلاب والمحيطين بالنصائح الجميلة السديدة.

تأمل في قول النبي ﷺ: اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك.



الفصل الثاني



الرغبات والشغف



لكل واحد منا رغبات واهتمامات وشغف بأمور تختلف عن الآخر، ما يُعجبك قد لا يُعجبني، وما يجذبني قد لا يجذبك.

من الذكاء في العبادة فهم شخصيتك أولاً ومعرفة ما يجذبها وما تحبه من الأعمال النافلة، وما يحقق لها ذاتها وشغفها، ثم بعد ذلك إيجاد السبل المناسبة لملاقاة هذا الشغف وتوظيفه في العبادة، فلا تشعر النفس بالملل ولا تكره الطاعة بل تُقدم عليها في أي وقت لأن هناك عامل جذب وربط شرطي بين الطاعة والرغبة.. هناك متسع كبير في قائمة طويلة من النوافل، أما الفرض فلا مناص من فعلها كما يريدها الله.

قد يجد أحدنا جلداً على طلب العلم وشغفاً في حفظ المتون والأحاديث وتحليل النصوص ودراسة السيرة والقرآن وسلوك طريق طلبة العلم عموماً، بينما لا يطيق غيره ذلك ولا يجد الجلد والمتعة الذهنية في هذا، بل يعشق العمل الجماعي والخروج للاحتكاك بالناس والاختلاط بهم ويجد المتعة في تقديم يد العون لمحتاجهم أو توزيع سلة الأغذية على فقرائهم.

قد يقوى جسد شاب على صيام كل اثنين وخميس، بينما يشق ذلك على غيره فيجد من قيام الليل متعة ولذة تناسبه أكثر، ويستمتع آخر بالجلوس أمام شبكات التواصل الاجتماعي فيضع منشوراً (بوست) دعوياً أو يصمم موقعاً الكترونياً دعوياً يجد المتعة في ذلك أكثر.

وقد يجد بعض الشباب طاقة وصبراً في تعليم طلاب حلقات تحفيظ القرآن، فينشئ جيلاً من الحفظة، يجد في ذلك لذة ويحتسب في مشاريع الدعاة الصغار هؤلاء الأجر ويكسب الخيرية بتعليم القرآن، بينما لا يصبر غيره على تعليم الصغار بل يحب الأمور التربوية والأسرية فيبرع في هذا المجال ويوظفه في كسب الأجور بإصلاح ذات البين وحل المشكلات الأسرية بين الأزواج، وربما يفوق في هذا أجر الصائم القائم...

ملخص هذا: «كل ميسر لما خُلق له»، والذكاء في أن يُوظف أحدنا رغباته واهتماماته وشغفه فيما يكسب به الأجور والحسنات بإخلاص لله.. وقد قابلت في حياتي الكثير من هذه الحالات لأناس خيرين أعرفهم، كلٌّ له ميوله وشغفه ورغباته في العبادات والطاعات.

من أجل ذلك كان للجنة ثمانية أبواب: باب الصيام يدخل منه الصائمون، وباب الصلاة يدخل منه أولئك الذين شغفوا بالنوافل وقيام الليل والوقوف بين يدي ربهم، وباب الصدقات، وباب الجهاد،... وهكذا، كل يدخل من الطاعة التي أحبها فأكثر منها أكثر، قال النبي ﷺ: «**مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللهِ نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ**»[1].

وهذا يفسر كذلك ردود النبي ﷺ المختلفة لمن كان يسأله: أي الأعمال أحب إلى الله؟ فيجيب النبي ﷺ إجابات مختلفة بحسب حال السائل.

(١) صحيح: البخاري (٣٦٦٦)، مسلم (١٠٢٧) عن أبي هريرة.

وقد لخص علماؤنا الأوائل هذا المبدأ بأجمل عبارات تدل على فهم عميق لكيفية إدارة عباداتنا النوافل بما يتوافق ورغباتنا، أذكر من ذلك مثالين اثنين:

كتب عبد الله العُمري العابد للإمام مالك رحمهما الله يحضُّه على الانفراد والعمل، فكتب إليه الإمام مالك: «**إن الله قسَّم الأعمال كما قسَّم الأرزاق، فرُبَّ رجل فُتح له في الصلاة ولم يُفتح له في الصوم، وآخر فُتح له في الصدقة ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الجهاد، فنشْرُ العلم من أفضل أعمال البر، وقد رضيت بما فُتح لي فيه، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر**»[1].

ولابن تيمية كذلك كلام رائع في هذا لما سئل عن الأسباب التي يقوى بها الإيمان إلى أن يكمل، هل يبدأ بالزهد أو بالعلم أم يجمع بين ذلك على حسب طاقته؟ فأجاب رحمه الله:

«**الناس يتفاضلون في هذا الباب، فمنهم من يكون العلم أيسر عليه من الزهد، ومنهم من يكون الزهد أيسر عليه، ومنهم من تكون العبادة أيسر عليه منهما، فالمشروع لكل إنسان أن يفعل ما يقدر عليه من الخير، كما قال تعالى:** ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن ١٦]، **وإذا ازدحمت شعب الإيمان قدم ما كان أرضى لله وهو عليه أقدر، فقد يكون على المفضول (الأقل فضلاً) أقدر منه على الفاضل (الأكثر فضلاً)، ويحصل له أفضل مما يحصل من الفاضل، فالأفضل لهذا أن يطلب ما هو أنفع له وهو في حقه أفضل، ولا يطلب ما هو أفضل مطلقاً إذا كان متعذراً في**

---

(١) التمهيد (١٨٥\٧)، سير أعلام انبلاء (١١٤\٨).

حقه أو متعسراً يفوته ما هو أفضل له وأنفع، كمن يقرأ القرآن فيتدبره وينتفع بتلاوته والصلاة تثقل عليه ولا ينتفع منها بعمل، أو ينتفع بالذكر أعظم مما ينتفع بالقراءة، فأي عمل كان له أنفع ولله أطوع أفضل في حقه من تكلف عمل لا يأتي به على وجهه بل على وجه ناقص يفوته ما هو أنفع له»[1].

قاعدة الذكاء..

كل ميسر لما خلق له.. عليك معرفة شغفك ورغباتك واهتماماتك وتوظيف ذلك في كسب الأجور بذكاء.



(١) مجموع الفتاوى (٧/١٦٥).

الفصل الثالث



القدرات والمهارات والإمكانات



هنالك سؤال في الإدارة دائماً ما يُطرح: هل نقوم بتعزيز نقاط القوة لدى شخص ما ليستغلها؟ أم نقوي نقاط الضعف لديه ليعوض ذلك الضعف؟

عندما تعرف شغفك ورغبتك، لا بد من تقوية هذا الشغف وتنمية المهارات والقدرات والوسائل التي تؤهلك من أدائه على الوجه الأتم لترفع جودة العمل ثم تبدأ تدريجياً بزيادة الكم (**العدد**) منه.. كذلك الحال في إدارة عباداتك، فكلما زادت جودة العمل (**الطاعة**) زاد الأجر وزاد المنتفعون بالعمل إن كان متعدي النفع.. بعض الأعمال (**العبادات**) تحتاج إلى زيادة المهارة المرتبطة بها.

هب أن شاباً طموحاً لديه شغف بالخطابة والإلقاء بنية الدعوة إلى الله، غير أنه يفتقد لمهارات الخطابة وجذب الناس فيحضر له مائتان كل جمعة لا يخرجون بعظيم فائدة وربما لا يتذكرون موضوع الخطبة، ماذا لو حضر دورة تدريبية لتأهيل الخطباء وتعليمهم مهارات الإلقاء والخطابة والمقدمة الجذابة والتحضير ولغة الجسد وغيرها، فأصبح يحضر له ألفان جلهم يخرجون بفائدة ويرجعون إليه كل جمعة، أليس هذا من الذكاء في العبادة بأن زاد عدد المنتفعين وزادت جودة الخطبة وفائدتها فزاد الأجر؟

وقس على ذلك..

إنه ليس من الذكاء أن تدخل فيما لا تحسنه أو خلاف ما تتقن، قيل لبشر: إن فلاناً الغني كثير الصوم والصلاة، فقال: المسكين ترك حاله ودخل في حال غيره! وإنما حال هذا إطعام الطعام للجياع والإنفاق على المساكين، فهذا أفضل له من تجويعه نفسه ومن صلاته لنفسه ومن جمعه للدنيا ومنعه للفقراء.

لا بد لمن يجمع الصدقات من المحسنين **(القائمين عليها)** من معرفة كيفية التعامل الخاص مع المحسنين باختلاف شخصياتهم ونواياهم وانشغالاتهم، والمدخل المناسب لكل واحد منهم.. ولا بد لمن يُعلِّم القرآن من تعلُّم القرآن والإجازة فيه، ولا بد لمن يجلس للقضاء من دراسة القضاء ابتداءً.. والذي يعشق التقديم الإذاعي أو التلفزيوني أو المجال الإعلامي عموماً وينوي كسب الأجر فيه، لا بد له من التدرب في هذا المجال.

مدرسة محمد..

لقد ضرب الصحابة أروع مثال في هذا التنوع في القدرات والإمكانات فكانوا جامعة إسلامية مكتملة في تنوع كلياتها وخريجيها، وانعكس ذلك على أدائهم والمجال الذي برع كل واحد منهم فيه، فوظف النبي ﷺ ذلك الشغف وتلك القدرات في موضعها الصحيح فاستعمل كل واحد فيما يبرع:

- فمن كلية العلوم العسكرية تخرج خالد والقعقاع والبراء بن مالك وأبو دجانة.

- ومن كلية الآداب تخرج عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وزيد بن ثابت كاتب الوحي ومترجم النبي ﷺ.

- ومن كلية العلوم الشرعية تخرج ابن عمر وعلي وابن عباس وابن مسعود وعبد الله بن عمرو

- ومن كلية الإدارة تخرج عمر بن الخطاب وعلي وأبو بكر وعمرو بن العاص.

- ومن كلية الاقتصاد تخرج عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان أغنياء المسلمين.

وهكذا.. فقد برع كل منهم في تخصصه وخدموا الإسلام في مجالاتهم وكانوا كلاً متكاملاً لا يرى أحدهم لنفسه الفضل على الآخر.

قاعدة الذكاء..

من الذكاء في العبادة معرفة نقاط قوتك وشغفك ورغبتك، ثم تقوية هذا الشغف بتنمية المهارات والقدرات والوسائل التي تعززه لترفع جودة الطاعة ثم تبدأ تدريجياً بزيادة الكم **(العدد)**.



الفصل الرابع

الانشغالات والمسؤوليات

تختلف مسؤوليات الناس وانشغالاتهم بحسب طبيعة أعمالهم، ودخلهم، وعدد أفراد العائلة، وأحوالهم،... وغير ذلك.

- فبعض الناس يُعيل أمه وأباه الكبيرين بالإضافة إلى أسرته (الزوجة والأبناء)..
- ومن الناس من يعمل في عملين اثنين (وظيفتين) لا واحد، ليستطيع تأمين رزق عياله..
- ومن الناس من عمله ليلي وليس نهارياً (كبعض الممرضين وحراس الأمن والأطباء وموظفي الكاشير)..
- ومنهم كثير السفر يمكث الساعات الطوال أسبوعياً في الطائرة والمطارات أو السفر برّاً..
- ومنهم من يمكث ذهاباً وإياباً من بيته إلى عمله يومياً ساعتين في الزحام..... وهكذا.

إذن يختلف الناس في انشغالاتهم وطبيعة أوقاتهم وفراغهم وأسلوب حياتهم اليومي والاعتيادي، لذا لا يمكن تفصيل جدول واحد لجميع الناس

في الطاعات والعبادات إلا الفرض فلا مناص من إتيانها في وقتها.. ومن رحمة الإسلام تنوع العبادات والطاعات اللسانية والجسدية والمالية لتناسب كلاً بحسب حاله، فتجد من العبادات اللسانية من تقوم مقام الجسدية (راجع فصل: كيف تكسب أجر قيام الليل؟) أو مقام العبادات المالية (راجع فصل: كيف تكسب أجر عتق رقبة؟)[1]... وهكذا.

قاعدة الذكاء..

أنت أعلم الناس بانشغالاتك ومسؤولياتك.. عليك برمجة وقتك وانشغالاتك جيداً لتؤدي طاعاتك بذكاء، يحتاج الأمر للتفكير والتخطيط للحصول على أذكى الخيارات اللازمة والمتعدية.



(١) من كتابي (خطوات نحو الملك جل جلاله)، وقد ذكرت ملخصه في هذا الكتاب في فصل: الذكاء في العبادات اللسانية والذكاء في العبادات الجسدية

الفصل الخامس



الساعة الإيمانية (إذا هبت رياحك فاغتنمها)

كما أن هناك ساعة بيولوجية لكل واحد منا، فهناك كذلك ساعة إيمانية تهب فيها نسائم الإيمان العليل على صاحبها، تكون له كقميص يوسف لما أُلقي على يعقوب يرد له بصره وبصيرته، ويرفع من منسوب إيمانه في قلبه، يرفرف فيها القلب فرحاً ونشاطاً في طاعة الله، تجده سريع العبرة، يخشع إذا سمع أو تلا كلام الله، يذكر الله ويتذكر نعمه، ويسارع في الخيرات ويبتعد عن المعصية لخشيته لله.. هذه الساعة لا تأتي على الدوام بل تروح وتجي، وهي التي عناها النبي ﷺ في قوله لحنظلة: «**ساعة وساعة**».

لقد شعر الصحابة بهذه الساعة، فتجرأ حنظلة وصارح رسول الله ﷺ بالأمر فقال: نافق حنظلَة. فقال له النبي ﷺ: وما ذاك؟ فقال حنظلة: نكون عندكَ تُذَكِّرنا بالنَّار والجنّة كأنَّا رأيَ عَينٍ، فإذا خَرجنا عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نَسينا كثيرا. فقال رَسولُ الله ﷺ: «**والذي نَفسي بيده لَو تَدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لَصافَحتكم الملائكةُ على فُرُشِكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلَة ساعَة وساعة، ثلاثَ مرَّاتٍ**» [صحيح مسلم (٢٧٥٠)].

إذا هبَّت ساعة إيمانك فاغتنمها وزد من العبادات -لا سيما النوافل- كمَّاً ونوعاً، وإذا سكبت عينك الدموع أثناء الذكر فمن الذكاء ألا تتحول إلى عبادة أخرى حتى لو كانت أفضل من الذكر كقراءة القرآن أو الصلاة، وإذا أثر فيك

نشيد أو شعر (**مفضول**) فمن الذكاء أن تعيش تلك اللحظات ولا تتحول عنها لما هو أفضل منها أجراً كالذكر (**فاضل**).

أنقل لك هنا ما قاله طبيب القلوب ابن القيم:

«قراءة القرآن أفضل من الذكر، والذكر أفضل من الدعاء هذا من حيث النظر إلى كل منهما مجرداً، وقد يعرض للمفضول ما يجعله أولى من الفاضل، بل يعينه، فلا يجوز أن يعدل عنه إلى الفاضل... وهكذا الأذكار المقيدة بمحال مخصوصة أفضل من القراءة المطلقة (**قراءة القرآن**)، والقراءة المطلقة أفضل من الأذكار المطلقة، اللهم إلا أن يعرض للعبد ما يجعل الذكر أو الدعاء أنفع له من قراءة القرآن، مثاله: أن يتفكر في ذنوبه، فيحدث ذلك له توبة واستغفاراً، أو يعرض له ما يخاف أذاه من شياطين الإنس والجن، فيعدل إلى الأذكار والدعوات التي تحصنه وتحوطه»[(١)].

وقال ابن تيمية:

«وقد يكون العمل المفضول أفضل بحسب حال الشخص المعين، لكونه عاجزا عن الأفضل أو لكون محبته ورغبته واهتمامه وانتفاعه بالمفضول أكثر فيكون أفضل في حقه لما يقترن به من مزيد عمله وحبه وإرادته وانتفاعه»[(٢)].

قاعدة الذكاء..

إذا هبَّتْ رياحك فاغتنمها، وامكث على تلك العبادة التي أورثتك اللذة والخشوع ولو آنياً ولا تعدل عنها لغيرها ولو كانت أفضل منها.

---

(١) (الوابل الصيب من الكلم الطيب)، بتصرف يسير.
(٢) مجموع الفتاوى (١٩٨\٢٤).

الفصل السادس

التنــــوع والتــــوازن

الملل، وحقوق المحيطين بك، وحقوق جسدك وعقلك، وميولك ورغباتك، وعملك.. كل هؤلاء يُحتِّمون عليك التنوع والتوازن في خيارات الطاعات الذكية بحيث تحقق التوازن المطلوب دون تقصير في إحداها.. فالتنوع بين العبادات اللسانية والجسدية والمالية من جهة، وبين اللازمة النفع ومتعدية النفع من جهة أخرى، وبين طويلة الأثر وقصيرة الأثر العاجلة،... الخ مطلوب لإحداث التنوع الطارد للملل والمستهدِف لحقول الأجر المتنوعة والتاركة للأثر في كل مجال، فالنفس تملّ أحياناً والقلب يتقلب والجسد يحتاج للراحة، والعقل يحتاج للترفيه والمباحات، وإلا تركت النفس الطاعة وأنفتها من كثرة التكرار ولم تعد تشعر بالتجديد والخشوع المطلوب أو التغيير الإيجابي المنشود، وهذا لا يخدم مبدأ الذكاء في العبادة.

وقد جاءت نصوص عدة تشهد لذلك، منها:

- **قول سلمان لأبي الدرداء وصدقه النبي ﷺ: «إِنْ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، ولِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، ولِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ»**[1].

- قول النبي ﷺ لحنظلة بعد أن شكى له ما يجد من قلة منسوب الإيمان بعد معافسة الأهل والأولاد: **«وَلَكِنْ يا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً»**[2].

---

(١) صحيح: صحيح البخاري (١٩٦٨) عن وهب بن عبد الله السوائي.

(٢) صحيح: صحيح مسلم (٢٧٥٠) عن حنظلة بن حذيم الحنفي.

- قول النبي ﷺ: «عَلَيْكُم مِنَ الأعْمالِ ما تُطِيقُونَ، فإنَّ اللهَّ لا يَمَلُّ حتَّى تَمَلُّوا»[1].

- قول النبي ﷺ: «أحب العمال إلى الله أدومها وإن قل»[2].

ومن أمثلة التنوع المطلوب لتحقيق التوازن:

- إن كنتَ ممن تعوَّد الصلاة خلف إمام ما في رمضان، فمن الذكاء ربما التغيير بعد أسبوع ليوم أو يومين فتصلي خلف إمام آخر حتى تشتاق لصوت الأول ولا تمل.

- غيِّر مكان الصلاة في قيام الليل في البيت أحياناً.

- بدل سجادة الصلاة لتشعر بالتغيير وتطرد الملل.

- اسمع القرآن من أصوات قرَّاء مختلفين في الأداء والصوت.

- اقرأ في كتب مختلفة في الفقه، ثم في الإيمانيات والرقائق، ثم في الفكر، ثم التربية، ولا بأس ببعض المباحات كالروايات المفيدة التي تضيف قائمة لغوية لك.

- نية المباحات للتنشُّط للطاعات والعبادات، فتنوي بالترفيه الحلال التنشُّط للعودة للعبادات.

قاعدة الذكاء..

نوِّع خيارات العبادات أحياناً بتغيير المكان أو الزمان أو الأشخاص أو نوع العبادات لتطرد الملل وتنشط على الطاعة.

---

(١) صحيح: البخاري (١٩٧٠)، ومسلم (٧٨٢) عن عائشة.
(٢) صحيح: البخاري (٦٤٦٤) واللفظ له، ومسلم (٢٨١٨) عن عائشة.

الباب
الرابع

الظروف المحيطة

- المحيط القريب (الأهل والأقارب).
- المحيط الأبعـد (المجتمـع).
- الزمـان والمكـان.

الفصل الأول

المحيط القريب (الأهل والأقارب)

اختبر ذكاءك..

- لديك ابنة مريضة تحتاج للرعاية دائماً، أيهما أذكى (أولى وأكثر أجراً) البقاء قربها ودعمها معنوياً أم السفر للدعوة إلى الله وهداية الناس لدين الله من باب علو الهمة؟
- لديك مبلغ فائض من المال، أيهما أذكى أن تعطيه لقريب فقير أم لغريب فقير خوفاً من أن يطلع قريبك على أوضاعك المالية فيُصيبك بالعين والحسد وربما طلب منك المال بعد ذلك؟
- أيهما أذكى أن تُنفق على عيالك وزوجك فتكفيهم سؤال الناس أم تُنفق أموالك في سبيل الله فيُكتب لك أجر عظيم وتَكِلُ أمر عيالك لله لصلاحك فهو سبحانه سيتكفل بهم ولن يُضيِّعهم؟

شرح وتمهيد..

لا نستطيع أن نحلل خيارات الذكاء في العبادة للمرء بمنأى عن المحيط القريب جداً منه كزوجته وأولاده، أو أبيه وأمه إن كانوا أحياء، أو إخوانه وأخواته إن كان يعيش معهم أو قريباً منهم، فهم الدائرة المقربة منه التي يحتك بها ويتعامل معها بشكل يومي، وهم رحِمُه الذين أوجب الله عليه صلتهم وبرهم، وهم رعيته المتكفل برعايتها والإحسان إليها والنفقة عليها، والمسؤول

عنها يوم القيامة. ولذا فخيارات الذكاء في العبادة ستختلف من شخص لآخر بحسب حال أقاربه وطبائعهم، مرضى أم أصحاء، فقيرون أم أغنياء، مغتربون أم مقيمون حوله، وهذه الأمور وإن كانت تمثل أحياناً حالات استثنائية أو خاصة غير أنها تلعب دوراً في اختيارات المرء الذكية.

وقد جاءت نصوص عدة تبين فضل وأجر وأولوية الأقربين والإحسان إليهم على غيرهم[1]، فلو أن كل مسلم اعتنى بالدائرة القريبة منه لما كان بين المسلمين فقير أو محتاج، من تلك النصوص:

- قول النبي ﷺ لأبي طلحة في نيته وقف حائطه (**بستانه**): «**أرى أن تجعلها في الأقربين**»[2].

- قال الله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال ٧٥]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة: ٢١٥]، وقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٨٠].

- قال النبي ﷺ: «**دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ الله، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ**»[3].

- قال النبي ﷺ: «**خيركم خير أهله، وأنا خيركم لأهلي**»، فوصف الخيرية لمن كان خيره لأهله ومن هم تحت كنفه، إذ ليس من الخيرية ولا الأولوية أو الذكاء أن تنفق أموال صدقاتك على الأباعد بينما أختك الفقيرة تستدين المال لسداد قوت يومها.

---

(١) اشتهر عند الناس قول: «**الأقربون أولى بالمعروف**» وهو ليس بحديث غير أن معناه صحيح غالباً.
(٢) صحيح: البخاري (١٤٦١)، مسلم (٩٩٨) عن أنس بن مالك.
(٣) صحيح: صحيح الترمذي (٣٨٩٥)، صحيح ابن ماجه (١٦٢١) عن ابن عباس وعائشة.

إن من مسؤولية المرء أن يكفي أهله المقربين حاجاتهم ومؤونتهم الأساسية كلباسهم ومطعمهم ومشربهم ومسكنهم ودواءهم، وليس شرطاً أن يبني لهم بيتاً أو أن يسدَّ عنهم أقساط سيارة إن كان دخله المالي لا يسمح، بل الحاجات والأساسيات التي يكفيهم بها وما زاد على ذلك فبخ بخ لا سيما إن كان الله قد فتح عليه أبواب الرزق.. ولذا ستختلف ترتيب أولوياتك النافلة من العبادات الجسدية واللسانية وإدارة وقتك بحسب حال الدائرة المقربة منك من الأهل والأقارب.

قواعد الذكاء..

- **بر الوالدين بما يرضي الله** هو من الفرائض الكبرى، فهو أولى وأذكى من النوافل الجسدية والمالية.
- **الأقربون أولى بالنوافل المالية** (كالصدقات والإنفاق في سبيل الله) **وبالعبادات الأخلاقية** (كصلة الرحم والكرم والبشاشة لهم والصفح عن مسيئهم)، يدخل في ذلك الجار لقربه ووصية النبي ﷺ له.

تطبيقات وأمثلة عملية..

- **ربما تنفق على أبويك الفقراء** وربما تسكن معهم في شقة أو عمارة واحدة، سيأخذ هذا جزءاً من يومك ووقتك لخدمتهم والقيام على حاجاتهم، أولويات عباداتك الجسدية والمالية النافلة ستختلف قليلاً بقربك منهم، احتسب في ذلك الأجر واستمتع ببرهم..
- **ربما كان لك ابن أو ابنة مريضة أو من ذوي الاحتياجات الخاصة** تحتاج للرعاية الكاملة، تضطرك للذهاب يومياً أو أسبوعياً إلى المستشفى لمراجعة الطبيب وعمل فحوصات وربما المكث لساعات معها هنالك، أو للمكوث

معها في البيت لرعايتها وتقديم الدعم النفسي.. ترتيب أولوياتك النافلة من العبادات الجسدية واللسانية وإدارة وقتك ستختلف قليلاً.. فستزيد من دعائك وذكرك لله وتصدقك بنية شفاء مريضك، وستمكث طويلاً معها لرعايتها.

- **وربما كان لك أخت أرملة فقيرة:** أولويات عباداتك المالية ستختلف، ستقوم على رعايتها هي وأبنائها، ستنفق على ابنها وتسد أقساطه الجامعية، وستأتيهم بين الفينة والأخرى بمونة البيت وحاجاته.

- إن كنت من الفئة العمرية ما فوق الستين، ففي الأغلب أن أبويك قد انتقلا إلى الدار الآخرة، وأن أبناءك قد تزوجوا واستقلوا، فتقل المسؤولية الملقاة عليك في رعايتهم، وتصبح مسؤولية عباداتك اللازمة عليك في هذا العمر أكثر وأولى من غيرها لتحصل ما استطعت من الحسنات قبل الممات كالصلوات جماعة وقراءة القرآن وصلة الأرحام.. والمتعدية كتعليم الناس وإصلاح ذات البين والأرحام، والخدمات المجتمعية والخيرية، والمحاضرات إن كنت من أهل العلم والدعوة.

- **ربما كنت عقيماً لم ترزق بعد بالذرية،** سيعطيك هذا مساحة وقت لإنجاز العديد من الأعمال اللازمة النفع (**طلب علم، حفظ قرآن**) والمتعدية النفع (**الأعمال الخيرية، الدعوة عموماً وتعليم الناس،... الخ**).

- **لديك فائض مال أو ملبس أو أثاث بيت،** ولديك قريب فقير، هو أولى بإهدائه فائض متاعك.



الفصل الثاني



المحيط الأبعد (المجتمع)

اختبر ذكاءك..

أيهما أذكى (أولى وأكثر أجراً): دفع مال الصدقة لفقراء في بلد غني أم بلد فقير؟

إذا كنت تعيش في بلد غير إسلامي فأيهما أذكى: الاختلاط بغير المسلمين لدعوتهم للإسلام فربما أسلم على يديك منهم أم الاهتمام بالنفس لثباتها وبعدها عن الزلل؟

أي الأعمال أذكى (أولى) عند الكوارث والحروب: الأعمال الاستراتيجية لتقليل الأضرار على المدى البعيد أم الفورية التي تقلل الأضرار الحاصلة عند حدوثها؟

شرح وتمهيد..

ونعني بالمحيط الأبعد المحيط العام الذي يعيش فيه المرء بما في ذلك:

البلد الذي يعيش فيه: إسلامي أم أجنبي؟ عربي أم لا؟

ثقافة أهله: التوجه العام لأهله، مستوى تعليمهم؟ عاداتهم وتقاليدهم؟ اهتماماتهم؟ المستوى التقني؟

- **دينهم**: منفتح أم محافظ؟ المسلمون فيه قلة وشعائر الإسلام **ليست منتشرة أم لا**؟ الناس متدينون بطبعهم أم خليط من أديان أو مذاهب أو طوائف؟
- **الحالة الاقتصادية العامة**: بلد غني كالخليج العربي أم فقير أم متوسط؟ رخاء أم تقشف؟
- **الحالة الأمنية العامة**: حرب أم سلم؟ الناس فيه آمنون على أرواحهم وما لهم أم تكثر فيه الجرائم كالقتل والسرقة والاغتصاب...الخ؟
- **الطقس العام**: حار كالخليج العربي أم بارد كأوروبا؟ على خط الاستواء أم معتدل؟

كل ذلك يلعب بشكل عام دوراً في اختيارات أذكى العبادات، فالأولويات في أوقات الشدة والفتن تختلف عن أوقات الرخاء، والعيش في بلد إسلامي تقام فيه الصلوات ومظاهر الإسلام يختلف عن بلد أجنبي، ... وهكذا.

قواعد الذكاء..

١- **عند الكوارث العامة**: (كالحروب والمجاعات والفقر والأوبئة) تزيد الحاجة إلى العبادات المجتمعية المتعدية النفع من نوع المهم العاجل الفوري (وليس الاستراتيجي) سواء كانت جسدية أو مالية (كمساعدة الناس وتطبيبهم ونقلهم وتوزيع الطعام والأدوية وحمايتهم في الملاجئ وإنقاذ شريدهم أو المتضرر منهم ... الخ)

٢- **عند العيش في جو غير إسلامي**، فالأولوية تحصين القلب والإيمان بالعبادات القلبية واللسانية اللازمة النفع والقاصرة والتحصن بالجالية

الإسلامية لاحتواء النفس من الشرود والذوبان في المجتمع الغير مسلم، أما إن كان في النفس إيمان راسخ وعلم فالعبادات المتعدية النفع من تعليم ودعوة أذكى وأولى.

٣- **بعض الأحداث في بلاد إسلامية أخرى** (كالفقر أو الحرب أو مشاريع التنصير) تستلزم التضحية بترك بعض النوافل لمصلحة المسلمين في البلاد الأخرى.

٤- **عند الفتن**[1]: الذكاء في عدم الخوض فيها واعتزال الناس.

تطبيقات وأمثلة عملية..

- في بلد غني كدول الخليج العربي حيث الرخاء المادي عموماً في نمط الحياة، ويعيش أفراده في أمان وتقوم حكوماته على معونة المواطنين والمحتاجين عبر منظمات رسمية تتبع للدولة، تختلف أولويات العمل الخيري المتعدي النفع عن تلك الدول الفقيرة التي يكثر فيها الفقراء وتقل معونات الدولة لهم .. فإن كنت تعيش في بلد فقير، فأولويات العمل المتعدي النفع في جمع الصدقات والفقراء للمحتاجين ومساعدة الأرامل والمطلقات، وفقراء هذه الدول الفقيرة أولى وأشد حاجة من فقراء الدول الغنية.

- في دول فقيرة كإفريقيا وبعض دول شرق آسيا لا سيما في القرى، تكون الأعمال الخيرية كحفر الآبار وبناء المستشفيات والمدارس والمساجد للناس أولى من غيرها من الأعمال لحاجة الناس العاجلة لهذه الأعمال.

(١) تختلف الفتن التي يختلط فيها الحق بالباطل عن الحق الواضح الجلي الذي يجب فيه تبيان الحق للناس.

- أولويات من يعيش في بلد يقع تحت طائلة حرب تكبد الناس فيها خسائر في الأرواح والمال والمساكن هي العمل المتعدي النفع الذي يضمن بالأولوية سلامة أرواح الناس بمساعدتهم بالملاجئ أو تقديم الأدوية والعلاجات اللازمة أو المال لذلك، ثم تأمين الغذاء والطعام لهم والمسكن الآمن.. ربما لا يأمن الناس على أنفسهم الخروج للصلاة في المساجد فيصلون جماعة في بيوتهم ما أمكن أو فرادى..

- في دول أوروبا، حيث المسلمون قلة، ويجتمع بعضهم في جاليات، فالأولويات هي في الأعمال المتعدية النفع التي تجمعهم وتوجد لهم مسجداً جامعاً ومركزاً إسلامياً يجمعهم ويبقي أبناءهم في روابط عربية وإسلامية.. صدقاتهم وإنفاقهم في سبيل الله ينبغي أن تكون في سداد مصاريف المركز الإسلامي في قريتهم أو مدينتهم، وفي نشاطات ترفيهية للأبناء والحفاظ على الهوية واللغة والدين، ومن كان منهم طالباً للعلم أو إماماً فعليه مسؤولية تعليمهم والتيسير عليهم.

- بناء الأفكار والرجال أذكى وأولى من بناء الأحجار، الإنفاق على إعداد طلبة علم ودعاة وخطباء ومراكز بحث أولى من الإنفاق على بناء مساجد فخمة بزينة وتكلفة عالية.



الفصل الثالث



الزمان والمكان

اختبر ذكاءك..

- **أيهما أذكى (أولى وأكثر أجراً) في وقت الحروب**: إطعام الناس الطعام ومساعدتهم أم التفرغ للورد اليومي وقراءة أجزاء من القرآن والدعوة إلى الله؟

- **أيهما أذكى وأولى في أزمنة الفتن**: التصدي للفتنة ومحاربتها أم السلامة والبعد عنها متمثلاً قول النبي ﷺ: «**فعليك نفسك وليسعك بيتك**»؟

- **أيهما أذكى**: الدعوة إلى الله في المساجد أم عبر وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي؟

شرح وتمهيد..

تختلف الأولويات بحسب الزمان العام الذي يعيش فيه المرء، والمكان العام (**الدولة أو القطر أو القارة**) وما فيهما من خصائص وأحوال مشتركة بين جميع الناس فيها، لا سيما إن كانت سمة ذاك الزمان أو المكان الفتن أو الحروب الطويلة أو الرخاء العام أو تقدم التكنولوجيا -لا سيما إن كان العالم مفتوحاً على بعضه كزماننا تنتقل الأخبار والأحداث في ثوانٍ مع وسائل التواصل والتقنيات الحالية- وفي الغالب أن أحوال الزمان العام وخصائصه تمتد لفترة

طويلة وتتغير ببطء، فهي ليست حدثاً عابراً كزلزال أو حرب قصيرة أو وباء انتشر شهوراً، بل تمتد خصائص الزمان والمكان لسنوات وعقود قد يعاصرها أكثر من جيل في وقت واحد.

ولهذا شواهد عدة من نصوص القرآن والسنة والسيرة:

- كان زمن النبي ﷺ زمن فقر وفتن أول الدعوة، لذا قال الله: «**لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل**»، فأولويات وفضل العمل قبل الفتح تختلف عما بعد الفتح.

- قال النبي ﷺ: «**إِنَّ خَيْرَكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»[1] لأن تحديات وأولويات وصعوبة الإسلام في القرن الأول تختلف عما بعده، لذا كان فضل من تمسكوا بالإسلام ذاك الزمن أفضل من غيره.

- مكث النبي ﷺ في مكة ثلاث عشرة سنة، كانت أولويات الدعوة والعمل والتشريع وتوجيهات النبي ﷺ لأصحابه واستراتيجيته تختلف عن المرحلة المدنية.

قواعد الذكاء..

١ - **في أزمنة الكوارث العامة الطويلة:** (كالحروب والمجاعات والفقر والأوبئة) فالذكاء في العبادات المجتمعية المتعدية النفع.

(١) صحيح: صحيح مسلم (٢٥٣٥) عن عمران بن حصين.

٢- **في أزمنة الفتن**: فالذكاء في الاعتصام بالعبادات اللازمة إن كان الإيمان ليناً، والجمع بين اللازمة والمتعدية لمن كان إيمانه راسخاً.

٣- **من الذكاء التخصص والتركيز في حقل من حقول العبادات المتعدية النفع** فالدعوة لها فرسانها، والعمل الإغاثي له ناسه.. وهكذا.

تطبيقات وأمثلة عملية..

- **الأولويات في زمن الحروب الطويلة والمجاعات والكوارث للعبادات متعدية النفع القصيرة الأثر والطويلة الأثر** لتقليل الأضرار المترتبة في الحال وفي المستقبل، ومن هذه الأعمال إعانة وإغاثة الناس وتقديم العون لمتضررهم، وتقديم التمريض والأدوية لمريضهم، وإطعام جائعهم، وسداد حاجة محتاجهم، ومواساة من فقد قريباً له. وفي حق طائفة أخرى فالوحدة وجهاد المحتلين أولوية إذا احتل عدو بلداً من بلاد المسلمين.

- **وفي أزمنة فتن الشهوات حيث تنتشر النساء المتبرجات**، فالذكاء الإكثار من عبادة غض البصر وقراءة القرآن وسؤال الله الثبات.

- **في أزمنة انتشار المنكرات الأخلاقية أو الاجتماعية**، فالأمر بالمعروف بمعروف والنهي عن المنكر بالتي هي أحسن من الأولويات، سواء كان ذلك باللسان أو بالقلم أو بالصحافة أو بوسائل التواصل أو الإعلام، بما لا يزيد الأمر سوءاً وبما لا يُسيء إلى أحد بعينه، مر بالمعروف وانه عن المنكر بذكاء.

- **وعند انتشار فتن المال كالفساد المالي والرشاوى**، فالذكاء في الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر ومحاربة الفساد بالتي هي أحسن، والثبات على القيم والمبدأ.

- **وفي فتن الشبهات كموجات الإلحاد** التي تنتشر بين الفينة والأخرى، فالأولوية إن كنت من أصحاب الإيمان والعلم والفكر الراسخ هو في مقارعة الإلحاد وحججه والرد عليه ووقاية أبناء المسلمين فكرياً بكل الوسائل المتاحة كالكتب والإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي، وإن لم تكن من أصحاب العلم والفكر الراسخ أو كان في إيمانك ليناً فعليك بنفسك وليسعك بيتك ولتفر من الفتنة فرارك من الأسد حفاظاً على ما تبقى من دينك وعليك الاحتماء بأهل الخير والصحبة الصالحة.
- **وفي فتن الملاحم والقتال بين أهل الإسلام**، فالأولى والذكاء أن تغلق على نفسك بابك وليسعك بيتك، ولتعتزل الناس كما وصى النبي ﷺ.
- **الزواج للشاب غير المتزوج أولى من الحج** في هذا الزمن حيث تكثر فتن النساء إذا لم يكن يستطيع فعل الاثنين.
- **العيش في مكان ذي طقس حارٍّ جداً** كالخليج في الصيف أو على خط الاستواء، يحد أحياناً من الأعمال الخيرية التي يتطلب عملها مكوثاً خارج الأماكن المغلقة في فترة الظهيرة.
- **وفي الفتاوى تتغير أولويات تيسيرها من تشديدها**، قال علماؤنا: إذا ضاق الأمر اتسع، وإذا اتسع الأمر ضاق، ومعناها إذا ظهر زمان فيه مشقة وفتن فضاقت الأمر على الناس وصارت الأحكام الأصلية مرهقة

ومحرجة للناس اتسعت الفتوى وسلك العلماء طريق التيسير على الناس والرخصة، فإذا انفرجت الضرورة عاد الأمر إلى ما كان عليه.

- **إرسال أموال زكاتك أو صدقاتك لتلك البلاد الإسلامية المنكوبة من** الحروب أو الفقر أولى وأذكى من جعلها في فقراء دول غنية فيها جمعيات كافية ويعيش فقراؤها بمستوى أغنياء تلك الدول الفقيرة.

- **إيواء الشريد وإطعام الجائع وكسوة العاري وإسكات طفل يصرخ من الجوع**، وإنقاذ حياة طفل من الكوليرا في دول إفريقية فقيرة، وإشباع بطون التصق جلدها بعظمها من الجوع أذكى وأولى وأكثر أجراً من حجك للمرة الخامسة أو العاشرة كل سنة، أرسل أموالك التي كنت ستحج بها لأولئك الفقراء الذين لا يجدون كسرة خبز، وسيكتب الله لك بكرمه أجر الحج لنيتك.

- **في أزمنة الجهل وانتشار المتعالمين والجهال الذين يفتون الناس بغير علم،** يُصبح من الذكاء والأولوية نشر العلم والدعوة إلى الله والعقيدة الصحيحة للناس وانتشالهم من الجهل والغوص فيه.





المراقبة والمتابعة

- قياس مؤشرات قبول العبادات
- قياس العبادات بالمقارن الأفضل
- إدارة الوقت وتنظيم العبادة

قياس مؤشرات قبول العبادات (KPIs العبادات)

اختبر ذكاءك..

كيف تعلم أن الله قبل منك عبادتك كصلاة أو صيام أو صدقة؟

هل أثر العبادات علينا ملموس محسوس يمكن قياسه؟

ما هي المؤشرات على أنك تسير في الطريق الصحيح في علاقتك مع الله عموماً بحيث لو جاءك الموت كنت جاهزاً للقاء الله فقلت: مرحباً بلقاء الله؟

شرح وتمهيد..

في علم الإدارة، كثيراً ما نستخدم قياس مؤشرات الأداء KPI (Key Performance Indicators) لمعرفة إذا ما كنا نسير في الطريق الصحيح بالمقارنة لما وضعناه من أهداف وخطط واستراتيجيات، تُطبق مؤشرات الأداء على أداء الفرد (**الموظف**) وأداء الشركة (**المنظمات عموماً**) وأقسامها وعملياتها (Operations) وخططها التنفيذية.

وقياس الأداء يكون غالباً بأمور محسوسة قابلة للقياس، فنستطيع مثلاً قياس جودة دراسة طالب بتحصيله النهائي ودرجاته.. ونستطيع قياس أداء موظف مبيعات مثلاً بمراقبة مبيعاته الشهرية أو السنوية وعدد الفواتير التي أخرجها وحصَّلها وعدد الشكاوى التي جاءت من العملاء ضده.. ونستطيع قياس أداء مدير قسم شؤون الموظفين بعدد الاستقالات الشهرية أو السنوية،

واستبانة رضا الموظفين والمتعاملين، وغيرها.. كل هذه مجرد أمثلة يتم تطبيقها في علم الإدارة في الشركات والمؤسسات والوزارات والمنظمات عموماً.

بالقياس على تطبيق مؤشرات الأداء على الفرد، هل يمكننا تطبيق هذا المبدأ على عباداتنا؟

هل يمكن للفرد معرفة إذا ما كان يسير في الاتجاه الصحيح في علاقته مع الله؟ في مستوى إيمانه؟ في أدائه للعبادات؟ في رضا الله عنه؟ في معرفة إذا قُبلت عبادته من الله أم لا؟

هل أثر العبادات علينا ملموس محسوس يمكن قياسه؟

إذا كانت الدنيا مهمة لدرجة أننا نُقيِّم أداءنا الأسبوعي أو الشهري أو السنوي فيها ليكون حالنا فيها أفضل، أفلا تكون عباداتنا ومصيرنا الأبدي ووقوفنا بين يدي الله وجنة نبني بيوتنا فيها بأعمالنا أحق أن نُقيِّم سيرنا ونراقب أداءنا فيها لنفوز بالجائزة الكبرى الجنة ورضوان الله؟

إن مؤشرات الأداء في الدنيا يتم تقييمها عبر أناس يراقبون الأداء كمدير أو قائد أو جهة رقابية، غير أن العبادات في مجملها هي بينك وبين الله، فلا يطلع على قلبك ولا يعلم حقيقة ما به إلا الله ثم أنت، وليس هناك رقيب عليك من البشر يتابع عباداتك فكلٌّ مشغول بنفسه، إلا ما كان ظاهراً للناس عارضاً كحديث المسيء في صلاته الذي رأى النبي ﷺ إساءته في إتيان أركان الصلاة وفرائضها فأمره بإعادتها..

فإن كان الأمر كذلك، فكيف يقيس المرء مؤشرات أدائه للطاعة والعبادات عموماً؟

هل الإجابة في إتيان الطاعة على أتم وجهها؟

إن هنالك فرقاً بين أداء العبادة وإنجازها من جهة وبين لذة العبادة وأثر الطاعة من جهة أخرى، فأداء الطاعة يكون بإتيان أركانها وشروطها وفرائضها وسننها وإعطاء كل ذلك حقه على أتم وجه كما في فعل الصلاة مثلاً، فإن الإنسان يُسقط الفرض بصلاته أو صيامه رمضان أو بدفعه الزكاة، لكن يبقى السؤال: هل تقبلها الله وكتب لها الأجر؟ هل أحدثت أثراً وتغييراً إيجابياً في صاحبها؟ كيف سنتمكن من قياس أداء الفرد في الطاعة وقد أخفى الله الأجور فهو سبحانه الوحيد المطلع على ما في الصدور؟

لقد ذكرت لنا السنة نماذج من أولئك الذين أحسنوا أداء العبادات غير أنها كانت مجرد طقوس لم تترك أثراً في قلوبهم ولم تغير سلوكهم.

- قال النبي ﷺ: «**مَن لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ والعَمَلَ به، فليسَ للهِ حَاجَةٌ في أنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وشَرَابَهُ**» [البخاري ١٩٠٣].
- ولما قيل للنبي: «**فلانةٌ تصومُ النَّهارَ وتقومُ اللَّيلَ وتُؤذي جيرانَها، قال: هي في النَّارِ**» [مسند أحمد ٩٦٧٥].
- وقال للمسيء في صلاته: (**ارجع فصلِّ فإنك لم تُصلِّ**) [البخاري ٦٢٥١].
- وقال في الصلاة: «**إنَّ الرجلَ لَينصرفُ وما كُتبَ له إلا عُشرُ صلاتِه، تسعُها، ثمنُها، سُبعُها، سُدسُها، خُمسُها، رُبعُها، ثُلثُها، نصفُها**» [صحيح أبي داود ٧٩٦].

إذن فنحن نريد قياس أثر الطاعة وليس فقط أداءها؟ كيف يمكن قياس ذلك؟

هل الإجابة إذن في الإيمان؟

إن الإيمان هو حالة قلبية ينتشي بها القلب لذة الطاعة والإقبال على الله الذي كان بعمل الجوارح واللسان، لكن من تحديات قياس الإيمان أنه ليس شيئاً مادياً نستطيع قياسه، وأنه يزيد وينقص ولا يثبت على حال، وقد أثبت الله هذا المبدأ في القرآن ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١]، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [التوبة: ١٢٥]، ولقول النبي ﷺ: «**والله لو تكونون على ما تكونون عندي لصافحتكم الملائكة في الطرقات، ولكن ساعة وساعة**»[1]، وقد فاضت أقوال الصحابة والتابعين والعلماء بهذا.. إذن فكيف تقيس وتراقب شيئاً لا تراه بالعين ولا تستطيع قياسه برقم أو تحليل مادي كفحص هرمون السعادة في الدم مثلاً، وفوق هذا يزيد وينقص؟ الأمر صعب نوعاً ما، غير أننا سنحاول..

هل هو ما أخبر عنه علماؤنا من علامات قبول الطاعة؟

لقد أخبر أهل العلم والعارفون بالله أن ثمة علامات لقبول الطاعة كالتوفيق إلى أعمال صالحة بعدها، فالذي يتذوق حلاوة الطاعة يكون حريصاً على المحافظة عليها ويوفقه الله لها، وكانشراح الصدر وحب الطاعة وكره المعصية والنفور منها، والرجاء وكثرة الدعاء والاستغفار، والخوف من عدم قبول الله للطاعة.. وسيكون أعلم الناس بهذه الأمارات والعلامات صاحبها..

فهل هذه العلامات كافية لقياس أثر الطاعة؟

الإجابة بعد التأمل هي..

بعد تأمل وصلتُ إلى نتيجة أن أهم هدف للإسلام هو تحقيق التقوى، وهو ما يريده الله تعالى من كل العبادات حتى من التوحيد ذاته كما بينَّا سابقاً،

(١) صحيح: صحيح مسلم (٢٧٥٠) عن حنظلة بن حذيم.

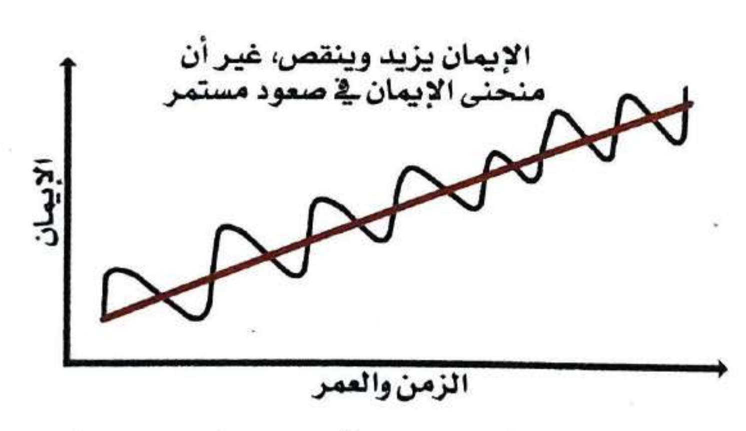
وهو ما يريده الله من كل عباده ومن كل الأمم السابقة، لذا -عندي- سيكون مؤشر جودة الأداء في العبادة هو **مؤشر تحقيق التقوى**..

ولكن يبقى السؤال قائماً: ما هو التقوى وهل يمكن قياسه؟ هل يمكن لمسه في الواقع؟

كيف نعرف أننا نحقق التقوى ونسير على الطريق الصحيح؟

الإجابة: لا بد من ذلك، إذ لم يتركنا الله هملاً دون أن يعطينا المؤشرات على ذلك في القرآن وفي سنة رسوله ﷺ.

إن التقوى مرتبط بالإيمان ارتباطاً وثيقاً، وإن الإيمان يزيد وينقص نعم، ويمر بالمرء لحظات فتور في الطاعة والإقبال عليها، فهو في صعود ونزول.. لكن ينبغي أن يكون منحنى الإيمان في المجمل في صعود ولو كان في بعض لحظاته في هبوط فهذا أمر طبيعي لأنه يزيد وينقص (انظر المنحنى أدناه).



وحتى يحدث ذلك فهناك تغيير في أمرين: القلب والجوارح.. فالقلب أكثر تعلقاً ومراقبة وخشية وورعاً لله، يحب الطاعة بالمجمل ويأنس بها، ويكره الذنب أو يستغفر منه إذا فعله، وهو أكثر تحريكاً للجوارح على فعل الطاعات وإتيان النوافل عموماً كما ذكرنا، فتجد صاحبه يكثر من النوافل

اللسانية كالأذكار والاستغفار والدعوة، والجسدية كنوافل الصلوات والصيام والعمرة ومساعدة الناس، والمالية فترى له جدولاً شهرياً من الصدقات ومساعدة الأرامل أو اليتامى.. الحسنة عنده تجلب الحسنة..

ولو قارنت حال عباداته قبل سنة من الآن لوجدت تغييراً إيجابياً بالمحصلة..

كان لا يصلي الوتر صار يصلي الوتر، كان لا يتصدق صار له صدقة،

كان يسب ويشتم فترك ذلك، كان له صحبة سوء فصار يحب مجالسة الأخيار.

لو عرضت عليه رشوة لتمعر وجهه، تغير حاله..

وكلما زادت عباداته كمّاً وجودة فهي علامة قبول وتوفيق.. ويأتي هنا ما ذكره علماؤنا من علامات قبول الطاعة ليزيد تأكيد الأمر على مستوى كل عبادة وطاعة، لكن لا يمكن الاعتماد كلية على ذلك لأن المرء قد يمر بلحظات أخرى من أمور الدنيا تعكر صفو نقائه وقلبه، غير أنه بالمجمل راضٍ رضيّ..

لقد ذكر القرآن والسنة نماذج لمثل هذه المعايير والعلامات على قبول الله لطاعات صاحبها، منها:

- قول الله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].
- وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد: ١٧].
- وقول تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء ١٠٩].
- قول النبي ﷺ في الرجل يعمل العمل من الخير فيحمده الناس عليه: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ»[1].

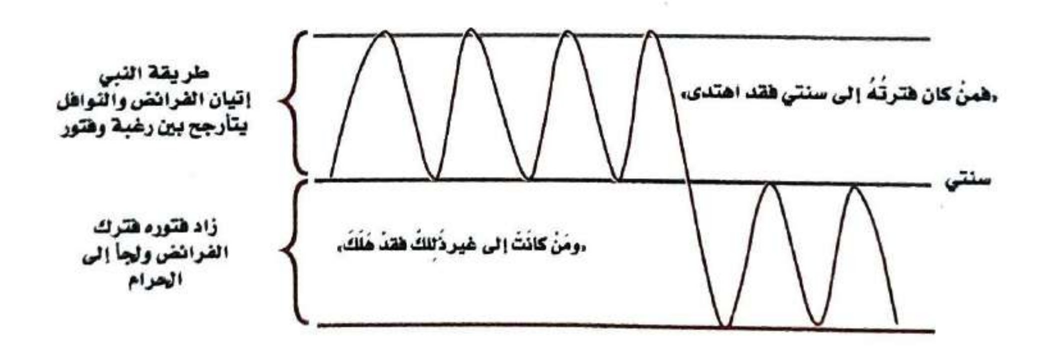
(١) صحيح: صحيح مسلم (٢٦٤٢) عن أبي ذر

- ومن عاجل بشرى المؤمن كذلك «**الرؤيا الصالحة يراها المرء أو تُرى له**»

- ومنها أن «**يُوضَع لَهُ الْقَبُول فِي الْأَرْض**»[1] هو دليل حب الله للعبد ولعمله وتقبله له.

- ومنها أن يتذوق لذة الطاعة وحلاوة الإيمان وقرب القلب وإقباله على خالقه فيطلب ذلك مرات ومرات.

ومن معايير التقوى في الحياة بالمجمل، ما ذكره النبي من أن أحدنا قد يعرض للحظات إقبال وفتور في الطاعة، قال النبي: « إِنَّ لِكُلِّ عملٍ شِرَّةً (**رغبة وإقبال وحماسة**)، ولِكُلِّ شِرَّةٍ فترةٌ (**ضعف ووهن**)، فمنْ كان فترَتُهُ إلى سنتي فقدِ اهتدى، ومَنْ كانَتْ إلى غيرِ ذَلِكَ فقدْ هَلَكَ»[2]، ليس شرطاً أن تأتي النوافل كلها في لحظات الفتور لكن الحد الأدنى منها وألا تضيع الفرائض، وهذا المقصود بـ (سنتي) أي طريقتي ومنهجي العام، ومن المهم ألا يصل المرء في لحظات فتوره بتعدِّي الأمر بترك الفرائض أو فعل الحرام باستمرار، فبهذا يكون قد ضل وهلك.. يوضح الشكل التالي صورة تقريبية لحديث النبي ﷺ.



---

(١) من حديث رواه البخاري (٣٢٠٩) ومسلم (٢٦٣٧) عن أبي هريرة، وليس الانتشار الإعلامي دائماً علامة قبول في الأرض، فانتبه لذلك.

(٢) صحيح: صحيح الجامع (٢١٥٢)، مسند أحمد (٦٩٥٨) عن عبد الله بن عمرو

قواعد الذكاء..

- الاهتمام بأعمال القلب وعباداته، فهي أكبر وسيلة لتحقيق التقوى وقبول العمل.
- الإكثار من النوافل والمواظبة عليها، قليل دائم خير من كثير منقطع.

أمثلة وتطبيقات عملية..

- كنت تأتي معصية ما قبل رمضان قد ألفتها نفسك، هل تركتها بعد رمضان لله؟ هل أنفتها نفسك فكرهتها؟ ذاك من علامات قبول الصيام.
- كنت لا تقرأ القرآن إلا نادراً قبل رمضان، فإذا بك بعد رمضان قد صار لك ورد من القرآن تواظب عليه وتجاهد نفسك على إتيانه.. ذاك من علامات قبول الصيام.
- مرَّ المسلمون بمحنة ما (حرب أو اعتداء من عدو)، فكان لك دور في إنقاذ الناس ومساعدتهم، فأصبح ذلك ديدناً لك ومنهاجاً في حياتك، تحب مساعدة المحتاج والفقير وصاحب الحاجة وتتوق نفسك لذاك الأجر.. هذا بإذن الله من علامات القبول.
- ذهبت امرأة للحج ولم تكن محجبة، فأخذت قراراً في الحج ألا تخلع الحجاب وعادت من الحج محجبة أبداً .. هذا من علامات القبول.
- لم تكن تصلي الوتر كل ليلة، فصرت تصلي الوتر كل ليلة قبل أن تنام.. هذا من التوفيق الرباني لك.
- كنت مواظباً على الوتر كل ليلة، ففكرت لم لا أزيد الأجر بأن أواظب

على ركعتي الضحى كل يوم، فأخذت تصلي الضحى كل يوم .. هذا من علامات زيادة الإيمان بزيادة العمل من النافلة.

- عرض عليك أحدهم رشوة في العمل كانت ستسد ديونك، فتركت ذلك وغضبت لله خشية منه سبحانه، هذا من علامات التوفيق والإيمان في القلب الحي.

- لم يكن في جدولك الأسبوعي إطعام فقير أو مسكين أو إنفاق صدقة، فصار ديدناً لك تتصدق كل أسبوع على فقير أو تكفل يتيماً أو تحول مالاً لجمعية خيرية موثوقة.. ذاك من علامات الإيمان.

- ألقيتَ محاضرة في مسجد أو منتدى، وكانت نيتُكَ خالصة لله وأنت أعلم الناس بذلك، فأثنى الناس على محاضرتك وعلى قدر استفادتهم منها وتأثيرها عليهم.. تلك عاجل بشرى المؤمن، أبشر فقد قبلها الله، ولكن فلترجع الفضل لله، ولتُخرِج من قلبك أي كبر أو عجب.

- كنتَ تصلي في الناس إماماً، تقرأ القرآن من قلبك، وتستشعر كلام الرحمن، لا تلتفت إلى كلام الناس وثنائهم، فأثرت تلاوتك في المأمومين وبكى بعضهم من سماع كلام الله بتلاوتك.. أبشر فتلك عاجل بشرى المؤمن، وإياك والعجب.

- لقيتَ فقيراً محتاجاً في طريقك، فأعطيته مما رزقك الله، واستشعرتَ أنك أخرجتَه من ضيق وأن ذلك كان بفضل الله عليك فرقَّ قلبك ودمعت عيناك.. هذا من علامات قبول الله لصدقتك.

- وأنت في خلوتك مع نفسك، تفكرتَ فيما أنعم الله به عليك من الصحة

والمال، وأنه دفع عنك من البلاء ما ابتلى به غيره من عباده، فرق قلبك وخرج تسبيحك لله وحمده له من القلب، ذاك علامة قبول من الله.

- لديك خبيئة سر بين وبين الله لا يعلم أحد آخر بها، كصدقة في خفاء، أو كبناء مسجد لم تحدث أحداً عن مشاركتك فيه، أو كقيام ليل لا يراك فيه أحد، أو كعمرة أو حج، أو كمساعدة شاب في زواجه .. لم تحدث بذلك أحداً أبداً وأبقيت ذلك بينك وبين الله.. هذا من علامات الإخلاص والقبول.

عندما يستوي عندك مدح الناس وثناؤهم لأن قلبك معلق بالله فقط، فذاك من علامات الإيمان.

- لم تكن تصلي الصلوات الخمس جماعة، فأصبحت تحرص ألا تُفوِّت الجماعة في المسجد أو العمل أو البيت لتحصل أجر الجماعة المضاعف.. ذاك من مؤشرات تقدم الإيمان وزيادته.

- كنت مدمناً لقبيح الكلام والسب واللعن، فقرأت القرآن وقررت أنه لا يجتمع في قلبك كلام الله وكلام الشيطان فتركت اللعن والسب والبذاءة وأصبح لسانك مستقيماً وقولك سديداً.. ذاك من مؤشرات قبول تلاوتك.

- من الذكاء في إدارة عباداتك وضع جدول أسبوعي أو شهري بالصلوات جماعة وصيام النافلة والوورد اليومي ... الخ، ومراقبة الأداء اليومي وتقييمه بحيث لو تخطيت نسبة ٨٠٪ من الجدول مثلاً كافأت نفسك بشيء من المباحات تحبه كشراء شيء تحبه أو سفر أو...الخ.

قياس العبادات المُقارِن بالأفضل (Benchmarking العبادات)

اختبر ذكاءك..

- هل الاقتداء بقدوات العصور السابقة من السلف يكون في العلم الشرعي والعبادة فقط أم في كل شيء بما في ذلك السلوك واللباس وطريقة إدارة أوقاتهم وبيوتهم؟
- هل ذكر عبادات أصحاب الهمم من السلف الصالح ممن بلغوا شأواً بعيداً في عباداتهم هو مصدر تحفيز دائماً؟
- أيها أذكى: الاقتداء بالسلف الصالح أم بقدوات عصورنا الحديثة؟

شرح وتمهيد..

تحدثنا في الفصل الماضي عن قياس مؤشر الأداء كمعيار ومقياس، وهناك مقياس آخر في علم الإدارة تستخدمه الشركات لتقارن أداءها بأداء المنافسين أو الشركات الكبرى يسمى بـ القياس المُقارِن بالأفضل (Benchmark).

ونسأل السؤال نفسه: هل وضع الله لنا نماذج أقرب للكمال والمثالية نقيس عليها أداءنا للعبادات ونقارنه بها؟

الإجابة: بالطبع، وهذا مطلب بشري مؤكد، ولذا بعث الله الرسل بشراً

ولم يبعثهم ملائكة ليكونوا قدوة للناس. إذن فالرسل والأنبياء والصالحون والربانيون هم قدوات عموماً يُقتدى بهم في عباداتهم عموماً لا سيما من مات منهم ثابتاً على طاعته لربه لم يُفتن أو يحد عن الدرب.

ولكن.. ثَمَّ أمر مهم هنا ينبغي أن يُطرح، هو أنه ليس كل الناس يستطيعون الاقتداء بهؤلاء القدوات الذين بلغوا شأواً بعيداً في عباداتهم، فتجد أحدهم يقوم الليل كله أو يصوم يوماً ويفطر يوماً، أو يعكف على قراءة القرآن فيقرأه كل ثلاثة أيام، أو يختم القرآن في ليلة أثناء قيام الليل، أو غيرها مما فاضت به كتب السلف في علو همة السابقين ليكون ذلك محفزاً للخلف أن يسلكوا ذات الدرب.

إن مفهوم القدوة لا شك مهم جداً في صناعة الجيل وتحفيزه وشحذ همته[1]، غير أنه سلاح ذو حدين، فالمبالغة في وصف حال السابقين أحياناً يورث اليأس والكآبة والمبالغة في جلد الذات للخلف إذا شعر أنه لا يمكنه إدراك حال السابقين من السلف في طاعاتهم وعلو همتهم -هذا إن صح نسبة بعض تلك الروايات أصلاً للسلف وحالهم، فبعض المرويات لا شك في ضعفها ووضعها- وكذلك اختلاف حالهم عن حالنا وطبيعة حياتنا وأوقاتنا وتحصيل أرزاقنا وعلومنا، كل ذلك له دور، فمن السلف من كان يتفرغ لطلب العلم وتعليم الناس ولذا تجد له من قيام الليل وقراءة القرآن ما يعجز عنه مسلم اليوم

(١) أنصح القارئ بكتاب (صلاح الأمة في علو الهمة) للعفَّاني فهو كتاب رائع قيِّمٌ شمل علو همة السابقين والمعاصرين في شتى مجالات العبادات والأخلاق كالإخلاص والصلاة والصيام وطلب العلم والإخبات والورع والكرم والزهد والقضاء والدعوة وقيام الليل وقراءة القرآن والذكر ... وغير ذلك، جاء في ٧ مجلدات.

الذي يذهب لدوامه ووظيفته من الساعة السابعة صباحاً حتى السادسة مساء ثم بالكاد يجلس مع زوجته وأبنائه يقوم على حاجاتهم من تدريس للأولاد أو عمل داخل البيت ليخلد بعد يوم شاقٍّ إلى النوم، فأي قيام ليل ومجالس علم تتوقعها من هذا المسكين.. وقس على ذلك، فالتوازن مطلوب في هذا.

إن من المهم في استراتيجية أي شركة تريد تطوير أدائها فتلجأ لمقارنة نفسها بكبرى الشركات أن تكون المقارنة عادلة بما تملك من إمكانيات وموارد، كذلك الأمر في القياس المقارن بالأفضل بالنسبة للعبادات، فاختلاف القدرات والطاقات والأوقات ومتطلبات الزمان تُحتِّم علينا أن نعيد النظر في المقارنة بقدوات العصور السابقة وبأي شيء نقتدي بالتحديد.

قواعد الذكاء في الاقتداء..

- لا يُقتدى بالقدوات في كل جانب إلا ما برعوا وتميزوا فيه، أما في غيره فهم بشر يصيبون ويخطئون، والذكاء البحث عن المجال الذي برع فيه كل قدوة فنقتدي به.

- قدوات عصرك - لا سيما من مات منهم ثابتاً - قد يكونون أقرب للمثال الحيِّ الذي يُقتدى به من قدوات السلف، إذ لكل زمان أحواله وخصوصياته.

- كل ما يندرج تحت معنى العبادة يمكن أن يُقتدى به حتى لو كان في أمر دنيوي إذا نوى به صاحبه العبادة.

- من كان مقتدياً فليقتدِ بميت (ممن ثبت على الحق ولو كان من المعاصرين)، فإن الحي لا تُؤمن فتنته.

أمثلة وتطبيقات..

- أن تجد طبيباً لديه عيادة ومرضى وبرنامج، ولديه في الوقت نفسه من العلوم الشرعية والفيزيائية والفلسفية ما يقارع بها الملحدين ويبطل حججهم ويُثبت أبناء المسلمين على توحيدهم، له العديد من الكتب والمؤلفات التي تثبت بالعقل والعلم وجود الله وترد شبه الملحدين وطرائقهم.. هذا قدوة معاصرة في العبادة.

- أن يكون طبيب غير عربي حافظ للكتب السماوية وغيرها بأرقام الفصول والآيات، يقارع حجج غير المسلمين ويحضر محاضراته مئات الألوف ويسلم على يديه الألوف من الناس، فهو قدوة.

- دكتور في اللغة العربية من الدعاة المشاهير يحبه الناس ويقبلون على مواعظه وكلامه ويضع الله لكلامه القبول بين الناس بكلامه المبسط الحاني وتواضعه وإخلاصه، فذاك قدوة.

- أن تجد شاباً يلبس لباس الشباب ويحتك بهم ويفهم لغتهم واحتياجاتهم وسلوكهم، ويكون له برامج دعوية يقبل عليها الناس ويؤثر في فئة الشباب فيصحح سلوكهم ويهدي بإذن الله ضالهم، فهذا قدوة.

- وأن تجد من أطباء الأسنان من لديه عيادة وبرنامج مرضى وهو في الوقت نفسه أديب باحث في مختلف العلوم الشرعية، صاحب قلم سيال وعبارة جزلة وتراكيب أدبية رائعة، تبلغ كتبه الآفاق فهذا قدوة.

- وأن يكون من أمتنا من نذر حياته للمكث في إفريقيا يدعو أهلها للإسلام

ويفتتح المراكز الإسلامية والمساجد ويحفر الآبار فيسلم على يديه الألوف، فهذا قدوة.

- لدينا من القدوات المعاصرة من نذر حياته لبناء المساجد في أفريقيا وآسيا حيث تشح المساجد هناك ويحتاجها أهل القرى المسلمة، يسافر كثيراً هناك ويجمع الصدقات من المحسنين عبر الجهات الرسمية.. فهذا قدوة.

- من قدوات عصرنا من ليس ثيابه ثياب الدعاة التقليدي (اللبس العربي)، لكنه وصل إلى قلوب الناس بحسن العبارة وحلاوة الابتسامة وصدق الكلمة وعمق الطرح.. فهذا قدوة.

- من قدوات عصرنا، من تعلم العلوم الإدارية وسخرها مع علومه الشرعية لخدمة الأمة والنهضة بها بشتى الأساليب الفكرية والتدريبية، سادّاً النقص الذي لم يسده علماء الشريعة في العلوم الدنيوية، فكان طرحاً جديداً مقنعاً عملياً.. فهذا قدوة.

ليس كل قدوة يُقتدى بها في كل شيء، فقد يكون عالم متمكن في الفقه والحديث غير أن له آراءً في الفكر نشازاً لا تنمُّ عن فهم جيد للواقع، وقد يكون داعية مؤثراً غير أنه لا يُحسن إدارته أمور بيته وأسرته، وقد يكون قارئاً للقرآن أوتي من مزامير داوود لكن ليس له باع في الفقه أو الاقتصاد الإسلامي أو الفكر أو السياسة، فلا يُؤخذ منه غير سماع القرآن بصوته... وغير ذلك، فكلٌّ يُقتدى به فيما يُحسن فقط[1].

(١) لو عقل الناس هذا المبدأ لما صُدم كثيرون بمواقف بعض قدواتهم من العلماء أو الدعاة أو القراء في مواقف مرت بها الأمة لم تناسب آراؤهم بعض الجماهير فحكموا عليهم بالسقوط في الفتن.

- قراءة سير الصالحين وأصحاب الهمم من السلف يرفع الهمم ويشحذها شحذاً تتوق النفس لأن تصل لما وصلوه، لكن التوازن في ذكر ذلك مهم كما أسلفنا.

- تميز كل من أصحاب النبي ﷺ بمهارات ومجالات أبدع كل واحد منهم في تخصصه ومجاله فكانوا قدوات يُقاس عليها:

  - **ففي الجهاد والقتال**: تميز خالد والقعقاع والمثنى وأبو دجانة.
  - **وفي الأدب والشعر والإعلام**: تميز حسان بن ثابت وعبد الله وابن رواحة وكعب بن مالك.
  - **وفي العلم والفقه والتفسير**: تميز ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وعائشة ومعاذ بن جبل.
  - **وفي الحديث وروايته**: تميز أبو هريرة وعائشة وأنس
  - **وفي القضاء**: تميز علي وعمر.
  - **وفي الإدارة**: تميز أبو بكر وعمر وعمرو بن العاص.
  - **وفي التفاوض**: تميز أبو عبيدة وعثمان وعمرو بن العاص.



إدارة الوقت وتنظيم العبادة

شرح وتمهيد..

كثير من الناس يؤدي العبادة ليسقط فرضاً ينتهي منه، أو ليؤدي واجباً يحرر عقله من التفكير به.. غير أن المؤمنين بحق يأخذون الطاعة بمنحنى آخر مختلف تماماً، إنهم يُقبلون عليها ليتلذذوا بها ويستمتعوا بتلك الدقائق التي يقضونها مع الله أو مع عباده بعباداتهم المتعدية، هي ملجأهم عندما يكتئبون أو تضغطهم مشاكل الحياة ومشاغلها، وهي مفزعهم إذا أقبلت المصائب.

إن من المهم الاستمرارية في أداء العبادات لا سيما النوافل التي توافق الشغف والرغبات والتي قررتَ أن تنمي مهاراتك وقدراتك في المتعدية النفع منها، ولحدوث هذه الاستمرارية لكسب أكبر أجر، قد يعترض طريقك ما يوقف ذلك أو يُبطِّئه أو يمنعه أحياناً مثل: وساوس الشيطان، أو الانشغالات والمسؤوليات، أو حدوث أولويات عاجلة أخرى، أو الملل أحياناً.. وللتغلب على ذلك لا بد من جدول للأوراد والأعمال لاستغلال الوقت بالشكل الأمثل.

وقد جاءت نصوص عدة تبين أهمية الوقت وتنظيمه وإدارة الموارد، منها:

- قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النساء ١٠٣].

- أقسم الله بأوقات مختلفة كالعصر والضحى والليل والفجر، لبيان أهمية الوقت.
- قول النبي ﷺ: «**لن تزولا قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه؟...**» [الترمذي ٢٤١٧].

قاعدة الذكاء..

- إذا كنا نخطط لإدارة أمور دنيانا ومصالحنا فيها، فإن من الأولى التخطيط وإدارة أوقاتنا ومواردنا لحياتنا الأبدية.
- من الذكاء للاستمرارية: التدرج + أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ.

تطبيقات وأمثلة عملية..

- يمكنك ضبط مواعيد شرائك لحاجات البيت من السوق بعد خروجك من البيت لأداء صلاة المغرب جماعة في المسجد مثلاً.
- من الجيد التخطيط للعمرة في كل سنة مرة بتوفير المبلغ الذي تحتاجه لعمل الفيزا والحجوزات.
- من الذكاء اقتطاع مبلغ شهري من الراتب (الدخل) للصدقات أو لكفالة يتيم أو لغيرها من العبادات المالية كما أنك تقتطع جزءاً منه للإيجار وفواتير الكهرباء والماء والأقساط ... الخ.
- استخدام مصفوفة (المهم العاجل) لمعرفة الأعمال التي يجب عملها فوراً من التي يمكن تأجليها، والمهمة من غير المهمة.

- جدولة الأعمال اليومية، والأسبوعية، والشهرية، والسنوية، ومنها الطاعات والعبادات كما بينا ذلك في فصل (**الذكاء في العبادات المطلقة والمقيدة**).

- تختلف ساعات الدوام في رمضان في الشركات في أغلب البلدان العربية، ويحتاج البعض لتعويض الضعف بالراحة والنوم بسبب الصيام وطول ساعاته في الصيف، ترتيب الأوراد وقراءة القرآن وتوزيع ذلك على شهر كامل مع التنويع والتدرج مهم حتى لا يفتر المرء من العبادة في النصف الثاني من رمضان.. شهر لا ينفع تضييع الأجور فيه.



المصادر والمراجع

- علم النفس التعليمي المعاصر، عزت الطويل، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥.
- البداية والنهاية، ابن كثير، مكتبة المعارف بيروت، ١٩٩٠.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، دار ابن حزم، ٢٠٠٤ .
- العبودية، ابن تيمية، تحقيق: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ٢٠٠٥.
- شرح الفصول المهمة في مواريث الأمة، سِبْط المارِديني، دار العاصمة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤.
- أطر العقل: نظريات الذكاءات المتعددة، غاردنر، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ٢٠٠٤.
- الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهانى، دار السلام، القاهرة، ٢٠٠٧
- التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣.
- التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف المناوي، عالم الكتب، ١٩٩٠.
- تأصيل فقه الأولويات دراسة مقاصدية تحليلية، محمد سعيد، دار العلوم، عمان، ٢٠٠٧.
- فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: طارق عوض الله، دار ابن الجوزي،
- خطوات نحو الملك جل جلاله، علاء نعمان، قرطبة للنشر والتوزيع، ٢٠١٧.
- ثلاثيَّات، علاء نعمان، دار الحضارة، ٢٠١٩.
- المفاضلة في العبادات قواعد وتطبيقات، سليمان النجران، مكتبة العبيكان، ٢٠٠٤.
- فقه الأولويات في ظلال مقاصد الشريعة الإسلامية، عبد السلام الكربولي، دار طيبة الدمشقية، ٢٠٠٨.

- أنوار البروق في أنواء الفروق، شهاب الدين القرافي، دار الرسالة، ٢٠٠١.
- الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن قيم الجوزية، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث
- القواعد، المقرى، تحقيق أحمد بن عبد الله بن حميد، جامعة أم القرى.
- الأشباه والنظائر، جلال الدين السيوطي، دار الكتاب العلمية، ١٩٨٣.
- الحسبة في الإسلام، ابن تيمية، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢.
- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، دار العربية، بيروت.
- سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية.
- لطائف المعارف فيما للمواسم من وظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس، دار ابن كثير، ١٩٩٩.
- الفروق اللغوية، الحسن العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري - تحقيق: محب الدين الخطيب - المكتبة السلفية، ١٤٠٠هـ.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج - تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي - دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٤هـ.
- صحيح النسائي، الألباني - مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٩هـ
- صحيح الترمذي، الألباني - تحقيق: زهير الشاويش - مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٨هـ.
- صحيح ابن ماجه، الألباني - مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٧هـ.
- صحيح أبي داود، الألباني - مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٩هـ.
- السلسلة الصحيحة، الألباني - مكتبة المعارف، ١٤١٥ هـ.

- الجامع الصغير، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - دار الكتب العلمية.
- صحيح الأدب المفرد، الألباني - دار الصديق ١٤١٤هـ.
- سنن أبي داود، أبو داود السجستاني - تحقيق: عزت عبيد الدعاس - دار الكتب العلمية، ١٣٨٩هـ.
- سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد بن ماجه - تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي.
- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي - تحقيق: أحمد بن محمد شاكر - دار الكتب العلمية .
- سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي - تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة - مكتب المطبوعات الإسلامية .
- مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل - تحقيق: شعيب الأرناؤوط - مؤسسة الرسالة ١٩٩٥ م.
- تخريج مشكاة المصابيح، ابن حجر العسقلاني - تحقيق: علي الحلبي - دار ابن القيم ١٤٢٢هـ.
- تفسير القرطبي، القرطبي - تحقيق: عبدالله التركي - مؤسسة الرسالة ١٤٢٧هـ.
- مدارج السالكين، ابن القيم - تحقيق: عبدالعزيز الجليل - دار طيبة ١٤٢٣هـ.
- مفتاح دار السعادة، ابن القيم - تحقيق: علي الحلبي - دار ابن عفان ١٤١٦هـ.
- بدائع الفوائد، ابن القيم - دار الكتاب العربي.
- زاد المعاد، ابن القيم - المحقق: شعيب وعبدالقادر الأرناؤوط - مؤسسة الرسالة ١٤٢٣هـ .
- مجموع الفتاوى، ابن تيمية - مجمع الملك فهد ١٩٩٥م.
- القاموس المحيط، الفيروز أبادي - تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي - مؤسسة الرسالة.

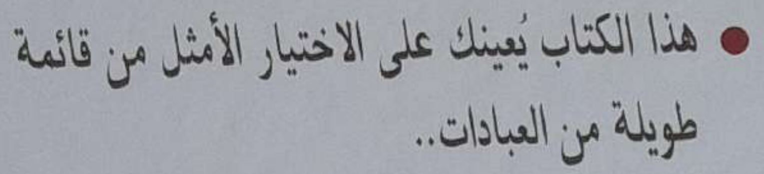
- لسان العرب، ابن منظور - دار المعارف.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، محمد فؤاد عبد الباقي دار الكتب المصرية.
- S.Legg;M.Hutter(٢٠٠٧).ACollectionofDefinitionsofIntelligence.١٥٧. pp. ٢٤-١٧.

موقع التفسير	/http: / /www.altafsir.com
موقع الدرر السنية	/http: / /www.dorar.net
المكتبة الوقفية	http: / /www.waqfeya.com / search.php
صيد الفوائد	http: / /saaid.net
ملتقى أهل الحديث	/http: / /www.ahlalhdeeth.com
ملتقى أهل التفسير	/http: / /vb.tafsir.net
مركز تفسير للدراسات القرآنية	/http: / /www.tafsir.net
موسوعة الحديث الشريف	http: / /hadith.al-islam.com
إسلام أون لاين	http: / /www.islamonline.net /iol-arabic /info /hadeeth.asp
موقع الموسوعة الشاملة	/www.islamport.com
الشبكة الإسلامية - الحديث الشريف	http: / /library.islamweb.net / hadith /index.php
الجامع للحديث النبوي	http: / /www.sonnaonline.com
القرآن الكريم - جامعة الملك سعود	http: / /quran.ksu.edu.sa

الفهرس







- هذا الكتاب يُعينك على الاختيار الأمثل من قائمة طويلة من العبادات..
- ما المعايير والقواعد في اختيارك الأمثل والذكي؟ وأيها أولى وأكثر أجراً وأحب إلى الله في حالتك؟ ولماذا؟
- هو كتاب فيه قواعد وتطبيقات وأمثلة عملية عديدة من واقعنا تلخص لك كيف تكون ذكياً في عبادتك لتُحصِّل أكثر الأجور المتاحة في حياتك في زحمة انشغالاتك اليومية وتغير اهتمامات الناس ومشاغلهم..



المملكة العربية السعودية - الرياض
daralhadarah@hotmail.com
الرقم الموحد : 920000908 الفاكس : 2702719 - 011
@daralhadarah 0551523173
زوروا متجر الحضارة : hadarah.store
متجر الحضارة HADARAH • STORE



SR: 35



